دراسات

التأليف التاريخي في المشرق خلال القرن الرابع الهجري

سليمان الرحيلي

استاذ التاريخ المشارك
جامعة الإمام محمد بن
سعود الإسلامية - الرياض

توطئة : يعد التاريخ أحد العلوم الإنسانية المهمة في حياة الدول والمجتمعات عبر العصور ، وكلما تراكمت المعرفة فيه مع تقادم العهود ، زادت الإفادة منه في سعة ميدان التجارب والمقارنة بين فصول حياة الأمم والبلدان في مختلف البيئات .

وقديمًا قيل إن علم النسب والأخبار من علوم الملوك وذوي الأخطار ولاتسموا إليه إلاّ النفوس الشريفة (١) . وكان جزءًا مهمًا من البرنامج اليومي لعدد من الخلفاء مثل معاوية بن أبي سفيان وأبي جعفر المنصور (٢) . فهو من أخطر العلوم إذا ما وعيت حقائقه واطراد سننه ، وقد أدرك العلماء والحكام ذلك في عصور كثيرة فتعهدوه بالتأليف واستقراء الدروس والعبر منه . وعدَّ السخاوي ذلك من العلوم الواجبة وأجل القرباتِ (٣) .

وفطن كثير من الوزراء والمتنفذين إلى خطورة التاريخ واشتماله على تجارب الأمم والحكام والوزراء ومعرفة وسائل خراب البلاد من عمارتها حتى حرص بعض الوزراء على حجب بعض الخلفاء عن قراءة كتب التاريخ وصرفهم عنها ، فقد طَلَبَ المُكتفي مرة «من وزيره كتبًا يلهو بها ويقطع بمطالعتها زمانه ، فتقدم الوزير إلى النواب بتحصيل ذلك وعرضه عليه قبل حمله إلى الخليفة ، فحصلوا شيئًا من كتب التاريخ وفيها شيء مما جرى في الأيام السالفة من وقائع الملوك ، وأخبار الوزراء ومعرفة التحيّل في استخراج الأموال . فلما رآه الوزير قال لنوابه : والله إنكم أشد الناس عداوة لي ، أنا قلت لكم حصّلوا له كتبًا يلهو بها ويشتغل بها عني وعن غيري ، فقد حصلتم له ما يُعرفه مصارع الوزراء ، ويوجده الطريق إلى استخراج المال ، ويعرفه خراب البلاد من عمارتها . ردّوها وحصّلوا له كتبًا فيها حكايات تلهيه وأشعارٌ تطربه» (٤) .

وقد تميز القرن الرابع الهجري بغزارة التأليف فيه في مختلف المجالات، وكان للمؤلفات التاريخية نصيب كبير من ذلك مقارنة بالقرن السابق له أو اللاحق عليه . وإذا كان القرن الثاني قد شهد التدوين التاريخي والقرن الثالث شهد التأليف التاريخي وغلبت على الجميع كتابة التاريخ على طريقة السير والتراجم والفتوح والنظام الحولي مثل مؤلفات ابن إسحاق، وفتوح مصر لابن عبدالحكم، وتاريخ الأمم والملوك للطبري ؛ فإن التأليف في القرن الرابع جاء مختلفًا . فما مظاهر ذلك الاختلاف، وما موضوعاته ؟ ومن هم مؤرخو هذا القرن ؟ وهل اتبعوا مناهج من سبقهم أم غيروا ؟ وما نصيب النقد التاريخي في كتاباتهم ؟

هذا ما سوف يجيب عنه هذا البحث قدر الإمكان .

أولاً – مؤلفات رجال الدولة التاريخية :

اتسم هذا العصر باشتغال عدد من رجال الدولة بالتأليف التاريخي سواءً مفردًا أم مع غيره من العلوم، حتى أن كتبه فاقت شهرة منصبه بل ربما عرف بما وصل إلينا منها أكثر من معرفته في مجال آخر .

وقد أثرى أولئك الكتابة التاريخية بأهم عناصرها، وهو القرب من مصدر الأحداث ودواوينها ودوائرها ومعاصرة صناعها ومخالطتهم حتى عد هذا أحد خصائص الكتابة التاريخية في القرن الرابع كما سيأتي.

ومن أولئك محمد بن عبدوس الجهشياري صاحب كتاب **الوزراء والكتاب** . فقد كان والده صاحبًا للوزير علي بن عيسى وزير المقتدر المشهور، فلما جاء الوزير حامد بن العباس سنة ٣٠٦هـ صار ابنه محمد بن عبدوس

حاجبًا له . وقد عرف هذا الوزير بحمقه ومـلذاته حتى أن الجهشياري كان يتأفف منه خفية، ويسب الزمان الذي صار فيه هذا وزيراً (٥) .

كما تعرض الجهشياري للمصادرة أكثر من مرة بسبب منافسة خصومه والصراع على المناصب، وقد جرت هذه المصادرات في حقه وحق غيره وكان سببها في كثير من الأحيان أنه من أعوان الوزير السابق فيعمد الجديد إلى محاسبة أعوان سلفه وكتابه (٦) .

وربما تكون هذه المصادرات طالت مؤلفاته التاريخية فالقسم الموجود من كتاب الجهشياري يقف عند وزير المأمون الفضل بن سهل على الرغم من أن المؤلف أرخ حتى نهاية عهد المقتدر العباسي، وأسهب في أخباره كثيراً، ويذكر المسعودي معاصره عن غير واحد من أهل الاختصاص أن الجهشياري صنف في أخبار المقتدر وحده أكثر من ألف ورقة (٧) . ومن تلك المؤلفات أيضًا كتاب الأوراق للصولي من سنة ٣٢٢ - ٣٣٣ ويتعلق بأخبار الخليفتين الراضي والمتقي، وقد شاهد الصولي أكثر حوادث هذه الفترة بنفسه . وقد جمع فيه بين النظام الحولي والموضوعي، فهو يذكر السنة ثم يأتي على حوادثها على هيئة موضوعات في الغالب (٨) .

كما شهد القرن الرابع تولي عدد من الصابئة ديوان الإنشاء في الدولة العباسية توثق صلتهم بحكام آل بويه ووزرائهم، وكان هذا الديوان بالمكانة العظمى والمنزلة الرفيعة في الدولة، فهو جهة المكاتبات الواردة والصادرة من الخليفة أو الملك (٩) ويلقب صاحبه بالأستاذ (١٠)، وممن تولاه في هذا الوقت أبو إسحاق إبراهيم الصابي، وقد ألف كتاب التاجي في أخبار الدولة الديلمية بتكليف من عضد الدولة البويهي (١١)، فسماه التاجي نسبة إلى أحد ألقاب عضد الدولة وهو تاج الملة (١٢) .

وقد تحدث فيه مؤلفه عن فضائل الديلم ومساكنهم وقوتهم وإسلامهم وعلاقتهم بمناصرة آل البيت، وذكر محاسنهم كاشتهارهم بالكرم والجود ومبالغتهم فيه (١٣) .

وموضوع الكتاب قصد به التعريف بالأسرة الجديدة المتغلبة على السلطة في الدولة، وذكر رصيدها التاريخي بين الأمم، وهو بعبارة أخرى نوع من التأليف الرسمي عن الحكم ومكانة رجاله في ذلك الوقت، وإيجاد منزلة لهم تضاهي الشعوب الأخرى في صفاتها ومنزلتها .

كما قام مؤلف مجهول بالعمل نفسه فألف كتابًا لفخر الدولة البويهي في تاريخ الجبل والديلم وهم أشهر الشعوب التي ينتسب إليها البويهيون (١٤) .

وهذا كله يمثل التكليف الرسمي في كتابة التاريخ وقتذاك حتى أن إبراهيم الصابي نفسه اعترف بعدم قناعته بذلك، وعندما سأله أحد زواره عما يفعل : أجابه بقوله : «أباطيل أنمقها وأكاذيب ألفقها» (١٥) فلما علم عضد الدولة بذلك غضب عليه، وكاد يفتك به لولا شفاعة بعض رجاله واكتفى بمصادرة أمواله وحبسه حتى أطلق سراحه عز الدولة (١٦)، ولكن الكتاب بقي على حاله يطفح بالمبالغة في فضائل آل بويه .

ومن أولئك المؤرخين أيضًا ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة أحد الصابئة المشهورين بصناعة الطب والعمل في دواوين الدولة وخدمة الخلفاء والوزراء في ذلك الوقت، والاطلاع على مجريات الأحداث فيها عن كثب، وقد ألف كتابًا مطولاً في التاريخ عرف باسمه على النظام الحولي فيما يظهر ابتداؤه من سنة ٢٩٢هـ وحتى سنة ٣٦٣هـ وهي السنة التي توفى فيها، وقد أثنى عليه القفطي بقوله : «عمل ثابت هذا كتاب التاريخ المشهور في الآفاق الذي ما كتب كتاب في التاريخ أكثر مما كتب» (١٧) وأتمه ابن أخته هلال الصابي، وألف عليه ذيلاً كما سيأتي .

وخدم في ديوان الإنشاء في هذه الأثناء هلال الصابي فكان يعاون جده إبراهيم الصابي في وظائفه واكتسب دربة وخبرة لا تضاهى من خلال الاطلاع على أحوال الدول وأسرارها والوقائع والأحداث وعللها (١٨) .

حتى إذا كانت سنة ٤٠٧هـ نصحه الوزير ابن عبدالرحيم في عهد سلطان الدولة البويهي بالاشتغال بالتاريخ (١٩)، وكان عمره في هذا الوقت قد جاوز الأربعين، ويظهر أنه منذ هذا التاريخ بدأ في تأليف كتابه الفريد رسوم دار الخلافة من واقع خبرته ومعايشته في البلاط العباسي في أواخر القرن الرابع وفاء لحقوق الدولة العباسية عليه، وقد عبر عن ذلك بقوله : «ورأيت حقوق النعمة التي غمرتني وغمرت أسلافي للدولة أن أنشر أعلام سننها القديمة وأوضح آثار سيرها القويمة جمعت من ذلك ماضبطته بالتأليف وحفظته بالتصنيف» (٢٠) . وجاء كتابه يدور حول موضوعات نفيسة في المراسم وتقاليد

بلاطات الخلفاء ونظم الاستقبال والمواكب وآداب الجلوس والصحبة والحجابة لهم (٢١) .

ولا يناظره حتى ذلك الوقت سوى مصنف الإمبراطور قسطنطين التاسع الموسوم بـ المراسم الذي يعود إلى هذا التاريخ أيضًا، ولحسن الحظ أن الكتابين وصلا إلينا أما من حيث الأسبقية في التأليف فإن الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) ألف كتابًا في صحبة الملوك، (٢٢) وكذلك ألف أبو الحسن الكاتب البغدادي (ت ٣٧٦هـ) كتاب صحبة السلطان (٢٣). والكتابان مفقودان، ومن ثم فإن أول كتاب وصل إلينا في هذا الفن النفيس وهو كتاب رسوم دار الخلافة المشار إليه.

ومنهم أيضًا مسكويه صاحب كتاب تجارب الأمم المشهور فقد كان قيمًا على مكتبة الوزير ابن العميد ومن جلسائه الدائمين (٢٤) . ثم صار كاتبًا لسر الوزير المهلبي ونديمه، كما اتصل فيما بعد بالصاحب بن عباد (٢٥) وثلاثتهم وزراء لامعون في الأدب والسياسة والفضل والرياسة، وقد أتاحت له هذه الوظائف ومخالطة هؤلاء الوزراء ومنادمتهم وحضور مجالسهم خبرة واسعة بأمور الدولة وتصريف شئونها، والوقوف عن كثب على أخبارها في مجالات عدة سياسية واقتصادية واجتماعية . وحاول هو من جانبه أن يفيد من دخل في خدمته منهم أو نادمه أو حضر مجلسه، يعينه في ذلك سعة ثقافته في علوم عصره كالطب والفلسفة، ولهذا اهتم مسكويه بالسياسة وقواعدها ومفهوم الفضيلة فيها، ويعود هذا إلى ثقافته الفارسية العميقة، ويعود أيضًا إلى مقتضى عمله وطبيعة منصبه الذي يتطلب حذقًا وحسن تدبير يتسلح به بين الخلفاء والوزراء، ويحسن القول حين يطلبون رأيه والعمل حين يكلفونه . كما ألف كتابًا في السياسة أيضًا (٢٦) .

وفي أقصى المشرق الإسلامي ألف أبو منصور الثعالبي كتاب الغرر في سير الملوك وأخبارهم لأبي المظفر نصر الغزنوي أخي السلطان محمود الغزنوي (٢٧) ، ثم تلاه العتبي فألف التاريخ اليميني نسبة إلى يمين الدولة محمود بن سبكتكين الغزنوي، تحدث فيه بإسهاب عن سيرته وذكر فتوحاته في الهند وحروبه الطويلة المتصلة هناك منذ أواخر القرن الرابع (٢٨) ، وأخبر فيه أيضًا عن أحوال دولته وأسرته وبعض رجاله ووزرائه (٢٩) . وذلك ليعرف أهل العراق بفضائل هذا الأمير والحال الذي عليه دولته، وأنه لا يقل مكانة عمن هم بحضرة الخليفة من رجاله (٣٠) .

وهناك عدة عوامل شجعت هؤلاء على التأليف منها طبيعة وظائفهم مما تطلب ثقافة وتأليفًا في مجالها لمساعدة وزراء الدولة ورجال الدواوين في إيضاح شرف أعمالهم، وما كانت عليه في الدول، وما ينبغي أن تكون عليه والقيام بها على وجه أفضل . ومنها قربهم من قرارات الدولة وأخبار الولايات وأحداثها والموقف منها، خاصة وقد عمل بعضهم في ديوان الرسائل أهم دواوين الدولة في ذلك الوقت، وإليه ترد الأخبار والأحوال، ومنه تصدر القرارات، وتوقع من الخلفاء أو الأمراء أو الوزراء .

ومعيار هذا النوع من التأليف ما ذكره الثعالبي بأنه يُعنى «بأخبار الملوك وسيرهم وآدابهم ، وحكمهم وتواريخهم وسننهم ، ووقائعهم وفتوحهم، ومحاسنهم ومقابحهم، ومناقبهم ومثالبهم، ومالهم وما عليهم، وسائر متصرفاتهم وأحوالهم .» (٣١) وما زالت هذه الأمور من مقاصد دراسة التاريخ المهمة، لا سيما لمن في يده مقاليد الأمور من حكام ووزراء وقواد ومديرين كما يرى مسكويه (٣٢) .

ويعود اتصال المؤلفات التاريخية في هذا القرن بسدة الحكم وقربها منه إلى عدة أسباب منها أن التاريخ مثل الأدب والطب يتأثر بموقف الحكام وتشجيعهم من عدمه، فلذلك يطوله الازدهار الثقافي أو الجمود في الدولة، ومنها أن بعض مؤرخي هذا القرن كانوا موظفين كبارًا في الدولة كما مر آنفًا مما أعطى هذه الدلالة وأشاع هذا المفهوم، ومنها إدراكهم أهمية القرب من موقع الحدث وصناع الأخبار والوزراء والقواد وشهود العيان في نقلهم كما وقعت بالضبط وتعليل أسبابها، وذكر أهدافها . وقد ساعد في ذلك بدون شك أن الحياة السياسية عركتهم فقد كانوا عنصرًا فيها، ومن ثم أكسبتهم تجربة وخبرة لا يستهان بهما فضلاً عن روح العصر الثقافية وأثرها في مدارك وسعة أفق هؤلاء المؤرخين مما أسهم في نضوج الكتابة التاريخية في هذا القرن بدرجة كبيرة .

ثانيًا - أنواع التأليف التاريخي :

أ - التأليف العام :

شهد هذا القرن نهضة علمية زاهرة، وألف في التاريخ فئات مختلفة منهم من رجال الدولة، ومنهم من

طلاب العلم الآخرين كأي علم آخر حظي بالميل له والرغبة في دراسته والتأليف فيه وحده أو التأليف فيه ضمن الكتابة في علوم أخرى، ذلك أن كثيرًا من علماء القرنين الثالث والرابع كانوا متبحرين في علوم كثيرة مثل ابن قتيبة وأبي حنيفة الدينوري والمسعودي ومسكويه، وربما غلب على الواحد منهم المكنة والحجة في علم أكثر من غيره، فاشتهر في فنه، وعلا نجمه فيه حتى إذا ذكر هذا العلم عَنَّ اسمه وأشير إليه، بينما هو في الحقيقة علم في أكثر من فن .

ويعد المسعودي أشهر من جذبته دراسة التاريخ والتأليف فيه في هذا القرن من تلقاء نفسه ومن غير طلب أو تكليف من خليفة أو أمير . وساعده عدم الالتزام بعمل الدولة على الرحلة والاغتراب والتطواف في عدد من البلدان مثل الشام واليمن ومصر بالإضافة إلى العراق منشأه، وقد أثرت هذه الرحلات معلوماته التاريخية والأثرية والجغرافية وساعدته في المقارنة والوقوف على مسارح الأحداث والمشاهدة بالعين وقرن المعلوم التاريخي بالمحسوس على الطبيعة . من آثار الأول وقصور الحكام وأرض المعارك وعلاقة ذلك بالحدث التاريخي والإخبار عنه . وقد أثنى على هذه التجربة في إثراء معلوماته . (٣٣) ومنها كذلك **تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء وأولي الأمر** لحمزة الأصفهاني، وقد اشتمل بإيجار على تاريخ كثير من الأمم في القديم كالفرس والروم والقبط وممالك العرب القديمة، وتوسع في تاريخ إقليمي خراسان وطبرستان، وأوجز فيما سواها بالنسبة للتاريخ الإسلامي ما لم تكن هناك أقسام ضائعة منه فعنوانه يوحي بطوله (٣٤) ، ووصفه روزنتال في صورته الحالية بأنه تاريخ ثقافي (٣٥) .

ومن كتب التاريخ العام التي ظهرت في هذا الوقت كتاب **تجارب الأمم** لمسكويه الذي يعد بحق من أوسع المصادر الإسلامية في تاريخ القرن الرابع فقد حشاه مؤلفه علمًا وزانه منهجًا، ابتدأه مؤلفه بإيجاز عن تاريخ الرسول ﷺ ، والخلفاء الراشدين، ثم التاريخ الأموي ، والتاريخ العباسي، حتى إذا جاء للفترة التي عاصرها بنفسه تحدث بإسهاب عن الأحوال السياسية والاقتصادية وجوانب مهمة من النواحي الاجتماعية والثقافية في الدولة العباسية في العصر البويهي قلّ أن نجد لها نظيرًا عند غيره ممن سبقه أو ممن عاصره، وقد توسع كثيرًا في وصف الأحداث التي عاصرها في مركز الدولة وولاياتها الشرقية .

وقد توقف في تاريخه عند سنة ٣٦٩هـ ولا أعرف سببًا بينًا لذلك على الرغم من أنه عمر نصف قرن بعد ذلك حيث توفي سنة ٤٢١هـ بعد عمر مديد . وعلى الرغم من أنه اشتغل بالتأليف في غير مجال لكن التاريخ لم يكن من بينها .

ويعكس كتاب **تجارب الأمم** أحد مظاهر الكتابة التاريخية التي اعتمدت على القرب من الحدث في مختلف المجالات، ورصده، وذكر أسبابه، ومقارنته، وإبداء الرأي، وخاصة في الفترة التي عاصر فيها مؤلفه مسكويه أحداثها فهو لم يكن مجرد مدون للخبر أو واصفًا للحدث، مما جعل لكتابه قيمة تاريخية قديمًا وحديثًا، وهي أمور مازالت مطلبًا في الكتابة التاريخية إلى اليوم .

وإذا كانت كتب المسعودي ومسكويه التاريخية تمثل نموذجًا لكتابة التاريخ العام واستطعنا وصفها ومعرفة سماتها؛ فإن هذا العصر شهد العديد من المؤلفات في هذا المجال وزاد عددها على عشرين كتابًا ظهرت خلال قرن واحد، فقد ألف ابن عقدة الكوفي (ت ٣٣٣هـ) كتاب **التاريخ** (٣٦) . وألف ابن الداية البغدادي (ت ٣٣٤هـ) كتاب **حسن العقبى** في التاريخ والتراجم (٣٧) . وأحمد إبراهيم العمي (ت ٣٥٠هـ) كتاب **التاريخ الكبير** (٣٨) . وابن حبان (ت ٣٥٤هـ) كتاب **التاريخ** (٣٩) . وغير هؤلاء كثير .

وهي تدل على إقبال العلماء على التأليف في التاريخ والاهتمام بشمولية عصوره ومعرفة كلياته، وغير ذلك مما تتطلبه مفاهيم المقارنة والتجربة والدروس والعبر التي يتيحها هذا النوع من التأليف، وإذا كان مؤرخو القرن الثالث وضعوا خطوط علم التاريخ عند العرب واستقلاله عن علم الحديث كما يرى عبدالعزيز الدوري (٤٠) ؛ فإن كثيرًا من علائم نضجه تمت بوضوح خلال القرن التالي .

كما شملت الكتابة في التاريخ العام في هذا الوقت الاهتمام بالتاريخ العالمي كتاريخ الفرس والهند والصين والروم واليهود والأحباش والقبط والعرب، وقد تفاوت المؤرخون كالمسعودي وحمزة الأصفهاني ومسكويه في التفصيل أو الإيجاز في تاريخ هذه الأمم .

ويمكن تقرير ملاحظتين بالنسبة للتاريخ العالمي في مصادر القرن الرابع التاريخية أولهما : أن الاهتمام به

كان امتداداً لاهتمام المؤرخين السابقين به كابن قتيبة والدينوري والطبري، وكان منهج الجميع واحداً .

والثانية عدم التوسع فيه في الفترات المعاصرة للتاريخ الإسلامي بل وردت أحداثه في هذا المرحلة موجزة عند أكثر المؤرخين المسلمين، ولم يتحدثوا فيها بالتفصيل أو حتى في عناوين مستقلة، وإنما تأتي أحداثه في الغالب في مناسبة علاقات المسلمين بهم وحظيت العلاقات الحربية بتفصيل أوسع من سواها . وأشهر من فصل في ذلك المسعودي في كتابه **التنبيه والإشراف**، أما التاريخ المحلي للأمم الأخرى ومجالات علاقتها الأخرى بالمسلمين فكان ضعيفاً إلى درجة كبيرة، فلم يذكر حمزة الأصفهاني شيئاً من ذلك، ولم يشر مسكويه إليه إلاّ نزراً .

ب - الوزارة :

تعد الوزارة من أهم النظم الإسلامية وحلقة كبيرة من حلقات التاريخ الإسلامي وجوانبه الإدارية الخطرة التي تعددت فيها المؤلفات وكثرت الدراسات قديماً وحديثاً حولها، إلا أن القرون الثلاثة الأولى شهدت نزراً قليلاً في التأليف فيها، ومنه **كتاب الوزراء** لمحمد بن داود الجراح (ت ٢٩٦هـ) (٤١) إلاّ أن القرن الرابع شهد ثورة في التأليف فيها، ومن أشهر من ألف فيه الجهشياري (ت٣٣١هـ) **كتاب الوزراء والكتاب** (٤٢) والصولي (ت ٣٣٥هـ) **كتاب الوزراء** (٤٣) وابن الماشطة البغدادي (ت ٣٥٠هـ) **كتاب أخبار الوزراء** (٤٤) وأبو الحسن المطوق (ت ٣٩٠هـ) **كتاب الوزراء** (٤٥) .

ويكاد لا يخلو عقد من عقود هذا القرن من ظهور كتاب في الوزارة أو أكثر .

وقد يعزى كثرة التأليف في هذا الباب خلال هذا القرن لثلاثة أمور أولها جدة التأليف فيه ثم تسابق الكتاب للتأليف فيه ووصفه وتقعيده وذكر آداب هذا العمل وما ينبغي أن يتحلى به الوزير، وقد ظهر في القرن الماضي تسابق في التأليف في أدب الكتاب مثل مؤلفات ابن قتيبة وداود بن الجراح .

ثانيها تنامي قوة هذا المنصب وخطورة القائمين به في هذا العصر في تدبير السلطة وإدارة شئون البلاد بعد أن شهد العصر العباسي الأول قوة الخلفاء والثاني قوة القواد ثم ظهرت في هذا الوقت قوة الوزراء .

ولهذا ظهرت الحاجة ملحة للتأليف في هذا الفن وتحديد معالمه ومكانة القائمين به وواجباتهم قديماً وحتى ذلك الوقت . وأخبار من تولوه وسيرهم وتوقيعهم في كثير من العهود . حتى إذا علا شأن الوزارة وفشا أمرها وتضاءل أمام صاحبها دور الخليفة بسبب التغلب عليه وتدبير شئونه، يعمد أحد الفقهاء وهو الماوردي إلى تقنين هذه الوظيفة، وذكر أقسامها وشروط المتولي لها والعلاقة بينه وبين الخليفة أو السلطان فيؤلف في هذا المجال كتابه **قوانين الدواوين وسياسة الملك** في النصف الأول من القرن الخامس .

وقد حفل هذا العصر بعدد من الوزراء كالوزير المهلبي وابن العميد والصاحب بن عباد، الذين اهتموا بالعلم والعلماء وآثروا التأليف فيه، وكانوا يعقدون لهم المجالس والمناظرات ويغدقون عليهم الهبات والعطايا تشجيعاً واعترافاً بفضل أهل العلم والمعرفة (٤٦) .

ومن ثم نعم هؤلاء بهذه الرعاية وتسابقوا في التأليف في مختلف العلوم وأهداهم بعضهم مؤلفاته ففازوا بالجوائز السنية والمكانة الرفيعة .

وحث أبو الفتح الفضل بن جعفر وزير الراضي الصولي على تقديم أحد كتبه إليه فلما رآه أثنى عليه ومدح مؤلفه ووصله بجائزة سنية (٤٧) . وفضلاً عن ذلك كان لأولئك الوزراء عناية بالمكتبات واقتناء الكتب، وضمت دورهم مكتبات كبيرة كان لبعضهم وكيل وخازن ومشرف (٤٨) من كثرة محتوياتها وكثرة مرتاديها، وزادت مكتبة الصاحب بن عباد عن أربع مئة حمل بعير (٤٩) .

وبلغت مكتبة دار سابور وزير بهاء الدولة البويهي في هذا الوقت أكثر من عشرة آلاف مجلد (٥٠) .

ج - التاريخ الاقتصادي :

تأتي كتب التاريخ الاقتصادي كالخراج والمكوس واستصلاح الأراضي والعملات في إطار أهمية تنظيم الإدارة المالية، في الدولة وترتيب مواردها، وصلاح أمورها، واستقرار أحوالها، باعتبار تأثير هذا المجال في مختلف فئات المجتمع أفراداً ومؤسسات . وإذا كان الخلفاء المسلمون أدركوا خطورة الاقتصاد في حياة الدول منذ وقت مبكر واستعانوا بفقه العلماء في تنظيمه وحسن إدارته ؛ فإن عدداً من العلماء ظلوا يحثون الحكام على مراعاة التلازم بين السياسة والاقتصاد . وعلى رأسهم في القرن الرابع قدامة بن جعفر صاحب كتاب **الخراج**

المشهور وكتاب السياسة وقد حاول أن يمزج بين مفهومي الاقتصاد والسياسة، ويقرر استواء حاجة المجتمع إليهما . وهو منحى مهم في دراسة التاريخ يظهر أنه لم يستبن وتجلى الجهود فيه لوقت طويل حتى جاء ابن خلدون ووظف هذا العامل مع عوامل أخرى في دراسة التاريخ (٥١) . لاسيما أن كتب التاريخ العام لا تعالج هذه الموضوعات، ومن ثم ظلت الحاجة للتأليف فيه قائمة في ضوء ظروف السيطرة السياسية في الدولة في كل مرحلة وتغير أحوال العصر والإفادة من نظم بعض الأمم ووسائلها في جباية الخراج وتنظيمه وما يعين القائمين به في أداء عملهم، وقد ضمن قدامة بن جعفر كتابه شيئًا كثيراً من آداب هؤلاء الكتاب أي الإدارة المالية بمفهومنا الحديث، ولهذا سماه كتاب الخراج وصنعة الكتاب. وعرف فيه بدواوين الدولة وما يلزم موظفيها من بلاغة وقدرة على الإنشاء (٥٢)، قال عنه ياقوت : «وأتى فيه بكل ما يحتاج الكاتب إليه» (٥٣) .

كما ألف آخرون فيه مثل ابن الماشطة البغدادي (٥٤) والعياشي السمرقندي (٥٥) وابن شريح الكاتب (٥٦) .

ويلحق بهذا ، التأليف التاريخي في موضوعات عدة كالسياسة وما ينبغي أن يتحلى به أهلها من حكام ووزراء وقواد، وآدابها وفوائدها ومنها كتاب سياسة المملكة وسيرة الخلفاء ألفه علي بن عيسى الجراح (ت ٣٣٤هـ) (٥٧) للخليفة المقتدر العباسي ليساعده في تدبير أمور الدولة وتصريف شئونها مسترشداً بسيرة الحكام والخلفاء السابقين في الحكم . كما ألف مسكويه كتاباً في السياسة (٥٨) بوصفها فضيلة يحسن التحلي بها في كل الأمور وفي الحكم بالذات، وقد تأثر فيه بمبادئ الفلسفة حيث كان واسع الاطلاع والثقافة فيها .

ومن تلك المؤلفات كتب الحرب والسلاح وصناعة أدواته مثل كتاب السلاح لابن دريد، وكتاب السلاح لابن دينار الأحول (٥٩) ، وكتاب اليعسوب في القسي والرمي والسهام لأحمد الهمذاني (ت ٣٣٤هـ) (٦٠) .

أما التأليف على هيئة المذكرات فيما يعرف بالمذكرات الشخصية فيظهر أن نشأته في الشرق في هذا الوقت كانت ضعيفة وعلى الرغم من أمر الخليفة المعتضد أحد رجاله وهو أحمد السرخسي بتدوين يوميات حملته على فلسطين عام ٢٧١هـ (٦١) ، وعلى الرغم من أن الصاحب بن عباد كان له كتاب بهذا المعنى ، واستعمل اللفظ الفارسي في عنوانه (روزنامجه) إلا أن ما تبقى منها يظهر أنها كانت أدبية تبعًا لاهتمام صاحبها (٦٢) .

ونشير هنا إلى حقيقة مهمة أن كثيراً من مؤرخي هذا العصر عاصروا أحداثه وخبروها عن قرب بحكم وظائفهم ومعاصرتهم لها وحجابتهم لمن أسهم فيها من حكام ووزراء وقواد، ولذا فإنهم دونوا ما شهدوه وخبروه تباعًا مذيلاً بآرائهم وملحوظاتهم وضمنوه كتبهم ، والمتأمل لها يدرك أن أحداثها وقتذاك كانت حية، وأن أثر المشاهدة والمعاصرة لها لا يخفى مما زاد في قيمة تلك المصادر من الناحية العلمية، ومنها على سبيل المثال الأقسام المعاصرة فيها لحياة مؤلفيها عند المسعودي ومسكويه والصولي وغيرها .

ومع هذا يمكن القول إن هذا النوع من الكتابة التاريخية اشتهر بصورة واضحة وربما مستقلة في قرون تالية .

د - التاريخ المحلي :

ينقسم التاريخ المحلي إلى قسمين أحدهما يختص بالأقاليم مثل كتاب تاريخ ولاة خراسان للسلامي (ت ٣٤٤هـ) (٦٣) ، الذي كان المصدر الأساس لعدد من المؤرخين الذي فصلوا في تاريخ وأحوال خراسان سواء في هذا القرن كالثعالبي في كتابه غرر سير الملوك أو فيما بعد كابن الأثير . وقد قل التأليف التاريخي في هذا المجال في هذا القرن فيما أتيح لنا من مصادر ، وقد يعزى ذلك إلى أن المؤلفين اكتفوا بما ألف في فتوح الأقاليم من قبل ومن بعد مثل كتاب فتوح الشام للواقدي و فتوح مصر و المغرب لابن عبدالحكم، و كتاب الفتوح لابن أعثم، و فتوح البلدان للبلاذري . وكذلك بما ألف في سكان الأقاليم وأنسابهم مثل الكتب التي تحدثت عن الفرس وأنسابهم؛ أمَّا الثاني فهو تاريخ المدن فقد ازدهر في هذا الوقت وأثرى المكتبة التاريخية بالعديد من المؤلفات التي أرخت لمدن المشرق الإسلامي بالتفصيل . فقد ألف محمد بن عقيل البلخي (ت ٣١٦هـ) كتاب تاريخ بلخ (٦٤) ، وصنف الأزدي (ت ٣٣٤هـ) تاريخ الموصل وألف محمد بن سعيد القشيري (ت ٣٣٤هـ) تاريخ الرقة (٦٥) ، وألف أبو أحمد بن سعيد (ت ٣٤٦هـ) الكافي في تاريخ خوارزم (٦٦) . كما ألف آخرون في تاريخ الموصل والبصرة والكوفة وأصفهان وبخارى وسمرقند والري

وغيرها . حتى استخدم حاجي خليفة صيغة الجمع عندما ذكر تواريخ بعض المدن فقال تواريخ الموصل وتواريخ بخارى وتواريخ نيسابور (٦٧) . من كثرة ما ألف فيها ونال بعضها أكثر من مؤلف خلال هذا القرن وحده، حتى بلغت تواريخ المدن في المشرق خلاله أكثر من ثلاثين كتابًا .

ووضحت أهمية هذه التآليف من ناحيتين : الأولى عمقها وكثرة تفصيلها وشمولها لتواريخ تلك الحواضر التي أسهمت في التاريخ والحضارة الإسلامية مما ليس له مثيل عند ورودها في مصدر تاريخي عام . وكذلك أسهمت بوضوح في إبراز تاريخ الدول التي كانت بعض تلك المدن عواصم لها مثل تفصيل النرشخي في الحديث عن السامانيين في تاريخ مدينة بخارى . والثانية سمة التخصص التي اتصف بها مؤلفوها في الغالب، فهم من أبناء تلك المدن أو ممن عاشوا فيها وخبروها، ولهذا السمة أهميتها في الكتابة التاريخية على الدوام، وإن كان فرط الحماس والعاطفة يخرجها أحيانًا عن الموضوعية المطلوبة والجنوح إلى المبالغة والميل إلى التعظيم في تاريخ هذه المدينة أو تلك، حتى قيل في هذا الوقت ينبغي للطالب أن يبدأ بمعرفة كتب حديث بلده (٦٨) ، وإذا كان هذا في مقام طلب الحديث ؛ فإن شيوعه في أغراض العلوم الأخرى وإثبات أثر الإقليم ونصيبه فيها والاعتزاز به كان أدعى، فهل هذا الاتجاه في التأليف كان اتجاهًا من العام إلى الخاص في كتابة هذا الفرع من التاريخ حيث ظهرت عدة مؤلفات في تواريخ الأقاليم كما مر ، فاتجه بعض المؤلفين إلى تواريخ المدن ؟ أو هو مضاهاة للتأليف في تاريخ المدن الكبيرة كمكة والمدينة وبغداد ودمشق ؟ أم أنه يندرج في الاهتمام بالإقليم والاعتزاز بالموطن، وظهور روح الاستقلال عن الدولة، ومن ثم ظهور دول الأقاليم الذي بدأ قبل ذلك بقرن ونيف، ونضج في هذا الوقت، وتبعًا له تلاشت المركزية في انتشار العلم والثقافة فتوزعت مدارسه وظهرت عدة حواضر إسلامية جديدة بعد أن كان محورها يدور في محور الخلافة ومركزها القوي في العراق . وقد غلب على مؤلفات تاريخ المدن حتى ذلك الوقت، الحديث عن الإقليم الذي تقع فيه المدينة وجغرافيتها، ومن سكنها من الأنبياء إن وجد، وعن الأحاديث والآثار المروية في فضلها وأول من بناها، ثم الحديث عن عمرانها وخططها وأعلامها (٦٩) ، فجاء التفصيل والشمول في تاريخها خلال هذا القرن .

ومن ناحية أخرى فقد وضح أسلوب الإتمام في التأليف للمؤلفات التاريخية خلال هذا القرن من قبل من عاصرهم أو جاء بعدهم بقليل، فقد كان كتاب هلال ابن المحسن بن إبراهيم الصابي في التاريخ تتمة لكتاب خاله ثابت بن سنان الذي توقف عند سنة ٣٦٣هـ فمدَّه حتى سنة ٤٤٧هـ (٧٠) .

وقد شاهد السخاوي هذا السفر العظيم في أربعين مجلدًا (٧١) ، ويحتمل أن العدد يشير إلى الاثنين ، وقد وجد كتاب تجارب الأمم لمسكويه من يتمه فقد ألف الوزير أبو شجاع ذيلاً عليه، ومدّ تاريخه حتى سنة ٣٨٩هـ (٧٢).

ومعروف أن مسكويه توقف في تاريخه عند سنة ٣٦٩هـ، وقد نص أبو شجاع عليه، وهذا يثبت خطأ من يرى أن تاريخ مسكويه يمتد حتى سنة ٣٧٢هـ . مثل القفطي (٧٣) .

وقد ألحق آمدروز ما عثر عليه من تاريخ هلال بن المحسن الصابي بكتاب أبي شجاع وعده على الرغم من تقدم هلال الصابي عليه ذيلاً له، بوصفه يبدأ من آخر سنة ذكر حوادثها أبو شجاع وهي سنة ٣٨٩هـ ، ويبدأ بها هذا القسم من تاريخ هلال الصابي وانتهى سنة ٣٩٣هـ (٧٤) ، بينما هو في الحقيقة ذيلاً على كتاب خاله ثابت ابن سنان بن ثابت بن قرة في التاريخ، وتتمة له حيث انتهى عند بعض حوادث سنة ٣٦٣هـ، فألف ابن أخته كتابًا على نسقه وأكمل جهده حتى سنة ٤٤٧هـ (٧٥) ، ولم يصلنا منه سوى قسم منه يؤرخ للفترة من ٣٨٩ - ٣٩٣هـ، وهو المشار إليه من قبل .

وأما تاريخ الطبري فقد كتبت عليه ذيول وتكملة بعضها في المشرق وبعضها في المغرب، ولكنها خارجة عن حدود الزمان والمكان في هذا البحث ، ويظهر أن تاريخه وتفصيله في كثير من الأحداث وشهرة مؤلفه أغنت وأعيت الكثير، لأن يضعوا له تتمة بعد وفاة مؤلفه مباشرة . فضلاً عن أن طريقته الحولية لم تعد منتشرة كثيرًا في القرن الرابع .

ثالثًا - منهج التأليف التاريخي :

كان يفترض من شهرة تاريخ الطبري والمعية مؤلفه أن يحتذى حذو منهجه في النظام الحولي في كتابة التاريخ والتوسع في جمع مادته بصورة أشمل منه وهو المجلدات العديدة، لكن الأول كان ضعيفًا والثاني كان منعدمًا في

القرن التالي له، فالذين ألفوا على منهجه الحولي قليلون ووصلنا منها تجارب الأمم لمسكويه ، وكذلك الذيول التي ألفت عليه التي لم يكن بد من خروجها على منهجه . أما محاكاته أو الزيادة عليه في التوسع والشمول فلم نعثر على رصيف له . ذلك أنه لم يكن بد أمام مؤلفي الذيول والاستكمال من السير تبعًا لمنهج الكتاب الذي يصنعون ذيلاً له حسب طبيعته بالضبط، ويعد ذلك لازمة منهجية في هذا النوع من التأليف ينتقد من يخل بها، ويفقد القارئ كثيراً من التركيز والفائدة عند اختلاف المنهج بين الكتاب وذيله، لذلك فإن ذيول مؤلفات هذا القرن التزمت بمناهج الكتب التي ألفت عليها ونرى ذلك جلياً في ذيول الطبري فيما بعد مثل كتاب **صلة تاريخ الطبري** لعريب بن سعيد القرطبي، و**تكملة تاريخ الطبري** لمحمد بن عبدالملك الهمذاني، وكذلك **ذيل كتاب تجارب الأمم** لأبي شجاع وغيرها .

وقد قدمت لنا هذه الذيول فوائد عظيمة منها التعريف بأسلوب ونسق الكتب التي كانت ذيولاً عليها، وخاصة تلك التي فقدت ولم تصلنا مثل تاريخ ثابت بن سنان وكانت حتماً معروفة لأولئك المؤلفين . ومنها تدعيم المنهج الذي سار عليه المؤرخون في هذا القرن واستمراره لمدة أطول ، ويدل ذلك على أن الطريقة التي اتبعها الأولون كانت مرغوبة بدليل حذو مؤلفين سننهم في القرن التالي ومن ثم أثرت الكتابة التاريخية .

كما ترك مؤرخو هذا العصر الاعتماد على الأسانيد والرواية المتعددة للخبر الواحد على غرار ما فعل البلاذري والطبري (٧٦) . وإذا كان المسعودي حاول أن يتخفف منها ولم يتركها البتة في مؤلفاته التاريخية فإن مؤرخي هذا القرن الآخرين تركوها تماماً .

وقد يعود ذلك لعدة أسباب منها أن كثيراً من الأحداث التاريخية قد استقر حدوثها وتوارت رواياتها من قبل، فلم يعد داعيًا لتكرار أسانيدها . ومنها طول هذه الأسانيد وتعدد سلاسلها حتى هذا الوقت مما يثقل على المؤرخ والقارئ معًا، ومنها أن كثيراً مما دونه هؤلاء المؤرخون عاصروه وشاهدوه بأنفسهم نتيجة لقربهم من موقع الأحداث والمعاصرة لها ما قلل من الحاجة إلى الأسانيد وزاد من قيمة مؤلفاتهم وتميزها .

وأخيراً ؛ فإنه يتضح من خلالها بعد المنهج التاريخي تدريجياً واستقلاله عن مناهج المفسرين والمحدثين وتأثره بطرائقهم وهو الأثر الذي يمكن إدراكه بوضوح عند الطبري من قبل من خلال المقارنة بين تفسيره وتاريخه (٧٧).

وإذا كان شيوع المنهج الحولي في كتابة الأحداث وبالذات من قبل مؤرخي القرن الثالث قد أدى إلى قصور منهجي أضعف من اكتمال الحدث وتمام أخباره وجزّأه في بعض الأحيان تبعًا للسنين التي استغرقها مما أدى إلى تفتيته وتناثر بعض حقائقه عند الانقطاع في تسلسل وقائعه والعودة لها بعد حين ونحو ذلك ؛ فإن أكثر مؤلفات القرن الرابع التاريخية قد تجاوزت هذا المنهج . وسلمت من مآخذه وعلى العموم فإن مصادر التاريخ الإسلامي بأنواعها المختلفة وشمولها لكل عصوره وليس لمرحلة معينة لم يكن كلها وفق المنهج الحولي ، ولم يكن هو أبرز المناهج التي سار عليها المسلمون في كتابة التاريخ (٧٨) . بل إنه بدأ في الضعف والتحول عنه منذ القرن الرابع . وما بقي منه فقد أهم سماته وهي ذكر الأسانيد والروايات للحوادث التاريخية، وترتيب الأحداث داخل السنة وفق حدوثها دون اعتبار لوحدة الموضوع ومقتضاها في استكمال أحداثه حتى ولو تأخرت زمنياً عن أحداث أخرى . ولهذا فإن ما تبقى من صورة هذا المنهج في هذا الوقت هو أقرب إلى النظام الموضوعي في الكتابة التاريخية فالسنة عند مسكويه مثلاً هي مجرد عنوان أو وعاء لأحداث غلب عليها الترتيب الموضوعي والاستكمال له حتى ولو وقع في سنة أخرى من الترتيب الزمني لأحداثها .

وقد ساعد على ذلك بوضوح تعدد فروع الكتابة التاريخية بحيث لم يعد كثير منها يحتمل المنهج الحولي فهو لا يصلح لمن يكتب عن السياسة أو الوزارة أو الخراج، واكتفى أصحاب التاريخ العام – وهو الفرع الذي يحتمله – بما كتب وفقه من قبل ، ومن بقي عليه منهم تخفف من كثير من لوازمه مثل المسعودي ومسكويه .

كما شهد هذا القرن استقرار المسلمين في طرائق كتابة التاريخ وكثيراً من جوانب المنهجية الصحيحة في ذلك كوقوف المؤرخ على مسرح الحدث والاتصال بصناع الحدث أو شهود العيان والاعتماد على محفوظات دواوين الدولة إما بالعمل فيها أو بالرجوع إليها، والاستفادة مما كتبه الآخرون في هذا الموضوع أو ذاك، وقد سار

المؤرخـون على ذلك وراعـوه في مـؤلفـاتهم الحـوليـة أو الموضوعيـة وكان وضـوحـه في الثـانيـة أكبـر بحكم تعـدد فروعها كالنظم وتواريخ المدن والتراجم وغيرها . مما يعد إبداعًا في كتابة التاريخ كما ينبغي مازال خطواته تتبع إلى اليوم مع ما يقتضيه مفهوم العاقل اللبيب والفطن الأريب ، ويجد فيه ما يحثه على العلم بالمعاش والمعاد (٧٩) . وهو ما يهم جميع الطبقات فلا أقل من التوسط في الأسلوب . كما أن معاينة الأحداث وأخذ أخبارها بالمشافهة وهو ما وضح في كـثـيـر من مـؤلفـات هذا القـرن، تطلب في كـثـيـر من الأحـيـان الاعـتـمـاد على الوصف، ويغلب على هذا المنهج سـهـولة الأسلوب ووضـوح المعـاني وسـرد الأحـداث، كـمـا حفلت مصادر هذا القرن التاريخية بالاستشهاد بالشعر والإكثار منه واستكمال جانب الصورة للواقعة أو الحدث التاريخي، وجاء وروده في تراجم الأعيان من خلفاء وحكام وولاة وقواد، والمعارك وبناء المدن ومناسبات النصر أو ولاية العرش أو العهد ، وعدّه هؤلاء متممًا في وصف الحوادث، ومـازالت تضـمينات الشـعـر ورمـزه وحـتى غمـوضـه يمدنا بقراءات وفهم أدق للأحداث التـاريخيـة فكثير من أولئك الشعراء كانوا شـهـود عيـان وحـضـور مواقف في ميـدان التاريخ، وأما القول بضعف الدلالة التي يمكن أن تستنتج من الشعر المقتبس (٨٠) ، فهو أضعف من أن يصمد أمام مصدرية الشعر في دراسة أي مدة ومن ثم التاريخ عمومًا. وقد أورد عدد من مؤرخي هذه الفترة كالمسعودي والصولي والصابي عددًا من النصوص الشـعـرية استكمالاً لوصف الحوادث والمواقف التاريخية التي تحدثوا عنهـا، وتكاد لا تخلو عينة أو نوع من الكتابة التاريخية من توظيف الشعر في سـبيل استكمال جانب أو أكثر من مظاهرها . كما وضح السجع في أسلوب بعضـهـا مثل **تاريخ اليميني** للعتبي (٨١) لكن السجع سـوف يغلب أكـثـر على مـؤلفـات تاريخية تالية لهذه المدة .

رابعًا – النـقـد التـاريخـي :

غلب على الكتابة التـاريخيـة خـلال هذا القـرن الكثـير من مـقـومـات النقـد الإيجـابيـة من الثـقـة في المؤرخين ومعـاصـرتهم للأحداث وقربهم من مصـادرها ومخـالطتهم لكثير من رجال الدولة بمختلف فئاتهم، فقد كانت «المصادر التي يسـتـقـون منهـا مـعلومـاتهم هي الوثائق الرسـمـيـة والصلات الشخصية، وما يدور بين العمال وفي دوائر البلاد من أحاديث» (٨٢) وقد اشـتـغـل عـدد من أصـحـاب المؤلفـات التـاريخيـة كـالصـولي وثابت بن سنان والصـابي والتنوخي ومسكوية في دواوين الدولة، وكتبوا لوزرائها، وخالطوا عددًا من الخلفاء وقابلوا العديد من القواد والكتاب .

وعـمـومًـا أتـاح قـرب هؤلاء من مـركـز الدولة، أن يحصلوا على معلومات موثوقة في وصف أحداث عصرهم ليس في المشرق فـحسب وإنما في جهات الدولة الأخرى بحكم ورود أخبارها تباعًا إلى عاصمتها ورأس الأمر فيها، إلاّ أن الاعتماد عليهم في دراسة تاريخ المشرق أكثر وثوقًا من الناحية الموضوعية بحكم قربهم وتوفرهم على مصادره ومعاصرتهم لكثير من أحداثه .

وقد حـرص التنوخي على ألاّ يدون في كتـابه المهم **نشوار المحاضرة** ماورد في كتاب قبله قدر الإمكان، وإنما يعتمد فيه على ما سمعه بنفسه وأخذه من أفواه الرجال وما دار بينهم في المجالس مما حفظته ذاكرتهم، ممن عرفوا أخبار الممالك والدول حتى بلغ عدد الفئات التي اتصل بها وتلقى عنها أكثر من ستين طبـقـة من شرائح المجتمع (٨٣) .

وكذلك اعتمد الثعالبي في التأريخ للأعلام المترجم لهم على مشافهتهم له بأخبارهم مباشرة (٨٤) ، وهذا يشبه إلى حد كبير أسلوب المقابلة للمترجم لهم من قبل الباحث في العصر الحديث، إلاّ أن طريقة المقابلة التي اتبعها الثعالبي أدق .

كـمـا اعـتـمـد المسـعـودي على المشـاهدة والمعـاينة، وأتاحت له رحلاته الطويلة مقابلة الملوك، وهو ما عبر عنه بمفاوضتهم في سبيل تدوين الأحداث ونقل الأخبار التي ضمنها كتابه **مروج الذهب** (٨٥) . وقد عدّ ذلك – بحق – ميزة اتسم بها جهده . ولهذا كثرت عبارات : «حدثني» ، و«أخبرني» ، و «رأيت» في كثير من تلك المصادر، كناية عن الأخذ عن مصدر الخبر والوقوف عليه. وهو ما ساعد في التعليل وذكر الأسباب لبعض الحوادث، وأتاح لبعضهم ذكر رأيه والاستزادة والاستقصاء من مخبره .

كـمـا نص مـسكويه أن أكـثـر مـا يرويه في كـتـاب **تجارب الأمم** بعد سنة ٣٤٠هـ هو نتيجة مشاهدة «أو خبر محصل يجري عندي مجرى ما عاينته» (٨٦) .

ولم يقف هؤلاء عند حد المشاهدة والتدوين وإبداء الرأي فيما ينبغي أن يكون عليه الأمر ، وإنما تجاوز ذلك إلى نقد الأوضاع والحكام والوزراء في زمانهم ؛ فقدامة ابن جعفر يرى أن علم السياسة والإحاطة به متعين في حق الحاكم ورجاله لإصلاح أحوال الدولة وتدبير أمور الناس (٨٧) ، وآراؤه فيها نقد وتعريض بأوضاع عصره وما ينبغي أن تكون عليه . كما لام الأزدي ولاة العباسيين ووصفهم بالظلم والعسف لأهل الموصل ؛ بسبب قتلهم وجبيهم الأموال الكثيرة منهم (٨٨) . وإذا كان الأزدي يتحدث عن سياسة ولاة العصر العباسي الأول نحو مدينته فإن التنوخي شكا من فساد عصره «فالعامة شغلهم معاشهم والرؤساء شغلتهم ملذاتهم»(٨٩) حتى انتقد ملوك عصره بعدم التشجيع على التأليف العلمي (٩٠) .

وقد أخذ عضد الدولة البويهي إبراهيم بن هلال الصابي في كتاب أنشأه على لسان الخليفة في إيضاح مكانة عز الدولة بختيار وعدم منازعته، ونصه : «وقد حدد له أمير المؤمنين مع هذه المساعي السوابق والمعالي السوابق التي يلزم كل دانٍ وقاصٍ وعام وخاص أن يعرف ما كرم به منها ويتزحزح له عن رتبة المماثلة فيها» (٩١) فقد غاظه تقديمه على غيره وعدم مزاحمته أو تأخيره، ويبدو أن هذه العبارة وضعت لتحد من المنافسة لبختيار، فوقفت أمام عضد الدولة ، وحدت من التعجيل بطموحه ؛ ولهذا أنكرها وأسرها للصابي فأمر بحبسه . وعلى الرغم من أن الشفعاء فيه فسروا ذلك من باب الشدة في نصح الخليفة وبختيار وتحديد العلاقة بينهما، إلاّ أن عضد الدولة اشترط لإطلاق سراحه أن يعمل (كتابًا في مآثرنا وتاريخنا) أي في البويهيين (٩٢) . فشرع وهو في سجنه في تأليف كتاب التاجي في أخبار بني بويه ، نسبة إلى أحد ألقاب عضد الدولة وهو تاج الملة بغية الخروج من السجن أما هو في الحقيقة فلم يقتنع بذلك، وقد أفصح به لأحد أصدقائه عند زيارته له وسأله عما يعمل «فقال : أباطيل أنمقها وأكاذيب ألفقها» (٩٣) . فبلغ خبره عضد الدولة فألقاه تحت أرجل الفيلة فشفع فيه عدد من رجاله وبعد توسلات أمر باستصفاء أمواله وتخليده في السجن، وظل كذلك قرابة أربع سنين حتى أطلق سراحه ابنه صمصام الدولة، سنة ٣٧١هـ (٩٤) .

وهي حادثة تمثل صعوبة النقد السياسي لحكام ذلك الوقت، وفي ضوئها يمكن تفسير غياب كثير من الحقائق التاريخية حول ذلك العصر مخافة مثل هذه العاقبة .

ووصف مسكويه بعض رجال دولة آل بويه بأوصاف خطيرة، فقد وصف معز الدولة بأنه بذيء اللسان سريع الغضب، وأنه في بعض أعماله كان سيء التدبير ، وأن بعض آرائه كانت ظاهرة الفساد (٩٥) .

ونقد أوضاع الحكم في وقته، وأنه ما أتي كثير من حكامه إلاّ من سوء إدارتهم وعدم ضبطهم لأمور الدولة وانشغالهم عنها بملذاتهم (٩٦) . كما عزا أسباب المجاعات التي حدثت وقتذاك إلى فساد الحكم وسوء السياسة (٩٧) وهو ما لم يوجد في كثير من المصادر المتقدمة على الرغم من الحاجة له في التاريخ الإسلامي منذ وقت مبكر .

وألف أبو حيان التوحيدي كتابًا في مثالب الوزيرين، الصاحب ابن عباد وابن العميد ، وجعل مضمونه هكذا دون خوف أو وجل ، وهما المعاصران له (٩٨) .

وحث الثعالبي على مراعاة الكفاءة في تعيين الوزير وذكر أن مخالفة ذلك له عواقب وخيمة على الدولة ، وصرح بسوء اختيار عز الدولة بختيار عندما استوزر صاحب مطبخه، فهو يحسن حمل غضاير الطعام ومناديله وأين ذلك من الوزارة وحمل أعبائها (٩٩) .

كما ينقل لنا الثعالبي أخبار ما شاع في وقته من توجيه رسائل باسم وزير أو والٍ تتحدث عما ينبغي أن يسير عليه في تصريف الأمور عامة أو تختص بسياسة وتدبير في مجال أو نحو فئة معينة ، ومن أطرفها رسالة إلى والٍ بشأن رعاية السجناء والتوسيع عليهم في النفقة والكسوة ، ومعرفة من صلح شأنه أو قضى مدة العقوبة عليه، وتعيين أمناء من الثقات للإشراف على أحوالهم (١٠٠) .

وتتضمن هذه الرسالة نقدًا لأوضاع سابقة عليها ومخالفة لمضمونها . وتعد تلك الرسائل صورة أخرى من صور النقد السياسي وقتذاك .

ومن صور النقد أيضًا في هذا القرن ما نجده يتم أحيانًا بين المؤرخين بعضهم بعضًا، وهو دليل آخر على نضج الكتابة التاريخية خلال هذا القرن، والحرص على الرصد ونقد جهود الآخرين في سبيل تحري الدقة، والمكنة في هذا الفن . وقد انتقد المسعودي سنان بن ثابت في

تاريخه لعدة أسباب هي :

١ – بدؤه بمقدمات فلسفية في النفس وأقسامها والأجرام الفلكية، والصنائع، والمركبات ، والطبيعيات كالجوهر والهيئة .

٢ – نقوله عن بعض علماء اليونان آراءهم في السياسة المدنية ولمعًا مما يجب على الملوك والوزراء .

٣ – ذكره عهود الخلفاء خليفة خليفة في التصنيف، وهذا مضاد – كما يرى المسعودي – للتأليف التاريخي وخروجًا (عن جملة التأليف) [١٠١] .

٤ – خروجه عن اختصاصه وتقحمه مجالاً آخر إذ (تكلف ما ليس من مهنته)، ثم تمنى عليه إقباله على فنه ليسلم مما تكلفه [١٠٢] .

وباستثناء ما أقحمه سنان من مقدمات فلسفية في كتابه التاريخي الذي لم يصلنا، فإن بقية ما ذكره المسعودي لا تعد عيوبًا في جهد هذا المؤرخ الفيلسوف فيما يبدو، فنظام الوزارة جزء من أبواب التاريخ ، وكتابة التاريخ وفق عهود الحكام مازلنا نعده منقبة تميزت بها كتابة كثير من المؤرخين ومنهم المسعودي، الذي اتبع المنهج نفسه عند الكتابة عن عهود الخلفاء الأمويين والعباسيين عمن سبقهم من أصحاب المنهج الحولي في كتابة التاريخ .

أما نقده لسنان لنزعه عن مجاله فهذا ليس بعيب، فكثير من علماء تلك القرون كانوا موسوعيين، وقد ألف الإمام الطبري وهو الفقيه سفرين عظيمين أحدهما في التفسير والآخر في التاريخ، وقد أثنى عليه المسعودي كثيرًا [١٠٣] .

وأخيرًا ؛ فقد خلط المسعودي بين سنان بن ثابت بن قرة وابنه ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة ، فإن الوالد لم يكن مؤرخًا ، وقد توفي في سنة ٢٨٨هـ، وإنما صاحب التاريخ المشهور هو ابنه ثابت الذي عاصر المسعودي، وتوفي بعده في سنة ٣٦٣هـ [١٠٤] . وهو الذي يقصده المسعودي، ولعله التبس عليه اشتغال الاثنين بالفلسفة والطب . كما حاول المعلق على النسخة المطبوعة التصحيح فأخطأ أيضًا [١٠٥] . كما اتهم التوحيدي مسكويه بأن عليه مآخذ حتى اتهمه بالكذب وعاب عليه «كد بدنه وقلبه في خدمة السلطان» [١٠٦] . وهو مآخذ كانت آثاره ضعيفة عند مسكويه في مؤلفه التاريخي تجارب الأمم . وقد لا يخلو الأمر بين هذين العلمين من مفهوم أن المعاصرة تحدث المنافرة .

خامسًا – أوليات التأليف التاريخي خلال القرن الرابع :

* الاهتمام بالنواحي الاقتصادية والاجتماعية :

أظهر المؤرخون خلال هذا الوقت اهتمامًا كبيرًا بالنواحي الاقتصادية والاجتماعية في مؤلفاتهم، فقد تحدث المسعودي عن آثار الحروب الأهلية على اقتصاد الدول، وما تسببه من مجاعات وغلاء أسعار وتشرد الناس ويتم وعاهات لهم [١٠٧] . كذلك كثيرًا ما كان يهتم بالحرف والصناعات والعملات في البلد التي يكتب عن تاريخها [١٠٨].

وكذلك أورد هلال الصابي معلومات قيمة عن ميزانية الدولة في سنة ٣٠٦هـ ونصيب كل قطاع منها [١٠٩] وجهود الوزير النابه علي بن عيسى في أن يكون للدولة سياسة مالية ثابتة وميزانية مقدرة كل عام .

وجاء مسكويه بمعلومات غزيرة عن الأحوال الاقتصادية في العهد البويهي من تحصيل خراج وأخبار مصادرات أو إنفاق عام . أو أخبار ثورات ومجاعات بسبب الحاجة للأموال أو بسبب سوء إدارتها، وكثيرًا ما يعزو أسبابها إلى ذلك .

وتحدث قدامة بن جعفر بتركيز عن حاجة الناس للدولة وضرورة الاجتماع والتكاثر والعمران البشري [١١٠] .

وذكر المسعودي خلاصة مهمة في الاجتماع البشري والعلاقة بين الدين والملك ابتغاها في بعض مؤلفاته، وسبق بها ابن خلدون وغيره بحوالي أربعة قرون، إذ يقول في معرض ما سوف يبحثه أنه يشمل «ما على ظهر الأرض من عجيب البنيان، وما قاله الناس في مقدار عمر العالم ومبدئه وغايته ومنتهاه، وعلة طول الأعمار وقصرها وآداب الرياسة، وضروب أقسام السياسة المدنية، الملوكية منها والعامية، مما يلزم الملك في سياسة نفسه ورعيته ، ووجوه أقسام السياسة الديانية، وعدد أجزائها، ولأية علة لابد للملك من دين، كما لابد للدين من ملك، ولا قوام لأحدهما إلا بصاحبه، وكم وجب ذلك وما سببه، وكيف تدخل الآفات على الملك، وتزول الدول وتبيد الشرائع والملل، والآفات التي تحدث في نفس الملك والدين، والآفات الخارجة المعترضة لذلك وتحصين الدين والملك، وكيف يعالج كل واحد منهما

بصاحبه إذا اعتل من نفسه، أو من عارض يعرض له، وماهية ذلك العلاج، وكيفيته وأمارات إقبال الدول وسياسة البلدان والأديان والجيوش على طبقاتهم» (١١١) .

والتأكيد على التلازم بين الملك والدين واستقراء الأسباب المؤدية إلى ذلك، وأثرهما في صلاح أحوالهما أو معرفة العلل التي تؤدي إلى زوال الدول وإبادة الشرائع يعد من الأهداف المهمة في دراسة التاريخ ووعي حقائقه . وهو يوضح بجلاء أن المقاصد الأخلاقية والتربوية كانت أحد الأهداف المبتغاة من التأليف التاريخي حيث جد في إيضاح أثر ذلك في معرفة مآل كل سلوك ونتيجة كل عمل تقوم به الدولة أو الحاكم أو الوالي أو القائد في إصلاح الأمور واستقراء الأحوال ومعايش الناس من عدمه . ومن ثم أدرك المؤرخون حقيقة دراسة التاريخ كعامل موجه في الحياة . وقد نصوا على هذا المفهوم في عناوين كتبهم ومقدماتها وضربوا عليه الأمثلة عند مناسبته في ثناياها . يقول التنوخي إنه ألف كتابه **نشوار المحاضرة** ليستفيد «منه العاقل اللبيب والفطن الأريب ويجد فيه ما يحثه على العلم بالمعاش والمعاد، والمعرفة بعواقب الصلاح والفساد وما تفضي إليه أواخر الأمور ، وتساس به كافة الجمهور» (١١٢) .

ويشير الصولي – إدراكًا منه لحقيقة أثر التاريخ في حياة الأمم – أنه حث كلاً من الراضي والمتقي، وهما في طور إعدادهما ليكونا من الخلفاء على تلقي علم الأخبار فقرآه عليه ودرساه على يديه (١١٣) .

ووسم مسكويه كتابه في التاريخ بتجارب الأمم لأخذ الدروس والعبر من سيرها في التاريخ ومعرفة الأسباب والعلل التي أدت إلى قوتها أو ضعفها . وبقائها أو زوالها .

وقد كانت هذه الآراء والمفاهيم وأثرها في حياة الدول والمجتمعات واستقراء الأسباب والعلل فيها هي الأسس المبكرة لنظرية ابن خلدون وآرائه الصائبة في دراسة التاريخ وأحوال الاجتماع البشري فيما بعد .

ولهذا كله لا معنى لما عاب به مرجليوث على مسكويه والصابى من أنهما استعاضا عن المبررات الدينية القديمة بالدعوة إلى القيم الأخلاقية في دراسة التاريخ فهو عندهم يسهم في تربية الأجيال، وفات على هذا المؤرخ التلازم بين الدين والأخلاق في المنهج الإسلامي في دراسة العلوم ومنها التاريخ، وحسبه أن يسهم في تربية الأجيال وتبيان ما اعوج أو استقام من أحوال الدول والمجتمعات، وصناع أحداثها .

كما وضحت العلاقة في هذا القرن بين الكتابة التاريخية وحدود الدولة أو النظام السياسي، فقد ظهر العديد من المؤلفات التاريخية بمختلف أنواعها كتاريخ الأسرة الحاكمة مثل كتاب التاجي لأبي إسحاق الصابي واليميني للعتبي، وكتب الوزارة في الأقاليم التي تخضع للسيطرة البويهية والغزنوية مؤكدة تأثر التأليف التاريخي وارتباطه بقوة الدول . ولهذا فإن مصر والشام لم تعرفا هذا الأثر في هذا العصر ، وإنما فيما بعد أي في ظلال الفاطميين والأيوبيين على الترتيب .

وأخيرًا ؛ فقد شهد هذا القرن ظهور ترجمة التاريخ الإسلامي إلى اللغة الفارسية ، ففي سنة ٣٥٢هـ ترجم البلعمي (ت ٣٢٩هـ) تاريخ الطبري إلى اللغة الفارسية، وتمت الترجمة في بلاط السامانيين، فقد كان البلعمي أحد وزرائهم (١١٤) .

ولم يخلو بعد ذلك فرع من فروع التاريخ من ترجمة كتاب فيه إلى اللغة الفارسية، وكان لمؤلفات هذا القرن النصيب الأوفى من ذلك .

والأهم من ذلك أن مؤلفات هذا القرن التاريخية كانت مصدرًا مهمًا للمؤلفات التاريخية بالفارسية التي ازدهر التأليف بها في المشرق خلال القرن التالي .

وكان السلامي في تاريخ ولاة خراسان والحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥هـ) في مؤلفه الضخم عن مدينة نيسابور وعموم تاريخ خراسان من أحداث وفتوح وأعلام مصدرًا لعدد من المصادر الفارسية المتأخرة مثل مؤلفات كرديزي وعوفي وحمد الله قزويني (١١٥) .

ومثلما حفظت لنا كثير من المصادر العربية أقسامًا ومعلومات ضاعت أصولها من مؤلفات هذا القرن فقد حفظت لنا المؤلفات التاريخية بالفارسية أجزاء مهمة اقتبستها من تلك الأصول فقد حفظ لنا كرديزي معلومات مهمة في تاريخ خراسان في عهد السامانيين نقلها عن كتاب السلامي المفقود حتى الآن . ويعد ذلك من أهم محاسن التأليف بالفارسية وقتذاك في مجال التاريخ

لاسيما عندما انفردت بنصوص تاريخية من مصادر مفقودة لا توجد في سواها .

وهكذا بلغت الكتابة التاريخية في المشرق خلال القرن الرابع مستوى لم تصل إليه من قبل سواء من حيث المنهج وطرائقه واستغلاله عن العلوم الأخرى، أو من حيث الشمولية لمجالات التاريخ بما فيها الجوانب الحضارية التي كان لها نصيب متميز . كما حدد التأليف التاريخي وقتذاك كثيرًا من معالم المنهج التاريخي الذي استقرت واستمرت عليه الكتابة التاريخية في العصور التالية .

ويعد كثير من مؤرخيه من أعلام المؤرخين المسلمين، ولا معنى أن يغفل مرجليوث المسعودي [116] ، والوافي مسكويه [117] عندما يتحدثان عن مشاهير المؤرخين والكتابة التاريخية عند المسلمين . على الرغم من حديثهما عمن هم أقل منزلة ممن سبقهما أو جاء بعدهما .

الهوامش

١ - ياقوت : معجم الأدباء ج١، ص٩٢ .

٢ - الطبري ج٨ ص ٧٠ ؛ المسعودي : مروج الذهب ج٣، ص٢٩ .

٣ - الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص٨ - ٩ .

٤ - ابن طباطبا : الفخري في الآداب السلطانية ص٧ .

٥ - التنوخي : نشوار المحاضرة ج٨ ، ص٨٥ - ٨٦ .

٦ - الصولي : كتاب الأوراق ص٨٤ .

٧ - المسعودي : مروج الذهب ج٤ ، ص٢٠٣ .

٨ - كتاب الأوراق ص١٤٥ - ٢٤٥ .

٩ - القلقشندي : صبح الأعشى ج٣ ، ص٤٨٦ .

١٠- ياقوت : معجم الأدباء ج١ ، ص٥٨.

١١- ابن خلكان : وفيات الأعيان ج١ ، ص٥٢ .

١٢- السيوطي : تاريخ الخلفاء ص٣٧٧.

١٣- إبراهيم الصابي : المنتزع من كتاب التاجي ص٢٥، ٢٩، ٣٨.

١٤- بارتولد : تركستان ص٦٩ .

١٥- ياقوت : معجم الأدباء ج١، ص٢٢ .

١٦- المصدر السابق ج١ ، ص٢٣ .

١٧- القفطي : تاريخ الحكماء ص١١٠ .

١٨- هلال الصابي : رسوم دار الخلافة ، ص٥ ؛ القفطي : تاريخ الحكماء ص١١٠ .

١٩- ابن الجوزي : المنتظم ج٨، ص١٠١ .

٢٠- هلال الصابي : رسوم دار الخلافة ص٦ .

٢١- المصدر السابق ص١١، ٧١ ، ٨٦.

٢٢- البغدادي : هدية العارفين ج٥، ص٦٨٢ .

٢٣- النديم : الفهرست ص١٤٥ .

٢٤- تجارب الأمم ج٢ ، ص٢٧٦ .

٢٥- ياقوت : معجم الأدباء ج٩ ، ص٦، ١٧ ؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ج٨، ص١٠٩ .

٢٦- البغدادي : هدية العارفين ج١، ص٧٣ .

٢٧- الثعالبي : غرر السير . المقدمة ص٤٧ (XLV11).

٢٨- العتبي : التاريخ اليميني ص٢٢٤ ، ٢٤١ .

٢٩- المصدر السابق ص٨ - ٩ - ٢٠ - ٢١ .

٣٠- المصدر السابق ص١٣ .

٣١- غرر السير ، المقدمة ص٤٨ .

٣٢- تجارب الأمم ج١ ورقة ٤ ب .

٣٣- مروج الذهب ج١ ، ص٢٠ .

٣٤- حمزة الأصفهاني : تاريخ سني ملوك الأرض ص٩ - ١٠ ، ٧٤ ، ١٧٣ .

٣٥- روزنتال : علم التاريخ عند المسلمين ص١٨٩ .

٣٦- البغدادي : هدية العارفين ج٥، ص٦٠ .

٣٧- المصدر السابق ج١، ص٦١ .

٣٨- المصدر السابق ج١ ، ص ٦٣ .

٣٩- المصدر السابق ج٦ ، ص٤٥ .

٤٠- نشأة علم التاريخ عند المسلمين ص١٣٠ .

٤١- النديم : الفهرست ص١٤٢ .

٤٢- المصدر السابق ص١٤١ .

٤٣- البغدادي : هدية العارفين ج٦ ، ص٣٨ .

٤٤- المصدر السابق ج٥ ، ص٦٧٩ .

٤٥- المصدر السابق ج٥ ، ص٦٨٤ .

٤٦- ياقوت الحموي : معجم الأدباء ج٩، ص١٤٣ - ١٤٤ .

٤٧- الصولي: كتاب الأوراق ص٩٠.

٤٨- المقدسي : أحسن التقاسيم ص٤٤٩ .

٤٩- ابن الأثير: الكامل في التاريخ ج٧، ص٢٤٢ .
٥٠- ياقوت الحموي: معجم الأدباء ج٩ ، ص٣٥ .
٥١- روزنتال: علم التاريخ عند المسلمين ص١٦٥ .
٥٢- كتاب الخراج وصنعة الكتابة .
٥٣- معجم الأدباء ج١٧ ، ص١٤ .
٥٤- البغدادي: هدية العارفين ج٥ ، ص٦٧٩ .
٥٥- المصدر السابق ج٦ ، ص٣٢ .
٥٦- ياقوت الحموي: معجم الأدباء ج٦ ، ص٨٨ .
٥٧- البغدادي: هدية العارفين ج٥، ص٦٧ .
٥٨- المصدر السابق ج١ ، ص٧٣ .
٥٩- النديم: الفهرست ص٦٧ ، ٨٧ .
٦٠- حاجي خليفة : كشف الظنون ج٢، ص٢٠٥٠ .
٦١- روزنتال: علم التاريخ عند المسلمين ص٢٣٩ .
٦٢- المصدر السابق ص٢٣٩ .
٦٣- ابن خلكان: وفيات الأعيان ج٢، ص٥٢١ .
٦٤- البغدادي: هدية العارفين ج٦، ص٣٠ .
٦٥- المصدر السابق ج٦ ، ص٣٧ .
٦٦- حاجي خليفة: كشف الظنون ج١، ص٢٩٤ .
٦٧- كشف الظنون ج١ ، ص٢٨٦، ٣٠٨ .
٦٨- الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ج١، ص٢١٤ .
٦٩- عبدالعزيز سالم: التاريخ والمؤرخون العرب ص١٢٠ .
٧٠- القفطي: تاريخ الحكماء ص١١٠ .
٧١- الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص٣١٤ .
٧٢- أبو شجاع: ذيل كتاب تجارب الأمم ، ص٨ .
٧٣- تاريخ الحكماء ص ٣١١ .
٧٤- هلال بن المحسن الصابي: تاريخه ص ٢- ٣ .
٧٥- القفطي: تاريخ الحكماء ص١١٠.
٧٦- عبدالعزيز الدوري: نشأة علم التاريخ عند المسلمين ص١٣٠ .
٧٧- أحمد أمين : ظهر الإسلام ج٢، ص ٢٠٤ - ٢٠٥ .
٧٨- لم يكن الطبري هو أول مؤرخي المسلمين في تدوين التاريخ على النظام الحولي كما يرى روزنتال: علم التاريخ عند المسلمين ص١٠٢ فقد سبقه خليفة بن خياط (ت ٢٤٠هـ) في تاريخه وغيره .
٧٩- التنوخي: نشوار المحاضرة ج١ ، ص٨ - ١٢ .
٨٠- روزنتال: علم التاريخ عند المسلمين ص٩٧ .
٨١- ص١٥ ، ١٧ ، ١١٩ .
٨٢- جب: مادة علم التاريخ ، دائرة المعارف الإسلامية ج٤، ص٤٩٤ .
٨٣- التنوخي: نشوار المحاضرة ج١، ص١ ، ١٣ .
٨٤- محمود عبدالله الجادر: الثعالبي ناقداً ، ص٩٢ .
٨٥- ج١، ص١٨ - ١٩ . ويبدو لي أن المسعودي من أوائل من حرص على حفظ حقوقه في التأليف في التاريخ فقد حذر من التصرف في كتابه مروج الذهب بالتحريف أو الحذف أو التغيير أو التبديل أو الاختصار أو الإضافة أو بانتحال نسبته . انظر: مروج الذهب ج١ ، ص٢٧ .
٨٦- ص١٣٦ .
٨٧- الخراج وصنعة الكتابة ص٤٣٨ - ٤٤١ .
٨٨- تاريخ الموصل ص١٥٠- ١٥١.
٨٩- نشوار المحاضرة ج١، ص٨ ،١١.
٩٠- نفسه .
٩١- ياقوت: معجم الأدباء ج٢، ص٣١.
٩٢- السابق ج٢، ص٢١ - ٢٢ .
٩٣- نفسه .
٩٤- المصدر السابق ج٢ ، ص٢٣ .
٩٥- تجارب الأمم ج٢، ص١٤٦ ، ١٧٣.
٩٦- المصدر السابق ج٢، ص٣٦ .
٩٧- المصدر السابق ج٢، ص٩٦- ٩٩.
٩٨- ابن حيان: أخلاق الوزيرين ص٨٦ - ٨٧ .
٩٩- الثعالبي: تحفة الوزراء ص٥١.
١٠٠- المصدر السابق ص١٥٠ - ١٥١.
١٠١- مروج الذهب ج١ ، ص٢٥ .
١٠٢- نفسه .
١٠٣- نفسه ج١ ، ص٢٣ .
١٠٤- القفطي: تاريخ الحكماء ص١١٠ ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ج١ ، ص٣١٣ - ٣١٥ .
١٠٥- المسعودي: مروج الذهب ج١، ص٢٥ .
١٠٦- ياقوت : معجم الأدباء ج٥، ص٧.
١٠٧- مروج الذهب ج٤، ص٢٨١-٢٨٢.
١٠٨- مروج الذهب ج١،

ص١٧٠-١٧٢ .

١٠٩- رسوم دار الخلافة ص٢١ - ٣٠.

١١٠- الخراج وصنعة الكتابة ص٤٣١ - ٤٣٧ .

١١١- المسعودي: التنبيه والإشراف ص٢.

١١٢- نشوار المحاضرة ج١، ص٨-١٢.

١١٣- كتاب الأوراق ص٢٥ .

١١٤- ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج٨ ، ص٣٧٨ ؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ج٤، ص٥ .

١١٥- بارتولد : تركستان ص٨٠ .

١١٦- مرجليوث : دراسات عن المؤرخين العرب ص١٣٩ - ١٥١.

١١٧- محمد عبدالكريم الوافي : منهج البحث في التاريخ والتدوين التاريخي ص٢٤٥ .

المصادر والمراجع

ابن الأثير ، عزالدين علي بن محمد / الكامل في التاريخ -٠ بيروت : دار صادر ودار بيروت ، ١٩٦٥م .

أحمد ، أمين / ظهر الإسلام -٠ ط٠٧- القاهرة ، ١٩٦٤م .

البغدادي ، إسماعيل باشا / هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين -٠ إستانبول : مطبعة وكالة المعارف ، ١٩٥١م .

التنوخي ، أبو علي المحسن بن علي/ نشوار المحاضرة ، تحقيق عبود الشالجي -٠ بيروت ، ١٩٧١م .

الثعالبي ، أبو منصور عبدالملك بن محمد / تحفة الوزراء ، تحقيق حبيب علي الراوي -٠ بغداد : مطبعة العاني ، ١٩٧٧م .

—— غرر أخبار الملوك وسيرهم ، باعتناء زوتنبرج -٠ طهران ، ١٩٦٣م .

جب ، هاملتون / علم التاريخ -٠ طهران : دائرة المعارف الإسلامية ، الترجمة العربية ، (د . ت) .

الجهشياري ، أبو عبدالله محمد بن عبدوس / كتاب الوزراء والكتاب . تحقيق مصطفى السقا وزملائه -٠ القاهرة : مطبعة البابي الحلبي، ١٣٥٧هـ .

العتبي ، محمد بن عبدالجبار/ التاريخ اليميني، لاهور . (د . ت).

قدامة بن جعفر / الخراج وصنعة الكتابة ، تحقيق محمد الزبيدي -٠ بغداد : وزارة الثقافة العراقية ، ١٩٧٩م .

القفطي ، جمال الدين علي بن يوسف/ تاريخ الحكماء، باعتناء جوليوس ليبرت -٠ ليبزج ، ١٩٠٣م .

القلقشندي ، أبو العباس أحمد بن علي/ صبح الأعشى في صناعة الانشا -٠ دار الكتب المصرية، ١٩٢٢م .

محمد عبدالكريم الوافي / منهج البحث في التاريخ والتدوين التاريخي عند العرب -٠ بنغازي : جامعة قاريونس ، ١٩٩٠م .

محمود عبدالله الجادر / الثعالبي ناقداً -٠ بغداد : دار الرسالة ، ١٩٧٦م .

مرجليوث / دراسات عن المؤرخين العرب ، ترجمة حسين نصار -٠ القاهرة ، (د . ت) .

المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين / التنبيه والإشراف -٠ بغداد : المكتبة العصرية ، ١٩٣٨م .

—— مروج الذهب ومعادن الجوهر ؛ تعليق أسعد داغر -٠ بيروت : دار الأندلس ، ١٩٦٥م .

المقدسي ، شمس الدين محمد بن أحمد بن أبي بكر / أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، باعتناء دي غويه -٠ ليدن، ١٩٠٦م .

النديم ، أبو الفرج محمد بن إسحاق/ كتاب الفهرس، تحقيق رضا تجدد -٠ طهران ١٣٩١هـ .

هلال بن المحسن الصابي ، أبو الحسين / تاريخ هلال بن المحسن الصابي -٠ المجلد الثامن ، باعتناء آمدروز -٠ القاهرة .

—— / رسوم دار الخلافة ، تحقيق ميخائيل عواد -٠ بغداد : مطبعة العاني ، ١٩٦٤م .

ياقوت الحموي / معجم الأدباء -٠ القاهرة : مكتبة عيسى البابي الحلبي ، ١٩٢٢م .

تصنيف الفارابي وابن خلدون للمعرفة البشرية دراسة مقارنة

يونس أحمد الخاروف
كلية مجتمع إربد للبنات
إربد - الأردن

١ - مقدمة

يهدف هذا البحث إلى تقديم عرض موجز ومقارن لمحاولتين مهمتين في مجال التصنيف عند العرب والمسلمين. تتمثل المحاولة الأولى في خطة التصنيف التي وضعها الفارابي، والمحاولة الثانية لابن خلدون، وتقوم هذه الدراسة على استعراض خطة كل منهما، وبيان أهم ملامحها ومميزاتها وما كتبه الباحثون من آراء وانتقادات حولها، ثم إجراء مقارنة بينهما تتضمن أهم أوجه التشابه والاختلاف من وجهة نظر الباحث.

لقد شغل موضوع تصنيف العلوم الفلاسفة والعلماء طوال عصور ازدهار العلم منذ عصر أفلاطون إلى يومنا هذا، والأمر الذي لاشك فيه أن أي تصور لتصنيفات العلوم إنما يكشف عن فلسفة معينة لصاحب التصنيف بحيث يصدر هذا التصنيف عن فكرة منهجية تظهر بوضوح من خلال تحديد الأصول والفروع في هذا التصنيف (١).

ولعل هذا هو السبب الأول الذي دفع الباحث إلى اختيار الفارابي وابن خلدون كنموذجين من النماذج العربية الإسلامية الرائدة في مجال التصنيف. فالأول فيلسوف ومفكر علمي متحرر وله تأثر واضح بالمعلم الأول أرسطو، ولقد جعل من الفلسفة أساسًا يرتكز عليه في تقسيم العلوم، والمتأمل لتصنيف الفارابي في كتابه المشهور إحصاء العلوم يصل إلى قناعة مؤكدة مؤداها أن الفارابي صاحب المدرسة الأولى في التصنيف عند العرب والمسلمين وهي المدرسة الفلسفية. أما ابن خلدون عالم الاجتماع والمؤرخ العربي المشهور فهو أيضًا صاحب مدرسة وفكر اجتماعي فلسفي متحرر، وقد اصطبغت خطته لتقسيم العلوم في عصره بهذه الصبغة فالعلوم عند ابن خلدون «ظاهرة اجتماعية حللها ورتب أقسامها كما يفعل مفكرو العصر الحاضر. والعلوم تنشأ من اختلاج الفكر الذي يقول عنه ابن خلدون إنه أسرع من لمح البصر» (٢).

وهناك سبب آخر لاختيار هذين العالمين الجليلين يتمثل في أن كلاً منهما يمثل بفكره ومدرسته مدة معينة ومتميزة من مدد التاريخ الإسلامي. ولذلك عكس كل منهما ملامح المعرفة والثقافة في عصره.

فالفارابي (ت ٣٣٩هـ) يمثل روح القرن الرابع الهجري الذي يمثل قمة العطاء والازدهار في الحضارة العربية الإسلامية. وقد عكس الفارابي في تصنيفه مدى تأثر هذه الحضارة بالفلسفة اليونانية، مما جعل بعض الباحثين يرون أن تصنيفه لايمثل التصانيف العربية الإسلامية الحقيقية، لأنه حاول التوفيق بين العلوم الإسلامية والعلوم الأجنبية في خطة واحدة (٣).

أما ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ) فيعد تصنيفه للعلوم على درجة كبيرة من النضج ولا غرو فالرجل من العقليات العلمية النادرة في تاريخ الفكر الإسلامي، وقد عاش في القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) والحياة الفكرية عند المسلمين قد بلغت النضج، وتميزت العلوم والفروع وألف العلماء في كل علم وفن وتراكم التراث الفكري الإسلامي قرنًا بعد قرن، لذلك لانعجب أن جاء تصنيفه متفوقًا في كثير من الوجوه على التصانيف السابقة (٤).

٢ – تصنيف الفارابي

الفارابي هو أبو نصر محمد بن محمد أوزلع بن طرفان (ت٣٣٩هـ) أعظم الفلاسفة العرب وأعظم الفلاسفة بعد أرسطو، ولذلك أطلقوا عليه لقب المعلم الثاني. وقد ألف الفارابي كتابًا في تقسيم العلوم وتصنيفها «إحصاء العلوم» (*) ولعله أول ماكتب بالعربية من هذا القبيل، فلا نعرف مؤلفًا عربيًا انتهج هذا المنهج قبل إحصاء العلوم، وقد قسم الفارابي الكتاب إلى خمسة فصول:

الفصل الأول: عقده في علم اللسان وفروعه من نحو وصرف وبيان وشعر وقوانين القراءة.

والفصل الثاني: في علم المنطق وأجزائه.

والفصل الثالث: في علوم التعاليم أي العلوم الرياضية.

والفصل الرابع: في العلم الطبيعي والعلم الإلهي.

والفصل الخامس: في العلوم المدنية (أي علم الأخلاق وعلم سياسة المدنية) علم الفقه وعلم الكلام (*).

وهذه الفصول الخمسة تمثل الخلاصة الأولى لتصنيف الفارابي (الشكل رقم ١)

٢/١ خلاصة تصنيف الفارابي الأولى:

خلاصة تصنيف المعرفة للفارابي



٢/٢ التصنيف الكامل (الأقسام والفروع)

وقد قام الفارابي بتقسيم هذه الأقسام الرئيسة إلى مجموعة أخرى من الأقسام الفرعية والفروع على النحو التالي:

١ – علوم اللسان (اللغات)

١/ ١ علم الألفاظ المفردة (علم اللغة)

١/ ٢ علم قوانين الألفاظ المفردة (الصرف)

١/ ٣ علم قوانين الألفاظ المركبة.

١/ ٤ علم قوانين الألفاظ عندما تتركب في أطراف الكلام (النحو).

١/ ٥ علم قوانين الكتابة والإملاء (علم الكتابة).

١/ ٦ علم قوانين تصحيح القراءة (علم القراءة).

١/ ٧ علم الأشعار (العروض).

١/ ٧/ ١ علم الأوزان.

١/ ٧/ ٢ علم القوافي.

١/ ٧/ ٣ الأسباب والأوتاد.

١/ ٧/ ٤ الألفاظ والأشعار.

٢ – علوم المنطق

٢/ ١ العبارة

٢/ ٢ القضايا.

٢/ ٣ القياس.

٢/ ٤ البرهان.

٢/ ٥ الجدول.

٢/ ٦ المقولات (السفسطة).

٢/ ٧ المواضيع الجدلية .

٢/ ٨ الخطابة .

٢/ ٩ الشعر .

٣ - العلوم النظرية والتطبيقية

٣/ ١ علوم التعاليم (العلوم الرياضية) .

٣/ ١/ ١ علم العدد .

٣/ ١/ ١/ ١ علم العدد العملي .

٣/ ١/ ١/ ٢ علم العدد النظري .

٣/ ١/ ٢ علم الهندسة .

٣/ ١/ ٢/ ١ هندسة عملية .

٣/ ١/ ٢/ ٢ هندسة نظرية .

٣/ ١/ ٣ علم المناظر (البصريات) .

٣/ ١/ ٣/ ١ الفحص عما ينظر إليه بالشعاعات المستقيمة .

٣/ ١/ ٣/ ٢ علم المرايا .

٣/ ١/ ٤ علم النجوم .

٣/ ١/ ٤/ ١ علم أحكام النجوم (التنبؤ بالمستقبل العرافة، التفسير) .

٣/ ١/ ٤/ ٢ علم النجوم التعليمي (يبحث في الأجسام السماوية والأرض) .

٣/ ١/ ٤/ ٢/ ١ أشكال الأجسام السماوية ومقادير أجرامها .

٣/ ١/ ٤/ ٢/ ٢ حركات الأجسام السماوية .

٣/ ١/ ٤/ ٢/ ٣ الأرض المعمورة فيها وغير المعمورة (الجغرافيا) .

٣/ ١/ ٥ علم الموسيقا .

٣/ ١/ ٥/ ١ الموسيقا العلمية .

٣/ ١/ ٥/ ١/ ١ الآلات الطبيعية (الحنجرة واللهاة ومافيها ثم الأنف) .

٣/ ١/ ٥/ ١/ ٢ الآلات الصناعية (المزامير والعيدان وغيرها) .

٣/ ١/ ٥/ ٢ الموسيقا النظرية .

٣/ ١/ ٥/ ٢/ ١ المبادئ الأولية .

٣/ ١/ ٥/ ٢/ ٢ أصول صناعة الموسيقا .

٣/ ١/ ٥/ ٢/ ٣ علم استخراج النغم .

٣/ ١/ ٥/ ٢/ ٤ علم أصناف الإيقاعات .

٣/ ١/ ٥/ ٢/ ٥ علم تأليف الألحان .

٣/ ١/ ٦ علم الأثقال (علم الروافع) .

٣/ ١/ ٦/ ١ النظر في الأثقال من حيث تقديرها .

٣/ ١/ ٦/ ٢ الفحص عن أصول الآلات التي ترفع بها الأشياء الثقيلة وتنقل من مكان إلى مكان .

٣/ ١/ ٧ علم الحيل (علم الميكانيكا) .

٣/ ١/ ٧/ ١ الحيل العددية (تشمل الجبر والمقابلة) .

٣/ ١/ ٧/ ٢ الحيل الهندسية .

٣/ ١/ ٧/ ٣ صناعة رئاسة البناء .

٣/ ١/ ٧/ ٤ الحيل في مساحة أصناف الأجسام .

٣/ ١/ ٧/ ٥ حيل صناعة الآلات النجومية، والآلات الموسيقية، وأصناف الأسلحة .

٣/ ١/ ٧/ ٦ الحيل المناظرية وصنعة آلات الرصد والمرايا المحرقة .

٣/ ١/ ٧/ ٧ حيل في صنعة أوان عجيبة وآلات بضائع كثيرة (الصناعات المدنية العملية مثل الأبنية والنجارة وغيرها) .

٣/ ٢ العلم الطبيعي (العلم الذي يبحث في الأجسام الطبيعية) .

٣/ ٢/ ١ الأجسام الطبيعية (البسيطة والمركبة) مبادئها وأعراضها .

٣/ ٢/ ٢ الأجسام البسيطة (السماء والعالم) .

٣/ ٢/ ٣ الفحص عن كون الأجسام الطبيعية وفسادها على العموم (التركيب والانحلال) أو الكون والفساد .

٣/ ٢/ ٤ الفحص عن مبادئ الأعراض والانفعالات .

٣/ ٢/ ٥ الأجسام المركبة من العناصر (المركبات والأخلاط).

٣/ ٢/ ٦ المعادن والجماد.

٣/ ٢/ ٧ النبات.

٣/ ٢/ ٨ الحيوان.

٣/ ٣ العلم الإلهي (مابعد الطبيعة) (الفلسفة).

٣/ ٣/ ١ الموجودات بما هي موجودات.

٣/ ٣/ ٢ مبادئ البراهين في العلوم النظرية والجزئية (نظريات المعرفة).

٣/ ٣/ ٣ الموجودات المجردة أي في الآنيات الروحية التي ليست بأجسام ولا في أجسام.

٤ - العلوم المدنية، والدينية.

٤/ ١ العلم المدني.

٤/ ١/ ١ الأخلاق والسعادة.

٤/ ١/ ٢ السياسة والأخلاق السياسية.

٤/ ٢ الفقه.

٤/ ٢/ ١ الآراء (أصول الفقه).

٤/ ٢/ ٢ الأفعال (الفقه: عبادات، معاملات، ... إلخ).

٤/ ٣ علم الكلام (علم التوحيد والصفات) أو (علم أصول الدين).

٤/ ٣/ ١ الآراء (التوحيد وأصول الدين).

٤/ ٣/ ٢ الأفعال (أفعال الإنسان مثل الجبر والاختيار ومشكلة الإقامة).

٣/٢ بين الفارابي وديوي

يتضمن الجدول التالي مقارنة موجزة بين الأقسام الرئيسة وفروعها في تصنيف ديوي العشري، بوصفه أحد أنظمة التصنيف العالمية الحالية الأكثر شيوعًا وبين تصنيف الفارابي، وذلك لمعرفة مدى اشتمال تصنيف الفارابي على علوم المعرفة البشرية وإحاطته بها.

جدول رقم (١)

المقارنة بين الموضوعات في تصنيف ديوي العشري ومثيلاتها في تصنيف الفارابي

الموضوع في تصنيف ديوي العشري	الموضوع في تصنيف الفارابي	أرقامه المتسلسلة
الفلسفة وعلم النفس	العلم الإلهي	٣/ ٣/ ١ - ٣/ ٣/ ٣
	الفحص عن مبادئ	٣/ ٢/ ٤
	الأعراض والانفعالات	
	علم المنطق	٢-٢/ ٧
	الأخلاق والسعادة	٤/ ١/ ١
الديانات	علم الفقه	٤/ ٢-٤/ ٢
	علم الكلام	٤/ ٣-٤/ ٣
العلوم الاجتماعية	العلم المدني	٤/ ١/ ٢
	السياسة	
اللغات	علوم اللسان	١-/ ٧/ ٤
العلوم الطبيعية والرياضيات	علوم التعاليم	٣/ ١-

تابع جدول رقم (١)

المقارنة بين الموضوعات في تصنيف ديوي العشري ومثيلاتها في تصنيف الفارابي

الموضوع في تصنيف ديوي العشري	الموضوع في تصنيف الفارابي	أرقامه المتسلسلة
	علم العدد	٣/ ١/ ١-
	علم الهندسة	٣/ ١/ ٢
	علم المناظر	٣/ ١/ ٣
	علم النجوم	٣/ ١/ ٤
	علم الأثقال	٣/ ١/ ٦
	علم الحيل	٣/ ١/ ٧
	العلم الطبيعي	٣/ ٢/ ١-٣/ ٢/ ٣
		٣/ ٢/ ٥-٣/ ٢/ ٨
العلوم التطبيقية	الحيل الهندسية	٣/ ١/ ٧/ ٢
	صناعة البناء	٣/ ١/ ٧/ ٣
	الحيل في مساحة أصناف الأجسام	٣/ ١/ ٧/ ٤
	حيل صناعات الآلات النجومية والموسيقية والأسلحة	٣/ ١/ ٧/ ٥
	الحيل المناظرية	٣/ ١/ ٧/ ٦
	حيل في صناعة أوان عجيبة	٣/ ١/ ٧/ ٧
الفنون الجميلة	علم الموسيقا	٣/ ١/ ٥-٣/ ١/ ٥/ ٢/ ٥
الأدب	الخطابة	٢/ ٨
	الشعر	٢/ ٩
التاريخ والجغرافيا والتراجم	الأرض المعمورة منها وغير المعمورة (الجغرافيا)	٣/ ١/ ٤/ ٢/ ٣
المعارف العامة	.....	.....

يلاحظ من الجدول السابق مايلي:

(١) أن الفارابي عكس معظم الأقسام الرئيسة التقليدية في نظام ديوي حيث إن قسم المعارف العامة هو القسم الوحيد الذي لايوجد في تصنيف الفارابي.

(٢) أن الفارابي مركز في تصنيفه على أقسام وتجاهل أو قلل من أهمية أقسام أخرى لدرجة أنه لايذكر إلا فرعًا واحدًا من فروعها. ومن الأقسام التي احتلت أهمية بالغة في تصنيفه:

١ - اللغات.

٢ - الفلسفة (مركزا على المنطق وما وراء الطبيعة أو الميتافيزيقا).

٣ – العلوم الطبيعية والرياضيات (وقد غطى معظم هذه العلوم كما هي في ديوي).

٤ – العلوم التطبيقية (الصناعات) على الرغم من تجاهله لبعض الفروع المهمة مثل الطب والزراعة التي كانت علومًا مشهورة في عصره.

أما الأقسام التي احتلت أهمية أقل فهي:

١ – الديانات (حيث اختصر على علم الفقه وعلم الكلام، ولم يتطرق إلى الديانات الأخرى).

٢ – الفنون الجميلة (ولم يذكر منها إلا الموسيقا فقط).

٣ – الأدب (ولم يذكر إلا الخطابة والشعر).

وأما الأقسام التي ذكرها دون تفريعها أو الاهتمام بها فهي العلوم الاجتماعية (فلم يذكر إلا السياسة) والتاريخ والجغرافيا (التي اقتصر فيها على الأرض المعمورة وألحق هذا الفرع بعلم النجوم أو الفلك).

٣ – تصنيف ابن خلدون

هو عبدالرحمن ابن محمد بن محمد ابن خلدون (٧٣٢ – ٨٠٨هـ / ١٣٣٢ – ١٤٠٦م). ولد ونشأ بتونس، وتعلم فيها، وتقلد العديد من المناصب لحكامها، غير أنه اضطر إلى ترك بلده والهجرة إلى المغرب والأندلس ثم إلى مصر والمشرق الإسلامي، حيث ولي القضاء في القاهرة ودمشق وكانت له مقابلة مشهورة مع أحد سلاطين المغول الذين حاصروا دمشق لاحتلالها وتخريبها.

وقد ألف ابن خلدون تاريخه المشهور المعروف باسم ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر، وهو الكتاب الذي تضمن مقدمته المشهورة في علم العمران أو مايسمى حاليًا بعلم الاجتماع. وقد تضمن الباب السادس من مقدمة ابن خلدون وعنوانه «العلوم وأصنافها والتعليم وسائر وجوهه وما يعرض في ذلك كله من الأحوال» (٦) تصنيفه للعلوم التي عرفت حتى عصره وهو العصر المغولي. ويعدّ ابن خلدون من وجهة نظر بعض الباحثين في مجال التصنيف عند العرب والمسلمين ممثلاً لمدرسة العلماء في التصنيف وهم «العلماء الذين لم يكونوا من علماء الدين بالمعنى الضيق وأخص منهم بالذكر محمد بن أحمد الخوارزمي وابن خلدون» (٧).

٣/١ خلاصة تصنيف ابن خلدون

يرى ابن خلدون أن العلوم التي يخوض فيها البشر تحصيلاً وتعليمًا إنما تكون على صنفين:

(١) صنف طبيعي للإنسان يهتدي إليه بفكره.

(٢) وصنف نقلي يأخذه عمن وضعه.

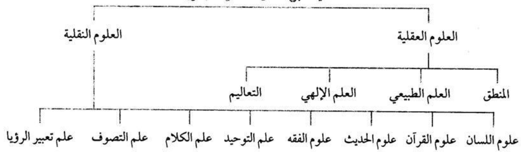
وهذا معناه أن العلوم تنقسم عند ابن خلدون إلى قسمين رئيسين:

(١) العلوم الحكمية الفلسفية (تختص بجميع الملل والأجناس)

(٢) والعلوم النقلية الوضعية (وهي تختص بالملة الإسلامية).

ويبرز الشكل رقم (٢) الخلاصة الأولى لتصنيف ابن خلدون كما أشار إليها في الباب السادس من مقدمته.

تصنيف ابن خلدون للمعرفة البشرية



٢/٣ التصنيف الكامل [الأقسام والفروع]

عندما بدأ ابن خلدون في ترتيب الأقسام والفروع في خطة التصنيف التي أودعها الباب السادس من مقدمته المشهورة، بدأ بالعلوم النقلية وليس بالعلوم العقلية «لأنه لما كانت العلوم النقلية تشمل الشرعيات المستندة إلى الكتاب والسنة كانت دراستها قبل دراسة العلوم العقلية أفضل، لأنها تصون الفكر من الوقوع في معاطب الفلسفة فعلى من يستهويه مرض الفلسفة أن يلقح نفسه بالعلوم الدينية» (٨).

وبذلك سيتم عرض خطته كما وردت في المقدمة (٩).

٠١ العلوم النقلية (الشرعية)

١/ ١ علوم اللسان.

١/ ١/ ١ علم اللغة.

١/ ١/ ٢ علم النحو.

١/ ١/ ٣ علم البيان.

١/ ١/ ٤ علم الأدب نظمه ونثره.

١/ ٢ علوم القرآن.

١/ ٢/ ١ القراءات.

١/ ٢/ ٢ رسم القرآن.

١/ ٢/ ٣ التفسير.

١/ ٣ علوم الحديث.

١/ ٣/ ١ علم الناسخ والمنسوخ.

١/ ٣/ ٢ علم الأسانيد.

١/ ٣/ ٣ علم غريب الحديث.

١/ ٣/ ٤ علم تصريف القوانين (أي تطبيق القواعد على الأحاديث).

١/ ٣/ ٥ علم مصطلح الحديث.

١/ ٤ علوم الفقه.

١/ ٤/ ١ الفقه.

١/ ٤/ ٢ علم أصول الفقه.

١/ ٥ علم التوحيد.

١/ ٦ علم الكلام.

١/ ٧ علم التصوف.

١/ ٨ علم تعبير الرؤيا (تفسير الأحلام).

٠٢ العلوم العقلية (الحكمة الفلسفية)

٢/ ١ علم المنطق.

٢/ ٢ العلم الطبيعي.

٢/ ٢/ ١ علم الطب.

٢/ ٢/ ١/ ١ طب البادية.

٢/ ٢/ ١/ ٢ طب الحضر.

٢/ ٢/ ٢ الفلاحة (علم النبات وغرسه).

٢/ ٣ العلم الإلهي (الإلهيات).

٢/ ٤ علوم التعاليم (العلوم الرياضية).

٢/ ٤/ ١ الهندسة.

٢/ ٤/ ١/ ١ الهندسة العامة.

٢/ ٤/ ١/ ٢ هندسة الأشكال الكروية والمخططات.

٢/ ٤/ ١/ ٣ المساحة.

٢/ ٤/ ١/ ٤ المناظر.

٢/ ٤/ ٢ الحساب.

٢/ ٤/ ٢/ ١ براهين الحساب.

٢/ ٤/ ٢/ ٢ صناعة الحساب (الجمع والطرح والضرب والقسمة).

٢/ ٤/ ٢/ ٣ المعاملات (تعريف الحساب في المعاملات أي علم المعدود).

٢/ ٤/ ٢/ ٤ علم الفرائض (حساب المواريث).

٢/ ٤/ ٣ الموسيقا.

٢/ ٤/ ٤ الهيئة.

٢/ ٤/ ٤/ ١ علم الأزياج (وتعرف به مواضع الأفلاك وحركاتها رياضياً) (١٠).

٢/ ٤/ ٤/ ٢ علم الأحكام النجومية (وهو معرفة آثار أوضاع الكواكب والأفلاك في عالم الإنسان) (١١).

٣/٣ بين ابن خلدون وديوي

يتضمن الجدول التالي مقارنة موجزة بين الأقسام الرئيسة في ديوي والأقسام وفروعها في تصنيف ابن خلدون، وذلك لمعرفة مدى اشتمال تصنيفه على علوم المعرفة البشرية وإحاطته بها.

جدول رقم (٢)

المقارنة بين الموضوعات في تصنيف ديوي العشري ومثيلاتها في تصنيف ابن خلدون

الموضوع في تصنيف ديوي العشري	الموضوع في تصنيف ابن خلدون	أرقامه المتسلسلة
الفلسفة وعلم النفس	العلم الإلهي (الإلهيات)	٢/ ٣
	المنطق	٢/ ١
	علم الأحكام النجومية (السحر والطلسمات)	٢/ ٤/ ٢
الديانات	علوم القرآن	١/ ٢-١/ ٢/ ٣
	علوم الحديث	١/ ٣-١/ ٣/ ٥
	علوم الفقه	١/ ٤-١/ ٤/ ٢
	علم التوحيد	١/ ٥
	علم الكلام	١/ ٦
	علم التصوف	١/ ٧
	علم تعبير الرؤيا (تفسير الأحلام)	١/ ٨
العلوم الاجتماعية	.....	.....
اللغات	علوم اللسان	١/ ١-١/ ١/ ٣
العلوم الطبيعية والرياضيات	علم التعاليم والعلم الطبيعي	٢/ ٤، ٢/ ٢
	الهندسة	٢/ ٤/ ١
	الحساب	٢/ ٤/ ٢
	الهيئة (الفلك)	٢/ ٤/ ٤
العلوم التطبيقية	علم الطب	٢/ ٢/ ١
	علم الفلاحة	٢/ ٢/ ٢
الفنون الجميلة	الموسيقا	٢/ ٤/ ٣
الأدب	علم الأدب نظمه ونثره	١/ ١/ ٤
التاريخ والجغرافيا والتراجم	.....	.....
المعارف العامة	.....	.....

يلاحظ من الجدول السابق مايلي :

(١) أن تصنيف ابن خلدون اشتمل على سبعة فقط من الأقسام الرئيسة في تصنيف ديوي العشري .

(٢) يلاحظ اهتمام ابن خلدون بالأقسام التالية حسب تفاصيلها .

(أ) الديانات (لقد ركز على علوم الدين الإسلامي دون غيره) .

(ب) اللغات والأدب .

(ج) العلوم الطبيعية والرياضيات (ولكنه أغفل العديد من العلوم الطبيعية مثل علم الحيوان والفيزياء والكيمياء وعلوم الأرض) .

(د) العلوم التطبيقية (وقد اقتصر على الطب والزراعة وأغفل الصناعات) .

(هـ) الفنون الجميلة (وقد اقتصر منها على الموسيقا) .

(٣) يلاحظ إغفال ابن خلدون أو إسقاطه لعلوم التاريخ والجغرافيا والعلوم الاجتماعية على الرغم من أنه مؤرخ وعالم اجتماع ، والتصنيف الذي وضعه يعد جزءاً من مقدمة موسوعته التاريخية .

(٤) اعتمد ابن خلدون منهج التقسيم الثنائي للمعرفة : علوم نقلية ، وعلوم عقلية ، وهي تقابل اليوم الإنسانيات ، والعلوم الطبيعية والتطبيقية .

٤ - بين تصنيف الفارابي وتصنيف ابن خلدون

حتى تكون المقارنة بين تصنيف الفارابي وتصنيف ابن خلدون واضحة ودقيقة لابد من معرفة أوجه التشابه والاختلاف بينهما وخاصة فيما يتعلق بالأقسام والفروع التي أمكن استخلاصها من التصنيفين ، وما إذا كانت واردة في تصنيف ابن خلدون أو تصنيف الفارابي .

جدول رقم (٣)
مقارنة بين تصنيف الفارابي وتصنيف ابن خلدون

الأقسام والفروع	تصنيف الفارابي	تصنيف ابن خلدون
الفلسفة وعلم النفس وفروعهما	العلم الإلهي	العلم الإلهي
	الفحص عن مبادئ	. . . . .
	الأعراض والانفعالات (علم النفس)	
	علم المنطق	علم المنطق
	علم الأخلاق	. . . . .
	علم أحكام النجوم	علم أحكام النجوم
	(التنبؤ والعرافة والسحر)	(الطلسمات والسحر)
الديانات	علم الفقه	علوم الفقه
	علم الكلام	علوم الكلام
		علوم القرآن
		علوم الحديث
		علم التوحيد

تابع جدول رقم (٣)
مقارنة بين تصنيف الفارابي وتصنيف ابن خلدون

الأقسام والفروع	تصنيف الفارابي	تصنيف ابن خلدون
		علم التصوف
		علم تعبير الرؤيا (تفسير الأحلام)
العلوم الاجتماعية	السياسة	.....
اللغات	علوم اللسان	علوم اللسان
	علم الألفاظ المفردة	علم اللغة
	علم قوانين الألفاظ المركبة	علم النحو
	علم قوانين الألفاظ عندما تتركب	= =
	في أطراف الكلام	= =
	علم قوانين الألفاظ المفردة	.....
	(علم الصرف)	
	علم قوانين الكتابة والإملاء	.....
	علم قوانين تصحيح القراءة	.....
	علم الأشعار (العروض)	.....
الأدب	.....	علم البيان
	.....	علم الأدب نظمه ونثره
	الخطابة	.....
	الشعر	.....
العلوم الطبيعية والرياضيات	علوم التعاليم	علم التعاليم
الرياضيات	علم العدد	الحساب
	علم الهندسة	الهندسة
	علم المناظر (علم مستقل)	المناظر (تابع للهندسة)
الفيزياء	الشعاعات المستقيمة وعلم المرايا	.....
	علم الأثقال (علم الروافع)	.....
	علم الحيل (علم الميكانيكا)	.....
الفلك	علم النجوم	الهيئة
	علم الأزياج	علم النجوم التعليمي

تابع جدول رقم (٣)
مقارنة بين تصنيف الفارابي وتصنيف ابن خلدون

الأقسام والفروع	تصنيف الفارابي	تصنيف ابن خلدون
الكيمياء	الأجسام المركبة من العناصر	.....
	المعادن والجماد	.....
النبات	النبات	.....
الحيوان	الحيوان	.....
العلم الطبيعي	العلم الطبيعي	العلم الطبيعي
	الأجسام الطبيعية	.....
	الأجسام البسيطة	.....
	الكون والفساد	.....
		الطب
		الفلاحة
العلوم التطبيقية	الحيل الهندسية	.....
	صناعة رئاسة البناء	.....
	حيل صناعة الآلات	.....
	الحيل المناظرية وصناعة آلات الرصد والمرايا المحرقة	.....
	صناعة الأواني العجيبة	.....
	الصناعات المدنية العملية	.....
الفنون	الموسيقا	الموسيقا
التاريخ والجغرافيا والتراجم	الأرض المعمورة منها وغير المعمورة	.....
المعارف العامة	.....	.....

نستطيع من خلال الجدول السابق، ومن خلال بعض ماكتبه النقاد حول تصنيف ابن خلدون وتصنيف الفارابي أن نوضح أوجه التشابه والاختلاف بين التصنيفين:

[أ] من حيث الأساس الذي بني عليه كل تصنيف

يلاحظ أن كلا من التصنيفين بني على أساس مختلف فتصنيف الفارابي بني على أساس فلسفي لأن الفارابي فيلسوف متأثر بفلسفة أرسطو أما تصنيف ابن خلدون فقد بني على أساس موضوعي متأثر بتقسيم الخوارزمي للمعرفة البشرية.

وفيما يتعلق بالفارابي فقد كانت له نظرية في التصنيف صرح بها في كتابه التنبيه على سبيل السعادة، ويمكن إجمالها فيما يلي:

العلوم النظرية وتشمل العلم الرياضي (التعاليم) والعلم الطبيعي والعلم الإلهي، وهذا القسم يقابل الفلسفة النظرية عند أرسطو بشعبها نفسها والعلوم العلمية، وتشمل علم الأخلاق والسياسة وهذا القسم يقابل الفلسفة العلمية عند أرسطو (١٢).

أما ابن خلدون فقد اعتمد في تقسيمه للعلوم على أساس التقسيم الثنائي المستمد من تقسيم الخوارزمي للمعرفة البشرية حيث قسمها إلى علوم العرب وعلوم العجم. وفي هذا الصدد يشير عبدالوهاب أبو النور إلى أن مذهب ابن خلدون يشبه كثيراً مذهب الخوارزمي فالعلوم العقلية عنده هي العلوم الأجنبية أو علوم العجم عند الخوارزمي، ولكن تحليل ابن خلدون أدق وأعمق، فهو لم يجعلها علوماً أجنبية وإنما جعلها علوماً تشترك فيها كل الأمم. وأما العلوم النقلية فهي العلوم الشرعية كما هي عند الخوارزمي ويدخل فيها علوم اللغة والأدب أيضاً، ولكن ابن خلدون زاد في هذه وتلك زيادات ينفرد بها عن سابقيه (١٣) غير أن هناك من ينتقد منهج ابن خلدون الثنائي في تقسيم المعرفة لأنه «خلط بين الفائدة العملية في بعض الصنائع والهدف النظري لبعض العلوم وعلى هذا فإن أساس التصنيف لم يتعد التمييز بين علوم تبحث في موضوعات الشريعة، وعلوم تبحث في موضوعات الفلسفة والحكمة بالمعنى العام، ولم يكن ابن خلدون في تقسيماته للعلوم واضحاً كل الوضوح وملماً بفروع العلوم كلها وجزيئاتها مثل الفارابي، مع أن ابن خلدون من كبار المتأخرين الذين التقت عندهم نهايات الفنون والعلوم الإسلامية في القرن الثامن الهجري» (١٤).

[٢] من حيث ترتيب كل منهما للأقسام والفروع

اختلف الفارابي عن ابن خلدون في ترتيبه للعلوم، وفقاً للأساس الفلسفي الذي اعتمده، ويشير عثمان أمين في مقدمته لكتاب «إحصاء العلوم» يبدو لنا حين التأمل أن الفارابي قد رتب العلوم بهذا الوضع ترتيباً مخصوصاً يجري على نسق طبيعي ويلائم الارتباط المنطقي بين الموضوعات فهو:

(أ) قدم علم اللسان وفروعه من نحو وصرف وغيرهما وأعقبه بعلم المنطق، وذلك لأن علم اللسان عند كل أمة أداة لتصحيح ألفاظها وتقويم عباراتها فوجب تقديمه على سائر العلوم، ثم هو مما لايستغنى عنه في دراسة أوائل صناعة المنطق.

(ب) وقدم المنطق على العلوم الأخرى لأنه يغطي جملة القوانين التي شأنها أن تقوِّم العقل وتسدد الإنسان نحو طريق الصواب. وقد فصل الفارابي المنطق عن الفلسفة وجعله علماً مستقلاً متأثراً على مايبدو بأرسطو.

(ج) قسم الفارابي بعد ذلك العلوم إلى قسمين: علوم نظرية تشتمل على العلوم الرياضية بأنواعها والعلم الطبيعي والعلم الإلهي. وعلوم عملية وذكر منها العلم المدني ثم علم الفقه وعلم الكلام. وهذا التقسيم يوافق تقسيمه للفلسفة في كتابه التنبيه على السعادة إلى فلسفة نظرية وفلسفة عملية، وهي فكرة مأخوذة عن أرسطو في الأساس (١٥)، غير أن الشيء المثير للاهتمام هو إلحاق الفارابي للعلوم الإسلامية بفرعيها علم الفقه وعلم الكلام للعلوم العملية، وقد كان الأحرى به أن يجعلها قسماً مستقلاً. وقد لقي هذا الإلحاق انتقادات شديدة ذهبت إلى حد القول إن الفارابي أراد أن يتكيف مع تصنيف الفلاسفة للعلوم فأدخل علم الفقه وعلم الكلام في قسم العلوم العلمية مع أنهما علمان إسلاميان أصلاً (١٦).

أما ابن خلدون فقد قسم المعرفة إلى قسمين رئيسين على أساس التقسيم الثنائي الذي طوره واعتمد

فيه العقل، فالعلوم التي يهتدي إليها الإنسان بفكره تسمى علومًا عقلية، والعلوم التي يأخذها عمن وضعها تسمى علومًا نقلية. وقد فصل ابن خلدون ترتيب العلوم على أساس العلوم النقلية ثم العلوم العقلية، لأنه لما كانت العلوم النقلية تشمل الشرعيات المستندة إلى الكتاب والسنة كانت دراستها قبل دراسة العلوم العقلية أفضل لأنها تصون الفكر من الوقوع في معاطب الفلسفة، فعلى من يستهويه مرض الفلسفة أن يلقح نفسه بالعلوم الدينية (١٧)، وهكذا قدم ابن خلدون علوم الشريعة الإسلامية على كل العلوم الأخرى وأهمل الفلسفة لأن في ذلك استجابة واضحة لخصوصيات الحضارة الإسلامية فخالف بذلك الفارابي وغيره من المصنفين الفلاسفة الذين جعلوا علوم الشريعة الإسلامية في نهاية خطة التصنيف.

[٣] أوجه الاختلاف وأوجه الشبه في ذكر الموضوعات

٣/ ١ أوجه الشبه

٣/ ١/ ١ في مجال الفلسفة يتفقان على ذكر العلم الإلهي وعلم المنطق وعلم أحكام النجوم.

٣/ ١/ ٢ في مجال الديانات يتفقان على ذكر علمين من العلوم الإسلامية هما علم الفقه وعلم الكلام.

٣/ ١/ ٣ في مجال اللغات يتفق الطرفان على ذكر فرعين من فروع اللغة وهما علم اللغة وعلم النحو.

٣/ ١/ ٤ في مجال العلوم الطبيعية والرياضيات يتفق الطرفان على ذكر الفروع التالية لعلم الرياضيات: علم العدد (الحساب) وعلم الهندسة، وكذلك نجد بينهما اتفاقًا على ذكر علم الفلك، والعلم الطبيعي (وهنا نجد اتفاقًا في التسمية واختلافًا في المحتوى).

٣/ ١/ ٥ في مجال الفنون يتفق الطرفان على علم الموسيقا فقط.

٣/ ٢ أوجه الاختلاف

يختلف التصنيفان أيضًا في تلك المجالات ومجالات أخرى على النحو التالي:

٣/ ٢/ ١ ففي مجال الفلسفة يزيد الفارابي موضوعي علم النفس وعلم الأخلاق.

٣/ ٢/ ٢ وفي مجال الديانات يزيد ابن خلدون كثيرًا من الموضوعات التي أغفلها الفارابي، فهي أولاً قسم رئيس يأتي في المقدمة، وتضم بالإضافة إلى علم الفقه وعلم الكلام، علوم القرآن، والحديث والتوحيد والتصوف وعلم تعبير الرؤيا، وهو من الموضوعات الفلسفية وليس الدينية.

٣/ ٢/ ٣ في مجال العلوم الاجتماعية يورد الفارابي علمًا واحدًا هو السياسة بينما نجد ابن خلدون وهو مؤسس علم الاجتماع لايذكر في تصنيفه أي علم من العلوم الاجتماعية، وهذه من المفارقات العجيبة عند ابن خلدون.

٣/ ٢/ ٤ في مجال اللغات ينفرد الفارابي بعلوم الصرف، والكتابة، والقراءة والعروض، بينما ينفرد ابن خلدون بعلم البيان.

٣/ ٢/ ٥ أما في مجال الأدب فنجد إهمالاً واضحًا من جانب الفارابي الذي جعل الخطابة والشعر من فروع علم المنطق أما ابن خلدون فقد ركز على الأدب نظمه ونثره وأتبعه للغات.

٣/ ٢/ ٦ في مجال العلوم الطبيعية والرياضيات. انفرد الفارابي بعلم المرايا، وعلم الأثقال وعلم الحيل والكيمياء والنبات والحيوان. أما في مجال العلم الطبيعي فنجد اتفاقًا في الاسم واختلافًا في المحتوى فالفارابي يقسم العلم الطبيعي إلى الأجسام الطبيعية والأجسام البسيطة والكون والغار أما ابن خلدون فيقسم العلم الطبيعي إلى علم الطب وعلم الفلاحة.

٣/ ٢/ ٧ في مجال العلوم التطبيقية انفرد الفارابي بذكر العديد من الفروع التي تختص بالصناعات التي فرعها من الحيل الهندسية مثل صناعة البناء وصناعة الآلات، والمناظر، والمرايا المحرقة، وآلات الرصد والأسلحة والأواني العجيبة والصناعات المدنية. أما ابن خلدون فلا يذكر شيئًا من هذه العلوم.

٣/ ٢/ ٨ أما في مجال التاريخ والجغرافيا، وهو مجال ابن خلدون الرئيس فنجد مفارقة أخرى لا تقل أهمية عن تلك التي برزت في مجال العلوم الاجتماعية فقد اغفل ابن خلدون نهائيّاً ذكر التاريخ على الرغم من أنه ألف أكثر كتب التاريخ شهرة في الحضارة العربية الإسلامية. أما الفارابي فقد أشار إلى الجغرافيا في علم النجوم ولكنه لم يذكرها صراحة بل اكتفى بالإشارة إلى الأرض المعمورة وغير المعمورة.

٣/ ٢/ ٩ مما سبق يتضح لنا أن الفارابي وابن خلدون أغفلا تمامًا ذكر الموضوعات التالية:

(١) التاريخ والجغرافيا والسير (التراجم).

(٢) الديانات الأخرى غير الديانة الإسلامية.

(٣) اللغات الأخرى غير اللغة العربية.

(٤) الكيمياء.

(٥) أنواع الفنون الأخرى غير الموسيقا كالتصوير.

الخلاصة

(١) يعد الفارابي رائدًا في مجال التصنيف عند العرب والمسلمين، فهو صاحب المدرسة الفلسفية في التصنيف الإسلامي، ومؤلف أول كتاب عربي في تصنيف العلوم هو إحصاء العلوم.

(٢) كان الفارابي مدركًا لأهمية تصنيف العلوم وصلة هذا التصنيف بالمنهج العلمي لأن هذا المبحث إنما يندرج في منطق العلوم ولا يمكن للباحث أن ينفذ بفكره في علوم العصر دون أن تكون لديه فكرة تكاملية من الترابط الموجود بين هذه العلوم واشتقاقها بعضها من البعض الآخر على النحو الذي أنجزه الفارابي (١٨).

(٣) فشل الفارابي في تحديد مكان العلوم الإسلامية داخل تصنيفه لأنه أراد التكيف مع الخريطة الإغريقية لتصنيف العلوم، لأنه كان متأثرًا إلى حدٍّ كبير بتصنيف أرسطو الفلسفي للمعرفة.

(٤) تأثر الكثيرون ممن جاءوا بعد الفارابي أمثال ابن سينا وإخوان الصفا بالتصنيف الذي وضعه بالفلسفة التي استند إليها في تقسيم العلوم.

(٥) امتاز عصر ابن خلدون بالركود والانحلال والتأخر وغلبت عليه روح الجمع وتدوين المصنفات الضخمة خوفًا من ضياع التراث بعد هجمات التتار وغيرهم على بلاد الإسلام. وقد أثر ذلك على ابن خلدون وجعله يهتم بتقسيم العلوم دون فهم واضح لمحتويات بعضها فجاء تمييزه للعلوم غير واضح، وكان التداخل بين العلوم النقلية والعلوم العقلية من سمات تصنيفه الرئيسة (١٩).

(٦) أهمل ابن خلدون الفلسفة العلمية فلا يشير إلى الأخلاق أو تدبير المنزل كما أهمل أيضًا السياسة والتاريخ والعمران والجغرافية. وهذا من أعجب العجب إذ إن مقدمة ابن خلدون وَضَعتْ أسس علمين على الأقل من هذه العلوم الأربعة وهما علم التاريخ وعلم الاجتماع (العمران) (٢٠).

(٧) اهتم ابن خلدون اهتمامًا كبيرًا بتدوين العلوم النقلية أي العلوم الشرعية وتوسع في تصنيفها، وهو يذكر أن هذه العلوم كانت سوقها باهظة في بلاد المشرق وغير نافقة في بلاد المغرب على عصره. أما العلوم العقلية فهي مجموعة علوم الفلسفة والحكمة، فقد

كانت رائجة، على مايقول عند الفرنجة في أوربا وغير نافقة في بلاد المشرق. والأمر الذي لاشك فيه أن ابن خلدون قد استفاد بدون شك من تجربة الفارابي. وأضاف تصنيفًا كاملاً للعلوم الشرعية (٢١).

المراجع والهوامش

(١) محمد علي أبو ريان. «تصنيف العلوم بين الفارابي وابن خلدون» ٠- عالم الفكر ٠- مج٩، ع١ ٠- ص ٩٧ - ١٢٢.

(٢) جميل صليبا. ابن خلدون: منتخبات/ جميل صليبا، كامل عياد ٠- دمشق: مطبعة ابن زيدون، ١٩٩٣ ٠- ص١٦.

(٣) عبدالوهاب عبدالسلام أبو النور. الخطة العربية للتصنيف: الأسس والادخار العام ٠- في: مؤتمر الإعداد البيليوجرافي للكتاب العربي (٢: بغداد: ١٩٧٧) ٠- المؤتمر الثاني للإعداد البيليوجرافي للكتاب العربي ٠- بغداد: دار الرشيد للنشر، ١٩٧٩. ص١٨١.

(٤) طاش كبرى زاده. مفتاح السعادة ومصباح السيادة/ تأليف طاش كبري زاده؛ تحقيق وتقديم عبدالوهاب عبدالسلام أبي النور، كامل بكري ٠- القاهرة: دار الكتب الحديثة، (١٩٦)ج١.

(٥) الفارابي، أبو نصر محمد بن محمد (ت٣٣٩هـ/ ٩٥٠م). إحصاء العلوم/ لأبي نصر الفارابي، حققه ووفق على طبعه وصدره بمقدمة مع التعليق عليه عثمان محمد أمين ٠- القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٣١م ٠- ص٦.

تم الاعتماد على إحصاء العلوم في عرض خطة التصنيف الكاملة للفارابي.

(٦) انظر:
ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد ابن خلدون (٧٣٢ - ٨٠٨هـ/ ١٣٣٢ - ١٤٠٦م). مقدمة ابن خلدون/ تحقيق علي عبدالواحد وافي ٠- القاهرة، البيان العربي، ١٩٦٠ ج٣.

(٧) عبدالوهاب عبدالسلام أبو النور. الخطة العربية للتصنيف. ص١٩٠.

(٨) ابن خلدون. عبدالرحمن بن محمد. مقدمة ابن خلدون.

(٩) لاحظ الباحث من خلال اطلاعه على بعض المصادر التي تحدثت عن تصنيف ابن خلدون أن هناك اختلافًا في ترتيب الفروع التابعة للعلوم النقلية، فبينما يبدأ محمد علي أبو ريان في مقالته «تصنيف العلوم بين الفارابي وابن خلدون» بعلوم اللسان نجد عبدالوهاب أبا النور في مقدمته لكتاب مفتاح السعادة يجعلها في نهاية التصنيف، ويبدأ بعلوم القرآن.

(١٠) يضع أبو النور هذا الموضوع مع العلوم الشرعية وليس مع العلوم العقلية.

(١١) أضاف أبو النور علم الكيمياء إلى العلوم العقلية مع أنه غير وارد في مقدمة ابن خلدون والمصادر الأخرى.

(١٢) طاش كبري زاده. مفتاح السعادة ومصباح السيادة. ص٥٣.

(١٣) طاش كبري زاده. مفتاح السعادة ومصباح السيادة. ص٦١.

(١٤) محمد أبو ريان. تصنيف العلوم بين الفارابي وابن خلدون. ص ٩٧ - ١٢٢.

(١٥) الفارابي، أبو نصر محمد بن محمد. إحصاء العلوم. ص٨.

(١٦) عبدالوهاب عبدالسلام أبو النور. الخطة العربية للتصنيف. ص١٨١.

(١٧) جميل صليبا. ابن خلدون: منتخبات/ جميل صليبا، كامل عياد ٠- دمشق: مطبعة ابن زيدون، ١٩٣٣، ص١٩.

(١٨) محمد علي أبو ريان. تصنيف العلوم بين الفارابي وابن خلدون. ص ٩٧ - ١٢٢.

(١٩) المرجع السابق

(٢٠) محمد عبدالرحمن. الموجز في تاريخ العلوم عند العرب ٠- بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٧٠.

(٢١) محمد علي أبو ريان. تصنيف العلوم بين الفارابي وابن خلدون ص ٩٧ - ١٢٢.

(*) يسمي ابن النديم الكتاب «مراتب العلوم» وفي مقدمة إحصاء العلوم ترد العبارة التالية «كتاب أبي نصر محمد بن محمد الفارابي في مراتب العلوم».

التعليم الأهلي في المملكة العربية السعودية

لمنيع بن عبدالعزيز المنيع

يوسف حسن العارف
المدرسة العربية السعودية
إسلام آباد - باكستان

المنيع، منيع بن عبدالعزيز / التعليم الأهلي في المملكة العربية السعودية تطوره .. واقعه .. عوامل النهوض به .- الرياض : دار الشبل، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م .- ٤٧٤ص .

أولاً - توطئة : ١ - تقاس القيمة العلمية لأي جهد علمي - تأليفًا أو كتابة - من كونه يعالج مشكلة يهتم بها المجتمع القارئ الذي يوجَّه إليه هذا الجهد العلمي . ولكي نصل إلى هذه العقلية القارئة لابد أن يبحث المؤلف/ الكاتب عن الأسلوب أو الصيغة الكتابية المناسبة لإيصال تلك المعالجة إلى أذهان القراء الذين تتوجه إليهم هذه الجهود العلمية .

ولعل أحد الموضوعات والوسائل التربوية المهمة التي تشغل بال الدارسين والباحثين التربويين في المملكة العربية السعودية - وخاصة في مجال المناهج الدراسية وتفرعاتها التخصصية - قضية التعليم الأهلي تأرخة، وواقعًا، ونظرة مستقبلية . ولذلك جاء اهتمام أقسام الدراسات التربوية في كلياتنا وجامعاتنا لتوجيه الدارسين والباحثين لمعالجة الموضوعات التي تتعلق بهذه القضية . فقُدِّم الكثير من الدراسات والأبحاث في هذا المجال، وحاز أصحابها على الدرجات العلمية المناسبة . ولو أن الكثير منها قد وجد طريقه إلى النشر، لتشكلت لدينا مكتبة تربوية معاصرة، تلقي الضوء على إشكالاتنا التربوية وحلّها وترشيد مسارها . ولكن للأسف . مازالت تلك الدراسات والأبحاث على هيئتها الأولى، لا يفيد منها إلا الباحثون الجدد الذين يُوجَّهون إلى مزيد من الدراسات التربوية المماثلة .

وإذا كانت جامعاتنا وكلياتنا التربوية تتقاعس عن تقديم هذه الأبحاث والدراسات للمجتمع القارئ ونشرها، فليس أقل من أن يقوم الباحثون - أنفسهم - بهذا المطلب الثقافي لتزويد المكتبة التربوية بهذه الجهود المتميزة والمفيدة، إن استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، ولعل قلة من هؤلاء من يستطيع، ومنهم - بلاشك - صاحب كتابنا الذي نتداخل معه الآن .

ومع هذه الشجاعة العلمية التي تحمد لصاحب هذا الجهد الكبير، إلا أنه لا يمنع أن يكون قد عرَّض فكره ودراسته للنَّقد والمداخلة، لأنهم يقولون «من ألف قد استهدف» . ومهما كان النقد، ومهما كانت الملاحظات، فالمؤمل أن يكون صدر المؤلِّف رحبًا ومتقبلاً ؛ لأن الهدف الذي ينطلق منه القارئ الناقد والمؤلف الكاتب، هو طلب الحقيقة والفائدة العلمية

وبلوغ أقصى ما يمكن من درجات الكمال المستطاع . ولذلك آمل أن تكون هذه المداخلة مع هذا الجهد العلمي في الإطار نفسه الذي أريد لها . وهو أن يكون تنويراً وإضافة إلى هذا الجهد المتميز والمفيد .

٢ - لقد عرفت منيع عبدالعزيز المنيع - مؤلف هذا الكتاب - في الفترة من شهر جمادى الآخرة إلى أواخر شهر شعبان سن ١٤١٤هـ . حيث كان في زيارة إلى باكستان منتدبًا من قبل جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، للمشاركة في بناء المناهج الدراسية الباكستانية وتجديدها وفق نظرة إسلامية . ومن خلال هذه الزيارة تم التعارف والتآلف العلمي والتربوي - لا سيما وأنا أعمل في حقل التربية والتعليم - وأدركت أنه يحمل فكراً تربوياً جيداً وينهج نهجًا إسلامياً نيراً، وله حضور متميز، فنسَّقت معه لإقامة أمسية تربوية اخترت لها عنوانًا «الطالب بين المدرسة والبيت» لتكون فاتحة لأمسيات خميسية نعتزم إقامتها في إسلام آباد لنشر الفكر والثقافة العربية . وتم ذلك - والحمدلله - مساء الخميس ٣/ ٧/ ١٤١٤هـ . بحضور جمع كبير من الآباء/ أولياء أمور الطلبة العرب والسعوديين، والزملاء المدرسين بالمدرسة العربية السعودية في إسلام آباد، وبعض التربويين والمفكرين من أساتذة الجامعة الإسلامية العالمية في إسلام آباد - أيضًا - .

ومنذ ذلك الوقت توطدت علاقتنا الأخوية والعلمية، وتوّجها - جزاه الله خيراً - بإهدائي باكورة إنتاجه العلمي هذا الكتاب . وقد قلت له حينها : إن وجود الكتاب بين يديَّ يعني مدخلاً أوليّاً لكتابة جديدة عليه، فأنا أومن بالقراءة والوعي وإنتاج قراءة جديدة عليها، فيما أسمية بالقراءة المنتجة، القراءة الواعية .

وقلت له - أيضًا - إن الكتابة التي تتمخض عن قراءة واعية لن تكون كتابة مجاملة ونشر وتعريف، بقدر ما ستكون مداخلة علمية منهجية، تضيء ما خبا، وتكشف ما ستر، كتابة إضافة، وبناء، وتنوير، كتابةً تتخذ من قول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب «رحم الله امرءاً أهدى إلي عيوبي»، ومن مقولة الباحث، المؤلف في مقدمته «وإني لأرجو أن تكون ملاحظات القراء ونقدهم رافداً يعين على سد هذا النقص والوصول به إلى مستوى أفضل» (١) - نبراسًا نسترشد به أثناء هذه المداخلة والحوار .

ثانيًا : التعريف بالكتاب

يقع هذا الكتاب في ٤٧٤ صفحة، بما فيها المقدمة والتمهيد والمراجع وفهرس الموضوعات، وكل ذلك ينتظم في سبعة فصول أشار إليها المؤلف في مقدمة الكتاب :

ففي ***الفصل الأول*** : تعريف بمشكلة البحث، وأهميته وأهدافه، وخطته، وشرح مصطلحاته ومنهجه، وأدواته .

وفي ***الفصل الثاني*** : تعريف بالدراسات السابقة التي ناقشت بعض موضوعات هذه الدراسة سواء داخل المملكة أو خارجها عربياً وأجنبياً .

وفي ***الفصل الثالث*** : تعرض الباحث إلى اللوائح والنظم التعليمية في المملكة العربية السعودية، وخاصة المرحلة الابتدائية، ثم عرج إلى التعليم الأهلي ونشأته وتطوره والعوامل المساعدة في ذلك .

وأما ***الفصل الرابع*** : فهو وصف تحليلي لمراحل إجراء هذه الدراسة من جمع للمعلومات، وطرق إعدادها، وأساليب معايرتها ثم التعريف بمجتمع البحث والطريقة التي تم بها اختيار العينات .

وفي ***الفصل الخامس*** : بدأت الدراسة الميدانية حيث ناقش فيها الباحث واقع النشاط المدرسي في المدارس الأهلية من خلال تحليل الاستبانات ونتائجها .

وكذلك في **الفصل السادس** : استكمل الباحث دراسته الميدانية حول الوسائل التعليمية في المدارس الأهلية والمواد المضافة إلى الخطة الدراسية في هذه المدارس - أيضًا - وأخيرًا؛ ناقش الباحث المزايا والعيوب التي تعيشها المدارس الأهلية وما تواجهه من مشكلات.

وفي **الفصل الأخير** : عرض الباحث لنتائج بحثه، والتوصيات التي تهدف إلى النهوض بالمدارس الأهلية (٢) .

ومن خلال هذا الاستعراض لفصول الكتاب، يتضح أن أغلب فصول الكتاب وهي الفصول الأربعة الأولى، جاءت في طريقة وصفية سردية إحصائية، جداولية لا تفيد القارئ بشيء، وقد تفيد الباحث التربوي لمعرفة مناهج البحث التربوية. بينما جاء الفصلان الخامس والسادس لمناقشة مشكلة البحث من خلال إحصاءات وجداول جافة، مع تعليقات متفرقة هنا وهناك. ثم جاء فصل الختام وهو فصل النتائج والتوصيات التي من خلالها يمكن قراءة الكتاب كله دون الوقوف طويلاً عند الفصول الستة الأولى، وبمعنى آخر: فإن هذا المؤلَّف كله يمكن بلورته من خلال الفصل السابع فقط، وسيكون هناك تفصيل أعم وأشمل لهذه الوقفة النقدية، إن شاء الله.

ثالثًا: المداخلةُ والتعليق

١ - ملاحظات عامة وشاملة

١ / ١ رؤية أولية :

من الحقائق المهمة التي لابد من التأكيد عليها أولاً، أن الكتاب الذي بين أيدينا قد مر بمستويين من الدراسة :

الأول : عندما كان رسالة علمية تقدم بها الباحث لنيل درجة الدكتوراه عام ١٤١٠هـ.

والثاني : عندما تحولت هذه الرسالة إلى كتاب مطبوع سنة ١٤١٤هـ، وهذا يتطلب شيئًا من الحذف والتبديل والإضافة.

ولعل هذه المسألة تجعلنا أمام استفسار يفرض نفسه وهو : متى يمكن أن يتحول الجهد البحثي الدراسي / الرسالة العلمية، إلى كتاب مطبوع، إلى مؤلَّف منشور، إلى طرح علمي متداول، يستفيد منه التربويون الأكاديميون والمتخصصون. كما يستفيد منه المشتغلون في المدارس الأهلية، من إداريين ومدرسين ومشرفين، كما يستفيد منه الطالبون للمعرفة من الآباء وأولياء الأمور والراغبين في فتح مدارس أهلية من الموسرين والقادرين ؟ !.

وللإجابة عن هذا التساؤل، لابد من معرفة طبيعة الدراسات التربوية ومناهج أبحاثها التي تعد مناهج حديثة إذا قورنت بالدراسات التاريخية التي يكون لها مناهج بحث مختلفة تعتمد على جمع المادة العلمية من مصادرها الرئيسة والثانوية، ثم تنظيمها وترتيبها وتبويبها، ثم إخضاعها للنقد والمراجعة والتحليل والنظر والمقارنة والاستنتاج، ثم اختيار الأفكار المناسبة والأصلح سعيًا للوصول إلى الحقيقة التاريخية أو ما يقرب منها، ثم صياغة ما توصل إليه الباحث من حقائق في عبارات دقيقة توضح المعنى المقصود، وتصل إلى النتائج المتوخاة دون التحيز لفكرة معينة، أو تطويع الحدث التاريخي لمبدأ خاص أو هدف ذاتي (٣) ، وهذا يعني أن الجهد كلَّه على الباحث / المؤلف.

أما الدراسات التربوية فإن مناهجها تقوم على الطريقة نفسها التي قام بها مؤلف هذا الكتاب في مستواه الأول - كرسالة علمية - واستمر عليه - في مستواه الثاني - ككتاب مطبوع، وهي كما يلي :

١ - تحديد مشكلة البحث.

٢ - بيان أهداف البحث وأهميته .

٣ - بيان حدود البحث وجوانبه الرئيسة .

٤ - بيان منهج الدراسات وأدواتها، وهي :

أ - الاستبانة الموجهة إلى كل من يخدم مشكلة البحث .

ب - الملاحظة الشخصية .

وهذا يعني - فيما نراه - أن البحث التربوي المعاصر يقوم على طرفين : أولهما : مجتمع البحث الذي تختار منه العينات، وتطرح عليهم الأسئلة والاستفسارات المقننة ثم يجيبون عنها، ويشاركون في صياغة النتائج ، وطرح الحلول الممكنة .

وثانيهما : الباحث، الذي يَنْصَبُّ دوره على تقنين الأسئلة . وعمل الاستبانات، وتحليل وتبرير وجمع وترتيب وإحصاء وجدولة لما يحصل عليه من إجابات الطرف الأول . وما سجلهُ من ملاحظات شخصية قد تضيف أو تعدل أو توضح بعض الجوانب التي أغفلتها إجابات مجتمع البحث، وهذا يعني أن المادة العلمية - التي تشكل العمود الفقري لكل دراسة - قد وفرها وشارك فيها الطرف الأول - مجتمع البحث - ، ولم يبق للطرف الثاني - الباحث - إلا استخلاص النتائج بالطرق التربوية المعروفة .

ونحن - هنا - لا نقلل أبدًا من جهد الباحث التربوي، ولا من المنهج المتبع في الدرس التربوي لأنه منهج متعارف عليه ومتبعٌ، ولابد للدارس التربوي أن يقوم به للحصول على بحث تربوي مفيد وجديد يتقدم به إلى لجنة متخصصة لفحصه ومناقشته - وبالتأكيد - هم تربويون وأكاديميون ومتخصصون في مجال البحث والدراسة التي تقدم بها الباحث، وسيجيزون بحثه لأنه متمكن من أدوات البحث ومناهجه، وسيقدرون له هذا الصنيع . وهذا ما حصل لمؤلف هذا الكتاب في مستواه الأول كرسالة علمية، فقد حصل على تقدير مرتبة الشرف الأولى، والتوصية بطبع الرسالة من الجامعة التي تقدم لها بهذا الجهد العلمي لنيل درجة الدكتوراه(٤).

ولكن إذا دعت الحاجة - وهي داعية بلاشك - إلى طبع هذا الجهد العلمي، وتحويله إلى كتاب موجه إلى طبقات مختلفة من القراء، فإنني أرى، أن الحاجة ماسة جداً إلى تنحية ذلك المنهج الصارم الذي يطالب به المتخصصون في الجامعات طلاب الدراسات العليا، وعلى الباحث / المؤلف أن يعيد تجربته الكتابية، ويقدم خلاصة بحثه في أسلوب جديد، ورؤية جديدة بعيداً عن الإحصاءات والجداول، قريبًا من تسلسل الأفكار والموضوعات التي تعالج جوانب المشكلة، دون الإسهاب في الدراسة الوصفية التي أثقل بها الباحث / المؤلف كاهل القراء عبر الفصول الستة الأولى .

ولهذا فإنني أقترح على الباحث / المؤلف أن يعيد صياغة كتابه انطلاقًا مما وصل إليه من نتائج وتوصيات . وعندها سيصبح الكتاب في حدود ١٥٠ - ٢٠٠ صفحة مكثفة ومحققة للهدف المرجوّ من الكتاب .

٢ / ١ **العنوان** :

يحمل الكتاب الذي بين أيدينا عنوانًا كبيراً وهو «التعليم الأهلي في المملكة العربية السعودية : تطوره ، واقعه ، عوامل النهوض به» ومن خلال هذا العنوان يمكن للقارئ تشريحه على النحو التالي :

١ - التعليم الأهلي في المملكة العربية السعودية : ويفهم من هذا أن البحث سينصَبُّ بشكل خاص حول مسألة التعليم الأهلي وإشكالاته المتعددة، وفي كل المراحل الدراسية (ابتدائية، متوسطة، ثانوية وما قبل الابتدائية) ليلية ونهارية، ما يخص الأبناء والبنات .

٢ - تطوره : ويفهم من هذا أننا إزاء ناحية تاريخية عبر مدة زمنية طويلة، تبدأ من أول مدرسة أهلية

تأسست في المملكة وحتى العام الدراسي الذي أنتج فيه الكتاب سنة ١٤١٤هـ .

٣ - واقعه : ويفهم من هذا أننا سنقرأ تحليلاً واقعياً لما يعيشه هذا النوع من التعليم من حيث إيجابياته وسلبياته .

٤ - عوامل النهوض به : ويفهم من هذا - أخيرًا - أننا سنقف على جملة من التوصيات التي تسهم في تحسينه وتطويره والنهوض به من كبوته فهو مُدَانٌ سلفًا بأنه تعليم يعيش مرحلة من الاحتضار ولابد من النهوض به .

هذا ما يوحي به العنوان لقارئ مثلي، وهذا ما توقعت أن الكتاب سيناقشه لا سيما وأن الذاكرة القرائية تختزن مقولة شعبية مؤداها «الكتاب يقرأ من عنوانه» .

وما أن نسير في القراءة حتى نفاجأ بقصد المؤلف الحقيقي من مبحثه الرئيس، حيث حدد هذا العنوان الكبير والشامل عندما ذكر مشكلة البحث وحدوده، ففيهما يشير إلى أن الدراسة ستقتصر على «تقويم بعض جوانب المنهج المدرسي في المدارس الأهلية الابتدائية النهارية للبنين، وهذه الجوانب هي : النشاط المدرسي، الوسائل التعليمية، المدخلات أو المواد المضافة إلى خطة الدراسة»(٥) . كما حدد الناحية الزمنية/ التاريخية لهذه الدراسة الميدانية بالفصل الدراسي الثاني للعام الدراسي ١٤٠٧هـ - ١٤٠٨هـ(٦) . مع أن الباحث تعرض في دراسة تاريخية سردية لنشأة وتطور التعليم الابتدائي، وكذلك التعليم الأهلي عبر مدة زمنية طويلة ابتداءً من إنشاء مديرية المعارف سنة ١٣٤٤هـ . وإنشاء المدرسة الصولتية - كأقدم مدرسة أهلية في مكة المكرمة - سنة ١٢٩٢هـ(٧) .

ومن هنا فالمفروض - فيما نراه - أن يتجدد العنوان على هذا الأساس، تجديدًا مقاربًا للإشكالات التي تبحثها الدراسة . وألا يكون العنوان مفتوحًا وموهمًا ومغريًا وخادعًا . لأن قضية التعليم الأهلي في المملكة أخذت بعدًا كبيرًا في قضايانا التربوية والتعليمية، واهتم بها كثير من الناس، ولهذا فَهُم يبحثون عما يضيء لهم هذه المسألة، وينير لهم بعض قضاياها التي تخفى عليهم، ولذلك فالكتاب بعنوانه الحالي - المشار إليه آنفًا - مغر وخادع وليس هذا مما يحمد للدارسين والمؤلفين المتميزين أمثال مؤلف كتابنا، لأنهم يهدفون ويسعون إلى نشر العلم والفكر التربوي قبل تسويقه وبيعه وطلب الربح المادي/ التجاري .

وهنا أقترح أن يكون العنوان مثلاً :

«تقويم بعض جوانب المنهج المدرسي في التعليم الأهلي السعودي . . الأنشطة المدرسية، الوسائل التعليمية، المواد المضافة على الخطة الدراسية» .

وأعتقد أن عنوانًا كهذا، يحمل هذا التحديد المقنن، لم يغب عن بال الباحث ولا عن المشرف ولا عن لجنة المناقشة في حالة الكتاب الأولى - كرسالة علمية - وربما كان هو العنوان الفعلي للدراسة، ولكن المؤلف الكريم رأى تغييره إلى ما هو عليه الآن في مستوى الكتاب الثاني - ككتاب مطبوع - وربما جانبه الصواب في هذا التغيير . إلا أنني لم أجد ما يشير إلى ذلك أو إلى شيء منه . في ثنايا المقدمة أو التمهيد أو هوامش الفصل الأول إلا ما جاء في الهامش المشار إليه سابقًا (رقم *) في هوامش التمهيد(٨) .

٣ / ١ - المقدمة :

المعروف أن «المقدمة» هي آخر ما يكتب الباحث / المؤلف، وأول ما يقرأه القارئ من الكتاب، ولذلك فإن من الأساسيات التي لابد أن يجدها القارئ في المقدمة، تعريف عام بالدراسة أو المؤلَّف . والأهمية التي ينطلق منها، وأسباب اختيار هذا الموضوع دون غيره، وأهداف هذه الدراسة، وجهود المؤلف / الباحث في جمع المادة

وتبويبها، والمناهج والأدوات المستخدمة في إنجاز هذه الدراسة، وإذا استطاع أن يقدم تحليلاً لمصادر دراسته ومراجعها فحسن يفعل، ثم تفصيلاً لمباحث الدراسة أو فصولها أو أبوابها، مع شرح موجز لكل منها . وهذا هو الثابت في كل مناهج البحوث التربوية وغيرها .

ولكن يبدو أن للمباحث والدراسات التربوية المعاصرة، طريقة جديدة، فيما يخص «المقدمة» فنجد كثيراً من الرسائل العلمية في الأقسام التربوية توزع هذه المقدمة على فصول ثلاثة أو أربعة، من الفصول الرئيسة التي تشكل بنية الدراسة أو البحث، فيجعلون لخطَّة الدراسة فصلاً مستقلاً، وللدراسات السابقة «التي نعتبرها من مصادر الدراسة» فصلاً مستقلاً، ولمنهج البحث وأدواته فصلاً مستقلاً، ثم تجيء الدراسة الميدانية في خاتمة المطاف عبر فصل أو فصلين . وهذا ما اتبعه صاحب هذا الكتاب، حيث تمشى مع مناهج البحث التي يؤمن بها وتدرب عليها(٩)، وهو أمر مقبول في حالة الكتاب الأولى عندما كان رسالة علمية . أما وقد تغير الهدف وتحول الكتاب إلى مستواه الثاني فإن الوضع - كما نراه - يفضل أن يتغير، بحيث تجمع كل هذه الفصول المتفرقة، وتضاف إلى المقدمة التي جاءت مختصرة جدًّا(١٠)، بحيث تشتمل على كل مهم في تلك الفصول المتعددة، وذلك من خلال عناوين فرعية وجانبية .

وهنا نقترح على المؤلف الكريم ما يلي :

أ - إلغاء الفصل الأول ص ١١ - ٢٩ . وإضافته إلى المقدمة المقترحة .

ب - إلغاء الفصل الثاني ص ٣٣ - ٨٣ لأنه جاء فصلاً تعريفيّاً بالدراسات السابقة . ويبدو فيه استطراد وتطويل زائد لا داعي له - لا سيما في حالة الكتاب الثانية - ويمكن الاكتفاء بالإشارة إلى هذه المصادر مع ملامسة نقدية يتبين من خلالها القرب والبعد عن هذه الدراسة التي يعمل عليها المؤلف، ومدى الاستفادة من تلك الدراسات السابقة، ويمكن إضافتها إلى المقدمة تحت عنوان فرعي يُعرِّفُ بها .

ج - إلغاء الفصل الرابع، القسم الأول ص ١٥٥ - ١٨١، لأنه لا يفيد القارئ بعد تحول هذا الجهد العلمي من رسالة علمية يقرؤها المتخصصون، إلى كتاب منشور يقرأه طبقة المثقفين، ففي هذا القسم نلاحظ كثيراً من الشروحات الوصفية لجهد الباحث أثناء اختيار أدوات البحث وعيناته، وطريقة الاستبانة، وفلسفة الأسئلة المطروحة فيها، وطريقة تحكيم الاستبانة، واختيار المحكمين، وعينات البحث من مدارس وإداريين ومدرسين وموجهين وأعدادهم وإحصاءاتهم ودورهم في إجراء الدراسة الميدانية، وكيف تحولت هذه الجهود إلى جداول وإحصاءات استغرقت أغلب صفحات هذا الفصل . وهذا كله - فيما نراه - زيادة لا مبرر لها، واستطراد لا يفيد القارئ، الأمر الذي يجعلنا نطرح التساؤل التالي : ما قيمة هذه الجداول الإحصائية - فكريّاً وعلميّاً - لقارئ غير متخصص، قارئ منشغل بهم المدارس الأهلية، مدرسًا أو إداريّاً فيها، ولي أمر طالب من طلابها ؟ ! يبحث في كتاب مثل هذا عما يوسع مداركه، ويجيب عن تساؤلاته، ويضيف إلى ثقافته ؟!!

وما دمنا في إطار «المقدمة» فهناك ملاحظة أخرى لا تقل أهمية عن سابقتها، وهي أن المؤلف الكريم قد لجأ إلى كتابة مقدمة لكل فصل من فصول الكتاب، وهذه طريقة - فيما يبدو - عقيمة، سواء في مستوى الكتاب الأول - كرسالة علمية، أو مستواه الثاني - ككتاب مطبوع لأن الرسالة، إذا حملت مقدمة واحدة أغنت عن غيرها، ولا داعي للاستطراد

والتطويل غير المفيد «١١»؛ ولذلك نقترح إلغاءها وإضافة ما فيها إلى المقدمة الرئيسة .

٤ / ١ مصطلحات البحث :

من أهم ما تمخض عنه الدرس النقدي الحديث، وبالتالي الدراسات التربوية والإنسانية أن يلتزم الباحث والمؤلف والكاتب - قبل الولوج إلى صلب دراسته أو كتابته - أن يقدم للقراء تعريفًا أو تحديدًا للمصطلحات التي سيتعامل معها طوال البحث والدراسة، لا سيما إذا أدركنا أن لكل مصطلح دلالات وتعريفات تختلف باختلاف القراء والثقافات والسياقات . ومن هنا فإن مناهج البحث في الدرس التربوي المعاصر لا تتساهل في هذه المسألة، بل تصر على مطالبة المتخصصين بالالتزام بهذا المنهج .

ولهذا قام المؤلف الكريم بإيراد مصطلحات بحثه، والتعريف بها، بعد استعراض طويل للتعاريف والتحديدات السابقة للمصطلحات نفسها، وأخيرًا يصل إلى التعريف الذي يميل إليه «١٢» . وهنا لنا وقفة: فالقارئ - في نظري - لا يريد الخوض في التعريفات المختلفة لكل مصطلح عند جملة من الباحثين والدارسين، لأن حصرها قد يصعب على الباحث / المؤلف، وسيضطر إلى إيراد تعريفين أو أكثر إذا اختصر، وإن أطال أوردها جميعًا وهذا كثير على القارئ فيكون بذلك بين إسهاب وإطناب . وهذا خلل لا ترضاه مناهج البحث المتميزة، ولذلك نميل إلى أن يدخل بنا المؤلف مباشرة إلى التعريف أو التحديد الذي يرتضيه ويختاره لكل مصطلح من مصطلحات بحثه، وهذا أسهل عليه وأوفر لوقته، وأرحم للقارئ، وإن كان لابد من ذكر التعريفات السابقة للمصطلح أو بعضها فلتكن خارج المتن وبشكل مختصر في الهوامش، حتى لا يثقل المتن بما هو خارج عنه أو زيادة لا داعي لها .

٥ / ١ الهوامش (و الإحالات :

ونعني بها - حسب مناهج البحوث المعتمدة - أن يذكر الباحث / المؤلف مصادره التي استفاد منها في بحثه أو مؤلفه، ومراجعه التي رجع إليها، والأفكار التي تداخل معها، وفق تسلسل رقمي يختاره الباحث . وهذه أسلم طريقة يثبت بها الباحث والمؤلف أمانته العلمية . لأن الإنسان - مهما كان - لن يأتي بجديد غير مسبوق في مجال الدرس التربوي والدراسات الإنسانية . ولكنه يتتلمذ على أفكار وطروحات غيره، وليس له من فضل إلا التجميع والتبويب والتحليل والصياغة التي تدل عليه، وتشهد له بهذا الجهد العلمي، وقديمًا قال الشاعر :

وما أرانا نقول إلا معارًا
أو معادًا من قولنا مكرورًا

ولهذا السبب - تقريبًا - تنبه واضعو مناهج البحث لهذه المسألة، وألزموا الباحثين بتوثيق ما يقولون وما يأخذون من أفكار من مظانها ومصادرها التي تفيد في بناء دراساتهم، وذلك اعترافًا لأصحاب الحقوق بحقوقهم وتسهيلاً للبحث عن المعلومة والتأكد منها في مكانها الصحيح .

ولكن مناهج البحث الدراسية تختلف في تحديد الطريقة التي يمكن للباحث أن يتبعها، فمنهم من يرى أن يثبتها حسب أرقام متسلسلة في كل صفحة من المؤلَّف، ويشير إلى مصادرها في هامش أسفل الصفحة . ويبدأ بتكرار الأرقام في كل صفحة . ومنهم من يشير إلى مصادره في نهاية كل فكرة أو معلومة تم اقتباسها أو تقميشها، ومنهم من يوردها مجتمعة في آخر الكتاب مرتبة حسب أرقام متسلسلة في الكتاب بأجمعه، أو حسب كل فصل وباب، ولكن أحدث الطرق وأفضلها - فيما نراه - هي التي اتبعها المؤلف في كتابه الذي بين

أيدينا، وهي إيراد هوامشه وإحالاته في نهاية كل فصل من فصول الكتاب حسب أرقام متسلسلة للفصل كله. وهي طريقة تحمد للباحث لأنها تدل على النزعة التجديدية والتحديثية لأفكاره ومناهجه وأساليبه الكتابية التي يتميز بها الباحثون المجدون والجادون، ولكن التساؤل المطروح هنا هل اتبع المؤلف هذه الطريقة في دراسته عبر مستواها الأول كما هي في مستواها الثاني أم هناك طريقة، وهذه طريقة أخرى ؟ !

٦ / ١ الوسائل التعليمية والأنشطة :

من المعروف - تربوياً وتعليمياً ومنهجياً - أن الوسائل التعليمية - بوصفها جزءاً من المنهج المدرسي - أكثر قربًا والتصاقًا بالمادة الدراسية، وأهم جانب من جوانب المنهج المدرسي. ولذلك فإن الاهتمام الدراسي والتعليمي بها يكون في المرتبة الأولى إذا قورن بأهمية الأنشطة المدرسية سواء الصفية أو اللاصفية.

ولذلك فالتساؤل المطروح هنا لماذا قدم الباحث / المؤلف موضوع الأنشطة المدرسية وجعله متصدراً لدراسته الميدانية، وأخَّر الوسائل التعليمية مع أهميتها - كما ذكر آنفًا ؟ ! ومن هنا، فإني أقترح أن يعاد ترتيب عناصر الدراسة حسب أهميتها بالنسبة للعملية التربوية على النحو التالي :

أولاً : الوسائل التعليمية وواقعها في المدارس الأهلية.

ثانيًا : الأنشطة المدرسية وواقعها في المدارس الأهلية :

ثالثًا : المواد المضافة إلى الخطة الدراسية في المدارس الأهلية.

٧ / ١ - المواد المضافة إلى الخطة الدراسية :

ولعل الجديد في هذه الدراسة، وأهم المباحث التي تعرض لها المؤلف في هذا الكتاب المبحث الخاص بالمواد المضافة على الخطة الدراسية في المدارس الأهلية، والتي جاءت ضمن القسم الثالث من الدراسة الميدانية / الفصل السادس (١٣).

ولأهمية هذا المبحث كنت أتمنى لو خصص له فصلاً مستقلاً بذاته، يتوسع فيه المؤلف دراسة وتحليلاً وتعليقًا بناءً على طرح أسئلة استبيانية عن المواد المضافة وأنواعها، مدى استفادة الطلاب منها، رغبة الآباء وأولياء الأمور والطلبة فيها، مدى اهتمام الإدارة والمدرسين والطلاب بها، الكتب المقررة، الوسائل المستخدمة، الأنشطة المصاحبة، هل هي مواد رسمية أو ثقافية ؟، مدى تأثيرها في احتساب النجاح والرسوب، مدى موافقة الوزارة عليها، مدى الإشراف التربوي عليها، هل السبب في إضافتها ناحية تربوية تعليمية أو تجارية وعائية ؟، هل تتطلب رسومًا إضافية ؟، هل هي مواد رسمية إجبارية أو اختيارية ؟ . . . وغيرها من الأسئلة التي يمكن أن تشكل إجاباتها مدخلاً لرؤية تربوية يطرحها الباحث على وزارة المعارف والمدارس الأهلية للاستفادة منها، لا سيما أن كثيراً من التربويين في بلادنا ينادون بضرورة إدخال مادة اللغة الإنجليزية على المرحلة الابتدائية، وكذلك مادة الحاسب الآلي وغيرها من المواد كالتربية الوطنية والعسكرية والإسعافات الأولية . . . وهكذا.

وأتصور أن الباحث لم يعط هذا المبحث حقه من الدراسة - مع أهميته - فقد أوقف نفسه وأدوات بحثه عند مادة اللغة الإنجليزية، عند الواقع الفعلي للمدارس الأهلية مع هذه التجربة دون أن يرصد الأفق المستقبلي لما تشكله مسألة المواد المضافة على الخطة الدراسية من رؤية تربوية تعكس همنا الوطني.

ومن الوقفات المتميزة للمؤلف في هذا المبحث - الذي نحن بصدده - الفقرة الخاصة بتحليل كتب اللغة

الإنجليزية المقررة في المدارس الأهلية / المرحلة الابتدائية (١٤)، فقد أجاد المؤلف في تحليل هذه الكتب على ضوء أهداف المرحلة الابتدائية التي وردت في وثيقة السياسة التعليمية في المملكة. كما أجاد في استنتاجاته الموفقة، حيث توصل إلى أن تلك الكتب المقررة لم تؤلف لتطبق في بلد إسلامي لما يعتورها من تناقض شديد مع ما تدعو إليه أهداف المرحلة الابتدائية، فضلاً عن قيمنا ومبادئنا، ولذلك نادى المؤلف بأن «تحقيق أهداف المرحلة الابتدائية بالمملكة عن طريق هذه الكتب وبالصورة المطلوبة غير ممكن» وأن «ما تحتويه هذه السلسلة من مخالفات تعمل على هدم ما تبنيه المواد الأخرى من قيم مرغوب فيها، إلى جانب أنها قد تولد لدى الطالب غربة عن مجتمعه وإعجابًا بالمجتمعات التي جاءت منها الكتب . . .» (١٥).

ومع هذه الإيجابية الكبيرة التي حظيت بها هذه الوقفة التحليلية لكتب اللغة الإنجليزية كمواد مضافة إلى الخطة الدراسية في المدارس الأهلية. والتي نشكر الباحث / المؤلف عليها إلا أن لنا وقفات نقدية سنشير إليها في أماكنها المناسبة، إن شاء الله.

٨ / ١ - الأخطاء الطباعية :

من المشكلات التي تواجه المؤلفين والباحثين الراغبين في نشر دراساتهم وكتبهم وطبعها، ما يحصل في كتبهم من أخطاء مطبعية كثيرة أو قليلة مما قد تؤثر على قلب المعاني وتوجيه الكلام وجهة غير مقصودة من كاتبها. ولذلك يتعب المؤلفون في المراجعة والتقصي مرات ومرات قبل أن ترى كتبهم النور، ورغم ذلك يجد القارئ كثيرًا من هذه الأخطاء الطباعية، والقارئ الواعي هو الذي يدرك هذه الأخطاء ويحيلها إلى صحتها أثناء قراءته.

ومن باب التنويه هنا فكتاب بحجم هذا الكتاب يكاد يخلو من الأخطاء الطباعية المشينة والمستعصية على الفهم، وهذا يدل على المتابعة المتميزة من المؤلف والمراجعة المستمرة حتى ظهر بهذه الصورة التي يشكر عليها. ورغم ذلك فقد فاتت بعض الأخطاء البسيطة التي نود الإشارة إليها على النحو التالي :

الصفحة	السطر	الخطأ	التصحيح
٢٠١	١١	حدوف	حدود
٢٧٦	١٠	التي مكن	التي يمكن
٢٧٦	١١	رتم كثرة	رغم كثرة
٣٣٥	١٥	في المدارسة	في المدارس
٣٥١	٣	وبعضها أقل	وبعضها أقل
	الجدول ١٠/ب	من القوله	من القوية
٣٦٥	٢٠	والحص	والحصص
٣٦٩	١	الخط	الخطة
٣٩٩	١	هذه الهدف	هذا الهدف

٢ - ملاحظات دقيقة ومحددة :

١ / ٢ : جاء في صفحة ٨٨، أثناء الحديث عن بدايات التعليم في المملكة العربية السعودية ما يلي : «. . . ومن أبرز تلك الجهود المبكرة إنشاء مديرية المعارف في ١/ ٩/ ١٣٤٤هـ، التي باشرت الإشراف على التدريس في غرة المحرم من عام ١٣٤٥هـ» .

وهذه إشارة واقعية ولكننا نضيف إليها فكرة - أعتقد أنها ضرورية ومهمة - أن مديرية المعارف أنشئت قبل تسمية المملكة العربية السعودية، في مكة المكرمة. والتي كانت تعرف يومذاك بالمملكة الحجازية، وذلك بعد أن دخلها الملك عبدالعزيز سنة ١٣٤٣هـ، وكان من أول اهتماماته إرساء التعليم

في الحجاز وإنشاء مديرية المعارف في العام التالي مباشرة، وبذلك تكون منطقة الحجاز المنطلق الأول للتعليم في المملكة العربية السعودية بعد تسميتها بهذا الاسم الرسمي سنة ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م (١٦) .

٢/٢ - وفي صفحة ٨٩، وهو يتحدث عن أوليات المدارس في عهد مديرية المعارف، نسي المؤلف أن يشير إلى واحدة من أهم هذه المدارس وهي مدرسة دار التوحيد في الطائف، والتي يقول عنها عبدالله بغدادي إنها «أول مدرسة من نوعها تقام في المملكة» (١٧)، والمعروف أن هذه المدرسة قد أسست عام ١٣٦٤هـ تقريبًا، وهي تستعد الآن للاحتفال بمرور خمسين عامًا على تأسيسها (١٨) .

٣ / ٢ - الصفحات ٨٨ - ١٤٣ ، خصصها المؤلف للحديث عن التعليم في المملكة وخاصة التعليم الابتدائي، مع التركيز على التعليم الأهلي . ويبدو أن هدف المؤلف، إعطاء خلفية للقارئ عن هذه الموضوعات المتداخلة لأنها تخدم المشكلة التي سيناقشها، وهي تقويم بعض جوانب المنهج المدرسي في المدارس الأهلية .

ونحن نرى أن الحديث عن التعليم الابتدائي ولوائحه ونظمه وأهدافه لا حاجة فيه للقارئ فهو زيادة وتكرار، وكان يفترض أن ينصب الحديث على التعليم الأهلي والمنهج الدراسي ومكوناته ذلك أن الموضوع والمشكلة تنبثق من هذين الموضوعين . وقد أشار المؤلف الكريم إلى أنه «قد استبعد الفصل الخاص بالمنهج المدرسي وهو الإطار النظري الذي قامت عليه الدراسة الميدانية» (١٩) ، وهذا شيء يدعو للغرابة والدهشة .

٤/ ٢ - الصفحات ١٨٥ - ٣١٢، وفيها يبدو للقارئ العادي أنه أمام جداول وإحصاءات ومستخلصات وأرقام وحسابات ورموز ودلالات، يدخل إليها القارئ ويخرج منها خالي الوفاض، ولم يجد فيها شيئًا عن واقع النشاط المدرسي في المدارس الأهلية، ما عدا بعض التعليقات والاستنتاجات المتفرقة هنا وهناك .

وهنا نرى، أن هذا الأمر مقبول في مستوى الكتاب الأول - كرسالة علمية - لأنها قدمت إلى لجنة تربوية متخصصة، أما وقد تحول الكتاب إلى مستواه الثاني وأصبح موجهًا للقراء متبايني الثقافة والمعرفة، فإن المتوخى أن تتحول وتترجم هذه الأرقام والجداول والإحصاءات إلى معلومات مقروءة ، إلى صيغ وأساليب أكثر قربًا من الهدف الرئيس للكتاب، حتى يستطيع المهتم بشئون التعليم الأهلي أن يتداخل معها ويتثقف عليها .

٥/ ٢ - في صفحة ٢١٢ وفي السؤال الرابع وجدول الأنشطة الفنية التي تزاول في المدارس الأهلية تجاوز المؤلف نوعًا من هذه الأنشطة يمارس في كثير من المدارس الأهلية الابتدائية . وهو الموسيقا ولم يورده المؤلف عند تحديد أنواع الأنشطة الفنية، ولو ذكر لحصل على نتائج تفيده في بناء آرائه وتصوراته عن التعليم الأهلي في مجال الأنشطة الفنية . ولعل له عذرًا في هذا، فلربما كانت المدارس الأهلية التي اختارها عينة لإجراء دراسته الميدانية لا تمارس هذا النوع من الأنشطة الفنية .

٦ / ٢ - وفي صفحة ٢١٩، وفي الجدول الخاص بممارسة الأنشطة الرياضية لم يشر الباحث إلى لعب الكرة الطائرة والمصارعة والكراتية، وهي من ضمن الأنشطة الرياضية التي تحظى بالممارسة في المدارس الأهلية ، ولكنه عندما وصل إلى التحليل أشار إلى لعبة الكرة الطائرة، وأنها تحظى بدرجة ممارسة قوية ! (٢٠) وفي هذا تناقض، فالطائرة كنشاط لم يرد في قائمة الألعاب المذكورة بينما يتم إيرادها كنتائج .

وفي الصفحة نفسها والجدول ذاته، أورد الألعاب الشعبية دون تحديد للألعاب الرياضية منها، فهناك ألعاب فلكلورية / فنية، وهناك ألعاب رياضية شعبية، وفي هذا تداخل مع ما ورد في الأنشطة الفنية ص٢١٢. وهنا يُقْتَرح تحديد الألعاب الرياضية وتقسيمها وذكرها خاصة تلك التي تنتمي إلى الألعاب الشعبية. وكذلك الأنشطة الفنية التي تنتمي إلى الفنون الشعبية، مع الأخذ في الحسبان تعدد الألعاب الشعبية وتنوعها واختلافها من منطقة لأخرى في المملكة.

٢/٧ - وفي صفحة ٢٢٢، يُشْكَر المؤلف على النتيجة الجيدة والمتميزة التي توصل إليها في مسألة الألعاب الشعبية وعدم ممارستها في المدارس الأهلية، التي يشير فيها إلى أن عدم وجود المدرس الوطني سبب في تدني ممارسة هذه الألعاب. ونحن نضيف أن هناك أسبابًا كثيرة منها عدم الاهتمام من وزارة المعارف وأقسام الأنشطة المدرسية، وخاصة الرياضية منها، وكذلك عدم اهتمام المعاهد الرياضية وأقسام الرياضة في جامعاتنا وكلياتنا، بهذا النوع الشعبي من الألعاب الرياضية. وحتى في مدارسنا الحكومية لا توجد ممارسة فعلية لألعابنا الشعبية فما بالك بالمدارس الأهلية!! أضف إلى ذلك عدم الاهتمام الاجتماعي بهذا النوع وعدم اهتمام رعاية الشباب كذلك لأن هذا النوع من الألعاب أصبح في عداد التراث الذي عفا عليه الزمن ولا نتذكره إلا في المهرجانات التراثية مثل مهرجان الجنادرية.

وكان بإمكان المؤلف أن يطرح هذه القضية كتوصية مهمة ضمن توصياته يدعو فيها وزارة المعارف ورعاية الشباب، وأقسامنا الرياضية في المعاهد والكليات إلى الاهتمام بهذا النوع الشعبي من الألعاب الرياضية، ووضع البرامج والخطط لإحياء هذا التراث ونشره وغرسه في نفوس تلاميذنا سواء في المدارس الأهلية أو الحكومية.

وما دمنا في هذا المجال، فإنني أذكر أن مجموعة من مديري المدارس الثانوية في جدة - وكان لي شرف أن أكون منهم - في عام ١٤١٢هـ، قد تقدموا برؤية حول هذين النشاطين (الفنية والرياضية) في المدارس الثانوية، واقترحوا فيها أن تلغى هاتان المادتان من المواد الدراسية وتدخلان ضمن مادة جديدة تسمى النشاط المدرسي، وتضم كل الأنشطة التي يرغب الطلاب في ممارستها وتنمية ميولهم ومواهبهم ورغباتهم، مع ضرورة أن تتبنى المدرسة مسئولية توفير كل الإمكانات التي تتطلبها مثل هذه المادة. وهذا يستلزم أن تتحرك وزارة المعارف لوضع خطة تربوية لتبني هذه الرؤية وجعلها موضع التطبيق الفعلي مع احتساب درجة لهذه المادة إسوة بالمواد الدراسية الأخرى.

٢/٨ - في صفحة ٢٢٣، لم يشر المؤلف إلى نشاط مهم يدخل في مجال الأنشطة الاجتماعية وهو الزيارات التعليمية. ولم يذكره في الاستبانة الخاصة بهذا الجانب، والمعروف أن كثيراً من المدارس الأهلية والحكومية تحرص في أنشطتها على القيام بزيارات تعليمية إلى المؤسسات التربوية والصحفية والمهنية، وغيرها بهدف ربط الطلاب بواقع حياتهم والتعرف على ما تقوم به هذه المصالح والمؤسسات، وذلك تتويجًا لما يتعلمونه من خلال المواد والمقررات الدراسية.

وأعتقد أنه لو أضيف هذا النوع من الأنشطة إلى الاستبانة، لتوصل المؤلف إلى نتائج إيجابية جيدة، ولعل المؤلف الكريم يدرك الآن الفرق بين الزيارات التعليمية والرحلات القصيرة الترفيهية. ويبدو أن الأمر قد التبس على المؤلف فأضاف الزيارات إلى خانة الرحلات القصيرة أثناء تحليله فقد أشار إلى أن «الرحلات والزيارات في مقدمة الأنشطة الاجتماعية، إذ يمارس هذان النشاطان بدرجة بين المتوسطة والقوية» (٢١).

٢/٩ – وفي صفحة ٢٤٦، يتحدث المؤلف عن الأنشطة التي تمارس في مجال اللغة العربية، ولكنه لم يذكر نشاطًا من أبرز هذه الأنشطة وهو حفظ الشعر العربي ومحاولة كتابة القصائد الشعرية، وتنمية الموهبة الشعرية لدى الطلاب في هذه المرحلة الابتدائية، لا سيما وأن عمر الطالب في هذه المرحلة يعد من السنوات الخصبة للذاكرة الحفظية، وفيها يتمتع الطالب بتوقد الذهن والقدرة على الحفظ المركز. ولذلك فمثل هذه الأنشطة تفيد في مجال اللغة العربية ولو أشار إليها المؤلف لوقف على نتائج جديدة ومفيدة.

ولقد أشار المؤلف إلى كتابة القصة القصيرة المناسبة، وحفظ الأناشيد وكتابة المقالة القصيرة والتدريب على الإلقاء، وكل هذه الأنشطة من الأمور التي تنمي ملكة الطالب الإبداعية، فلماذا استبعد الشعر ومحاولة حفظه وكتابته ؟!

١٠ / ٢ – وفي الصفحات ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٩١، ناقش المؤلف المشكلات التي تعوق النشاط المدرسي، فذكر من هذه المشكلات كثرة عدد الطلبة المشتركين، وهذا بالفعل يشكل عائقًا رئيسًا، ولكن يمكن أن نضيف إليه، أن هذه الكثرة قد تكون في نشاط دون آخر، فبعض الأنشطة لا يشترك فيها إلا قلة قليلة من الطلاب، وهذا بالطبع عائق آخر لم يتنبه له المؤلف أثناء تصميم الاستبانة وأسئلتها المتعلقة بهذا الجانب فمن خلال تجربتي مع الأنشطة المدرسية في المدارس الحكومية التي عملت فيها، نلاحظ كثيراً قلة المشاركين في بعض الأنشطة الأمر الذي يؤدي إلى تكدسهم في أنشطة أخرى، وهذا يعني أن كثرة أعداد الطلبة في كل مجموعة من الأنشطة يشكل عائقًا كبيراً أمام حسن سير الأنشطة. ومدى الاستفادة منها، لا سيما إذا أدركنا أن كثرة هؤلاء الطلبة قد جاء بدون رغبة حقيقية في هذا النشاط وإنما لأنه أحسن وأفضل الموجود، وربما جاء برهبة من الإدارة والمشرفين على النشاط مما جعله يشكل عائقًا حقيقياً ومشكلة كبيرة تواجه الأنشطة في المدارس الأهلية والحكومية كذلك.

١١ / ٢ – وما دمنا وصلنا إلى نهاية الفصل الخامس، الخاص بالأنشطة المدرسية، لابد من وقفتين، الأولى: نتداخل فيها مع تخصيص المؤلف بحثه لواقع المدارس الأهلية في هذه المسألة. فمن خلال تتبعي لنتائج بحثه في النشاط المدرسي، اتضح أن كل ما توصل إليه في التحليل والنتائج يمكن أن يسري مفعوله على المدارس الحكومية، وفي كل أنحاء المملكة، لأن دافع النشاط المدرسي في المدارس الحكومية التي ننتمي إليها ونسمع عنها هو الواقع نفسه الذي تعيشه المدارس الأهلية التي اختيرت عينة للبحث. ولهذا أقول: إن البحث بهذا التخصيص لم يوضح خاصيةً أو تفرداً أو تميزاً للمدارس الأهلية عن المدارس الحكومية.

والثانية: نتساءل فيها، لماذا لم يقف المؤلف عند مسألة عدد المستفيدين من الطلبة من هذه الأنشطة استفادة تربوية أو تعليمية أو مهنية أو غير ذلك ؟! وأعتقد أن المؤلف الكريم لو فكر في هذه المسألة وأوجد لها الاستبيان المناسب لوصل إلى النتيجة التي وصلنا إليها من خلال الخبرات والتجارب في مدارسنا الحكومية، وهي: إن قلة نادرة من الطلاب، هم المستفيدون الحقيقيون من هذه الأنشطة بمختلف فروعها، بينما نجد الكثرة الغالبة لا تجد في هذه الأنشطة إلا وقتًا ضائعًا ووسيلة للتسرب الدراسي. وهذا يدعونا إلى التَّوصية والمناداة بتجديد الخطط والأساليب لهذه الأنشطة المدرسية، بحيث تصبح في صلب العملية التعليمية والتربوية، ويمكن تحقيق ذلك عن طريق إعادة اليوم الدراسي الكامل، بحيث تصبح

الفترة الصباحية وحتى الثانية عشر ظهراً يومًا دراسيّاً للمواد والمقررات الرئيسة، ثم يأخذ الطلاب والمدرسون وقتًا للراحة والغداء، ثم يعودون للمدارس حوالي الساعة الثالثة بعد الظهر لاستكمال يومهم الدراسي المخصص لممارسة الأنشطة المنهجية واللامنهجية من حل للواجبات، ورسم للوسائل التعليمية وتنمية ميولهم الفنية والرياضية، وممارسة الأنشطة الاجتماعية. والعلمية وغيرها. وهذا يتطلب توفير الإمكانات لإنجاحها بوصف هذه الأنشطة ستكون مادة دراسية ولها درجات تحتسب في النجاح والرسوب مثلها مثل باقي المواد (٢٢).

أو عن طريق: إعادة يوم الخميس للأيام الدراسية وجعله يومًا مفتوحًا لممارسة الأنشطة بكل أنواعها وفق خطة تربوية مفيدة، وينصح هنا بالاستفادة من تجربة مدارس دار الفكر الأهلية في جدة، فلديها تجربة متميزة ومثمرة في هذا اليوم المفقود من أيامنا الدراسية.

١٢ / ٢ - وعند الحديث عن كتب اللغة الإنجليزية المقررة في المدارس الأهلية، ووقفة المؤلف التحليلية لهذه الكتب - التي أشرنا لها قبل الآن - تستوقفنا عدة ملاحظات يمكن إجمالها في هذا التعليق السريع:

فالمؤلف يدرك أن هذه الكتب لم تؤلف لتطبق في بلد إسلامي، ويدرك أن مدرسي هذه الكتب غير وطنيين وبعضهم غير مسلمين، ويدرك - أخيرًا - أن الوزارة لا تشرف - كما يجب - على اختيار هذه الكتب ولا على تطبيقها وتدريسها.

ورغم هذه المدركات الذهنية لدى المؤلف الكريم، إلا أنه تناسى دور المدرس المخلص وإدارة المدرسة الواعية في تحويل كل تلك السلبيات التي تعتور هذا المنهج الدراسي، إلى إيجابيات، أو التقليل من سلبياتها في نفوس التلاميذ.

فمثلاً القصة التي حلّلها في ص٣٩٤ والتي تتحدث عن ملك يعقد قرانه في كنيسة. فقد أشار المؤلف في تحليله أن هذا يشوش على عقلية الطفل !! وهنا نتساءل: لم لا يكون لهذه القصة وجه إيجابي آخر - إذا استطاع المدرس أن يستثمر هذه القصة تعليميّاً وتربويّاً - فيعرف الطلاب على الأديان السماوية السابقة على الإسلام، ويوضح لهم أن الإسلام خاتم الأديان والرسالات، ويعرفهم الفرق بين الكنائس والمساجد، وفي هذا توسيع لمدارك الطفل ثقافيّاً وفكريّاً.

وكذلك قصة المرأة الساحرة ص٣٩٥ وتحليل المؤلف لها أنها تقدم لطفل لا يتجاوز عمره ١٢ سنة وفيها تشويش على عقيدته، وقد تناسى المؤلف أن الطالب في هذه السن يدرس في الصف السادس تقريبًا أو الأول متوسط، وفي هذه المرحلة الدراسية يكون قد قرأ أغلب القرآن وعرف قصة هاروت وماروت مع السحر، وقصة موسى مع سحرة فرعون، ويدرس الأحاديث الشريفة الواردة في السحر والسحرة. وهنا يمكن للمدرس - الكفؤ والقادر - أن يوجه طلابه وجهةً إسلاميةً لبيان موقف الإسلام من السحر والسحرة. وفي هذا ربط بين هذه المادة الإنجليزية والمواد الدينية الأخرى وتحقيق للأهداف الدينية التي تسعى لها أهداف المرحلة الابتدائية بطريق غير مباشر.

وكذلك قصة عندليب الملك ص ٣٩٦، وقصة السندريلا ص٣٩٧، وغيرها التي يستطيع المدرس القادر على تحويل ما في هذه القصص من سلبيات إلى إيجابيات.

وعلى أية حال فهذه مجرد رؤية إضافية - ولكني أؤكد على الوقفة الجيدة والمتميزة من المؤلف التي حلل فيها كتب اللغة الإنجليزية المقررة في المدارس الأهلية

بالمملكة. وأعتقد أن هذا البحث في حاجة إلى إبراز وإيضاح أكبر. ونقترح هنا أن يقوم المؤلف الكريم بتحويله إلى مقال تربوي مستقل بعد بلورته، وتنظيمه، ونشره في إحدى المجلات المتخصصة، أو تقديمه كاقتراح إلى وزارة المعارف، وقسم التعليم الأهلي بالوزارة، وإلى المدارس الأهلية التي تقرر هذه الكتب. لمحاولة الاستفادة مما جاء في هذا البحث المتميز والالتزام بما فيه من طرح تربوي. ولعل المؤلف الكريم إذا قام بهذا الدور يكون قد برأ ذمته وأدى أمانته.

٢/١٣ - وفي الصفحة ٤٠٨، يناقش المؤلف إجابة السؤال الثالث حول تميز المدارس الأهلية في مستوى التحصيل الدراسي لطلابها عن طلاب المدارس الحكومية، ويصل إلي نتيجة غريبة وهي أنه لا يستطيع قياس هذه المسألة ما لم يخضعها لاختبارات مقننة مع التحكم في المتغيرات الأخرى!!

والتساؤل هنا: إذًا لم يُجْري هذا الاستبيان؟ ولماذا يُطرح هذا السؤال، ما دامت النتيجة هي صعوبة معرفة المستوى التحصيلي!؟ ولماذا لم يقم بإخضاع المسألة للاختبارات المقننة حتى يصل للنتيجة المطلوبة، لا سيما وأن هذا مبحث رئيس في الدراسة؟!

ولكن الذي نراه أن المؤلف يناقض نفسه عندما يعلن أن نتيجة تساؤله تقول: إن نسبة ٤٥٪ مديرين و٥٦٪ موجهين يرون أن مستوى التحصيل الطلابي لدى المدارس الأهلية أقوى منه في المدارس الحكومية، وهذا هو الواقع فعلاً، ولكن ما هي الأسباب؟

٢/٤ - وعند الحديث عن المواد المضافة بالخطة الدراسية لم يذكر المؤلف مادة الحاسب الآلي من ضمن هذه المواد، وإنما عدّها نشاطًا كما أشار إلى ذلك (٢٣). وهذه نتيجة ما لاحظه على المدارس المختارة لعينة البحث. ولكن المعروف أن كثيرًا من المدارس الأهلية تدخل الحاسب الآلي كمادة دراسية إضافية.

أضف إلى ذلك أن المؤلف لم يقف على باقي المواد الدراسية المضافة بالخطة كاللغة الفرنسية والمواد الدينية ومواد اللغة العربية والرياضيات، ويدرس مدى أثرها وتأثيرها على مستوى التحصيل الدراسي أو الزيادة في الحصص الرسمية أو غير ذلك مما يمكن أن يشكل دلالات معينة تفيد المؤلف في بناء توصياته ونتائجه.

٢/١٥ - وملاحظة أخيرة على منهجية الفصول من الرابع وحتى السادس - بشكل عام - وهي أن المؤلف قد لجأ إلى التقسيم الرقمي للفصل الرابع فجعله قسمًا أولاً، وهذا يستدعي في ذهن القارئ وجود قسم ثان وثالث وغيره، ولكن المؤلف وقف عند القسم الأول وجعل القسم الثاني فصلاً مستقلاً، ثم القسم الثالث فصلاً مستقلاً. وهذه الأقسام كلها تندرج تحت عنوان فرعي ذكره في الفصل الرابع وهو الدراسة الميدانية.

والتساؤل هنا لماذا لجأ المؤلف/ الباحث إلى هذا التطويل في عدد الفصول؟! إذ بإمكانه جعل هذه الفصول الثلاثة فصلاً واحداً، وليكن الرابع وتحته تجيء التقسيمات الرقمية التي جعلها فصولاً، وهنا نقترح أن تكون على النحو التالي:

الفصل الرابع: الدراسة الميدانية.

القسم الأول: أدوات البحث واختيار عيناته.

القسم الثاني: واقع النشاط المدرسي.

القسم الثالث: الوسائل التعليمية.. والمواد المضافة.

وإن أفرد للمواد المضافة قسمًا مستقلاً - كما سبق أن اقترحنا - فجميل وأفضل. وهذا التقسيم - في نظري - أولى من التداخل المنهجي بين هذه الفصول والتقسيمات الرقمية.

٢/١٦ - ومما يشكر للمؤلف، ما أورده في نتائجه التي كانت صدى لجهوده المبذولة في التحليل والدراسة لدلالات الاستبانة التي غطت كل جوانب البحث، وكذلك ملاحظاته الشخصية التي سجلها أثناء زيارة المدارس المختارة عينة لبحثه.

وكذلك يشكر المؤلف على التوصيات التي قدمها لكل من وزارة المعارف، وإدارات التعليم وإلى مديري المدارس الأهلية وإلى إدارات ومراكز التوجيه التربوي - وإن كانت هذه الجهة تتبع وزارة المعارف وإدارات التعليم. وكان يمكن ضم هذه التوصيات إلى ما قبلها لأنه لا يوجد لدينا إدارات ومراكز توجيه مستقلة عن إدارات التعليم أو الوزارة.

ولعل أهم ما جاء في هذه التوصيات توصية بإجراء بحوث علمية مستقبلية فكل الموضوعات التي اقترحها للدراسة والتحليل مستقبلاً من الأهمية بمكان، وإذا وجد من يقوم بدراستها من طلاب الدراسات العليا أو الباحثين المتخصصين في مراكز البحوث التربوية فستكون لدينا مكتبة تربوية يستفاد منها، إن شاء الله.

وهنا نشير على المؤلف الكريم أن يكون هو أول المستفيدين من هذه التوصيات، بأن يعكف على إنتاج بحوث ومؤلفات تخدم القضايا التي أوصى بها، لا سيما أنه أصبح خبيراً فيها «ولا ينبئك مثل خبير».

٢/١٧ - وأخيراً؛ فمما يدل على جهد المؤلف/ الباحث في هذا الكتاب، رجوعه إلى أكثر المصادر والمراجع المتخصصة من كتب تربوية ورسائل جامعية ووثائق ومنشورات حكومية ومراجع أجنبية. التي اتضح أثرها في بناء هذه الدراسة من خلال الهوامش والإحالات في نهاية كل فصل مما يدل على أن المؤلف يتمتع بقدر كبير من الأمانة العلمية والحرص على توثيق كل معلوماته ونسبتها إلى مصدرها. وهو بهذا يؤسس لتلاميذه نموذجاً تربوياً وتعليمياً يقتدى به في مجال الدرس والبحث التربوي.

رابعًا: الخاتمة

وبعد؛ فإن الدرس الأدبي الحديث يشير إلى نوعين من القراء:

فهناك قارئ مستهلك!! وهناك قارئ منتج.

فأما القارئ المستهلك: فهو القارئ العادي، الذي كل همه القراءة السريعة، القراءة المسليّة، القراءة الهامشية، القراءة الاستهلاكية، القراءة التي تصطفى الأنا والذاتية.

وأما القارئ المنتج: فهو القارئ الواعي، القارئ المثقف، القارئ الجدير بحمل مشعل الثقافة، القارئ المتعمق والباحث عن المعرفة والساعي إلى استكناه جوانبها، القارئ الذي يسهم في بناء معرفي جديد، القارئ الذي يتداخل ويتثاقف ويتحاور مع ما يقرأ. دون التسليم بما يقرأه قبل وضعه تحت مشكاة الفحص والمساءلة ثم المداخلة والحوار، ثم التوضيح والتنوير. إنه القارئ المتجاوز نحو استشراف المستقبل قراءة وكتابة. وهو بذلك يخرج من الأنا والذاتية، ويدخل في مجال العطاء والإضافة والإنتاج والإبداع لقراءة جديدة.

ولعلّي بهذه المداخلة والحوار مع موضوعات وفصول هذا الكتاب التربوي الشيق، أقترب كثيرًا من النوع الثاني لأنواع القراء - ولا أزكي نفسي - فلقد عودتها وأخذتها أخذًا على هذه المسألة، وأرجو أن أكون قد أنتجت خطابًا جديدًا على الخطاب التربوي الذي طرحه المؤلف في كتابه هذا، أو إن شئت فقل خطابًا مضادًا يفيد منه المؤلف والقارئ، ويضيف جديدًا لهذا النوع من القراءة.

لذلك أرجو أن يتسع صدر أخي وزميلي المؤلف لما طرحته من ملاحظات أو أفكار تصل حد الجرأة، ولكن الدافع - يعلم الله - هو البحث عن الكمال الذي نتمناه ويتمناه المؤلف، واستجابة لما طرحه في مقدمته، إذ طلب من القراء «أن يبدو ملحوظاتهم ونقدهم لتكون رافدًا يعين المؤلف على سد النقص والوصول به إلى مستوى أفضل . . .» (٢٤) . وها أنذا قارئ يسدي هذه الملحوظات علّها تكون رافدًا .

الهوامش والإحالات

١ - الكتاب نفسه ، المقدمة ، ص٦ .

٢ - نفسه ، ص ٥ - ٦ .

٣ - انظر كتابنا : العلاقات العثمانية البريطانية ١٩٠٨ - ١٩١٤، (تحت الطبع) ، ص١١ .

٤ - الكتاب نفسه، ص٢٧، الهامش رقم (*) .

٥ - نفسه ، ص ١٣ - ١٥ .

٦ - نفسه ، ص١٦ .

٧ - نفسه، الفصل الثالث ، ص ٨٧ - ١٥١ .

٨ - نفسه ، ص٢٧ سبق ذكره .

٩ - نفسه ، الفصل الأول والثاني، ص ١١ - ٨٣. الفصل الرابع، ص ١٥٥ - ١٨١ .

١٠ - نفسه ،المقدمة ، ص ٥ - ٧.

١١ - انظر مقدمة الفصل الثاني ، ص٣٣ . والفصل الثالث ، ص ٨٧ - ٨٨، والفصل الرابع ص١٥٥ - وإن جاءت بلا عنوان وربما سقط سهوًا من المطبعة، والفصل الخامس ص١٨٥ ، والفصل السادس ص٣١٧ - ٣١٨، والفصل السابع ص٤٣٣ - وإن جاءت في سطرين بدون عنوان .

١٢ - انظر الكتاب نفسه، ص ١٦ - ٢٤ .

١٣ - انظر الكتاب نفسه، ص ٣٦٥ - ٤٠٥ .

١٤ - انظر الكتاب نفسه، ص ٣٩٢ - ٤٠٥ .

١٥ - انظر الكتاب نفسه، ص٤٠٤ .

١٦ - انظر عبدالله عبدالمجيد بغدادي : **الانطلاقة التعليمية في المملكة العربية السعودية، أصولها، جذورها، أولياتها**، ط١، جدة: دار الشروق؛ ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص١٨٨ . وانظر : سليمان عبدالرحمن الحقيل : **الإدارة المدرسية وتعبئة قواها البشرية في المملكة العربية السعودية**، الرياض: مطابع بحر العلوم، ١٤٠٣هـ . ص٨ .

١٧ - عبدالله بغدادي : المرجع السابق، ص٢٠٣ .

١٨ - جريدة الرياض ، الثلاثاء ١٤١٤/٧/١٥هـ .

١٩ - الكتابه نفسه ، ص١٨١ ، الهامش (١) .

٢٠ - الكتاب نفسه، ص٢٢١ .

٢١ - الكتاب نفسه ، ص٢٢٧ .

٢٢ - سبق لكاتب هذه السطور مناقشة موضوع اليوم الدراسي الكامل، وطرح رؤية تربوية حول هذا الموضوع، وأرسل إلى (جستن) الجمعية السعودية للعلوم التربوية والنفسية، للمشاركة به في اللقاء المعقود حول (اليوم الدراسي الكامل).

٢٣ - الكتاب نفسه، ص٣٦٩ .

٢٤ - الكتاب نفسه، المقدمة ، ص٦ .



طه حسين
بيوجرافيا وببليوجرافيا

لحمدي السكوت ومارسون جونز

أحمد حسين الطماوي - القاهرة

السكوت، حمدي/ أعلام الأدب المعاصر في مصر، سلسلة بيوجرافية نقدية ببليوجرافية، طه حسين؛ حمدي السكوت، مارسدن جونز ٠- القاهرة: دار الكتاب المصري؛ بيروت: دار الكتاب اللبناني [د. ت].

من الظاهرات الجديدة في حقل الدراسات الإنسانية استناد الدارس إلى الأعمال الببليوجرافية التي تعين على تعقب القضايا وتسهل استقراءها، وإمكان تتبع عناصرها، وتوثيق جزئياتها، وعرض الحقائق المتعلقة بها في تنظيم وتنسيق. الأمر الذي يقلل من العثرات والمزالق، ويجعل البحوث أوفر مادة، وأكثر إتقانًا وإجادة.

ولما كان العمل الببليوجرافي دليلاً مهمًا للبحث العلمي، فإن الأمر بات يتوقف على وفائه بالمراد. أي كلما كان قريبًا من الاستيفاء رسم صورة زاهية المعالم للشخص أو القضية موضوع البحث. وهذا بدوره يضيق الفجوات، ويقلل الفروض، ويقي الباحث من إصدار الأحكام العشوائية التي يطلقها في غيبة معلومات معينة. ذلك أنه من عوامل الوقوع في الخطأ نقص المعارف.

وقد نشط بعض كتّاب العصر الحديث في هذا المجال، وصاروا يلحقون بموضوعاتهم ببليوجرافيات مرتبة ومبوبة تخضع لمنهج علمي. وشجعهم على ذلك استيثاق القراء من كتاباتهم المستندة إلى مادة محققة محددة الروافد، وهو اتجاه محمود، إلا أنه في طور البواكير التي يرجى لها الازدهار والنجاح.

بيوجرافيات وببليوجرافيات الجامعة الأمريكية

ومن الكتابات أو الشخصيات التي صاحبتها ببليوجرافيات، خمسة أعمال بيوجرافية ببليوجرافية أصدرها مركز الدراسات العربية بالجامعة الأمريكية وأشرف عليها حمدي السكوت ومارسدن جونز [١]، وجاءت تحت عنوان: «أعلام الأدب المعاصر في مصر. سلسلة بيوجرافية نقدية ببليوجرافية» والأعلام الخمسة هم بترتيب الصدور: طه حسين، وإبراهيم عبدالقادر المازني، وعبدالرحمن شكري، وأحمد أمين، وعباس محمود العقاد.

وقد رد الباحثان - السكوت وجونز - استهلالهما لهذه السلسلة بالكتابة عن طه حسين لأسباب منها «أن جيل طه حسين هو الجيل الذي خطا بالأدب خطوات فساحًا، وقدم أول إسهام حقيقي في مجال الدراسة الأدبية، وفي الميدان الثقافي بشكل عام» وقد تكون هنا مغالاة في تسمية ذلك الجيل الماضي بجيل طه حسين، إلا أن هذا رأيهما.

وعلى أية حال فإنهما قسما الكتاب الأول في هذه السلسلة إلى قسمين رئيسين:

القسم الأول: «بيوجرافي» ويضم ترجمة لطه حسين مع تقويم لأعماله.

القسم الثاني: «ببليوجرافيا» وتتضمن أسماء أعمال طه حسين، وعناوين الكتابات المختلفة التي كتبت عنه.

وفي هذه الدراسة نعرض للقسم الأول دون إسهاب، ونورد في مجال القسم الثاني ماأغفلته الببليوجرافيا وهو جهدنا الرئيس.

* * * * *

القسم البيوجرافي

في هذا القسم دون المؤلفان ترجمة لطه حسين جمعا فيها بين طريقة السيرة القائمة على التدرج الزمني، وطريقة الصورة التي تعنى بتقديم عدة صور تحمل علائم فكر المترجم له وملامح فنه.

ففي مجال السيرة استهلا الكلام بتاريخ ولادة طه حسين عام ١٨٨٩م، وختما الحديث بتاريخ وفاته عام ١٩٧٣. وبين هذين التاريخين سجلا أهم معالم حياته وأطواره في موكب الحياة. وأوضحا مرحلة طفولته الباكرة، وإصابته بعاهة فقد البصر، ثم طرقا مدة صباه وعرضا لدراسته في الأزهر والأساتذة الذين أثروا في حياته ووجهوا فكره، وتخلصا من مرحلة الطفولة والصبا إلى مرحلة رجولته التي تلقى العلم فيها بجامعة السربون وعمله بالجامعة المصرية. ووقفا عند كتاب «في الشعر الجاهلي» الذي أحدث دوياً في حينه، يصاحب كل هذا ذكر ميوله السياسية وبعض الصحف التي كتب فيها. وقد استعانا في هذه الترجمة بكتاب «الأيام» وعدد من الكتب الصادرة عنه.

وماكتباه عرض أمين لحياة طه حسين على إيجازه، والترجمة في عمومها استعراضية سردية ولكنها لاتخلو من وقفات وتفسيرات وملاحظات موفقة.

وفي مجال الصورة قدم المؤلفان عدة صور لفكر طه حسين في مجالات النقد والقص والتاريخ والتربية. ولكي تكون الترجمة استقرائية فقد صرفا اهتمامهما إلى ربط سيرة طه حسين ببعض مؤلفاته. ذلك أن الترجمة لاتصير وافية أو شبه وافية إلا بذكر أفكار المترجم وآرائه وتقديرها. كما أن التطرق إلى أفكار المترجم تجعل السيرة متحركة نابضة بالحياة.

لذلك عرض المؤلفان عدداً من كتب طه حسين مثل «ذكرى أبي العلاء» و«حديث الأربعاء» و«خصام ونقد» و«من أدبنا المعاصر» وهي كتب نقدية في المقام الأول، وقالا فيها كلاماً موضوعياً نزيهاً إلى حدٍّ كبير، وأهم ما انتهيا إليه أن أسلوب طه حسين في النقد تأثري، وقد ظل هو «الطابع الغالب على نقد طه حسين في كل أطوار حياته» ص٣٧، ورأيا أن طه حسين مؤرخ أدبي أكثر منه ناقد فني ص٤٠، وبينا أن دراسة طه حسين لشخصية الأديب وعصره وفنه «أدخل في باب التاريخ الأدبي منها في باب النقد» ص٤١، ولم يكتف الباحثان بإبداء مثل هذه الملاحظات المعززة بالروح العلمية، بل صححا مفهوماً سائداً ترسخ عند البعض عماده أن طه حسين ابتكر منهجاً دراسياً جديداً في تناوله للشخصيات والقضايا الأدبية لذلك يذهبان إلى أنه «ليس صحيحاً مايعتقده الكثيرون من أن جهود طه حسين في ميدان الدراسة الأدبية قد نشأت في فراغ» بل ينفيان أن منهج الاستشراق الذي راق لطه حسين بدأ مع المستشرقين الذين ألقوا دروساً في الجامعة المصرية عند نشأتها، ويثبتان بالأدلة اللامعة أن مصر عرفت الدراسة المنهجية قبل ذلك بسنوات على يد حسن توفيق العدل الذي «كان يدرس تاريخ آداب اللغة العربية على طريقة المستشرقين في أواخر القرن التاسع عشر. بل يظهر

المؤلفان أن بعض المستشرقين تتلمذوا على «حسن توفيق العدل» عندما كان يدرّس اللغة العربية في جامعة برلين، ويستطرد المؤلفان في ذكر الكتابات المنهجية، والكلمات النقدية التي ابتكرت «مقاييس فنية وأساليب جديدة لبناء القصيدة أو القصة وغيرهما من الأشكال الأدبية» ص٢٩، أي قبل أن يسلك طه حسين طريقًا إلى المناهج العلمية.

ولايمكن إنكار أن طه حسين كان ينحو إلى التجديد، ولكن لم يكن وحده المجدد، كما لم يكن المجدد الأول. فالعصر الذي ظهر فيه كان عصر إحياء وتحديث وتنوير وإصلاح في الميادين الاجتماعية والفكرية والتعليمية والأدبية قادها أمثال: قاسم أمين ومحمد عبده وعلي مبارك والبارودي وخليل مطران كل في ميدانه، وكانت المجلات الأدبية والثقافية تحمل إلينا نظرات ونظريات أدبية جديدة، وتستخدم أدوات عديدة في تقدير الفنون والآداب. فقد ناقشت بعض المجلات مثل «البيان» اليازجية (٢) والهلال قضية انتحال النصوص الأدبية قبل طه حسين بنحو ربع قرن، وهذا مجرد مثال. وعلى هذا يمكن القول إن طه حسين كان ثمرة من ثمرات عصره، وموجة في بحره تقذف إلى الشاطئ بالدر والصدف.

ثم ينتقل الباحثان إلى تقويم بعض أعمال طه حسين الروائية والقصصية مثل «دعاء الكروان» و«المعذبون في الأرض»، وبعد نقاش وحوار ينتهيان إلى «أن إنتاجه في هذا الميدان لايرقى إلى مستوى إنتاج عدد كبير من كتّاب القصة المصريين، ولكنه من ناحية أخرى يتفوق على إنتاج عدد كبير آخر» ص٦٦، ومثل هذا الحكم يراعي عناصر كثيرة منها الزمن، والتطور، والثقافة الفنية. فالرواية الحديثة ناشئة، وكل ناشئ يتقدم بمضي الوقت مع تحصيل الخبرة، ومن هنا فإن إنتاج طه حسين القصصي خطوة على الطريق.

ويعرض المؤلفان لآراء طه حسين في التعليم، ويقفان عند دوره في مجال التاريخ، فيتناولان «على هامش السيرة» و«الفتنة الكبرى» وغيرهما، ويأخذان عليه ندرة الإشارات إلى المراجع، والنظر إلى الأحداث نظرة عامة، وعدم إقامة روابط قوية بين الواقعات التاريخية، وبإيجاز يرى السكوت وجونز أن الطريقة التي اتبعها طه حسين لم تخضع لمنهج علمي صارم، ولم يفتهما أن هذا المسلك جعل كتاباته التاريخية رحبة الأفق، وعدّا هذا مزية في مؤلفاته التاريخية. ولانختلف كثيرًا مع المؤلفين فطه حسين يتعاطى معطيات التاريخ بحس الأديب مما جعل الحادثات التاريخية بارقة جاذبة.

والدراسة التي قدمها الباحثان تتسم بالسرعة والإيجاز، يدل على ذلك قولهما في مواضع عديدة: «لايتسع المجال هنا لمناقشة كل هذه الأعمال» ص٥٧، أو قولهما: «آن أن نتحدث عن شجرة البؤس بإيجاز» ص٦٢، وغير ذلك، وبالرغم من هذا الاختصار جاءت الدراسة بآراء مستجادة، وذكرت ما لطه حسين وماعليه، ولم تخرج به من النطاق الإنساني، أو تنزهه عن الخطأ أو تجرده من الصواب.

وقد كنا نود أن تنهض دراسة المؤلفين لطه حسين وفكره على المادة الببليوجرافية التي تم تسجيلها، وبخاصة المقالات - سواء ماكتبه أو ماكتب عنه - ليظهر لنا الجديد الذي لانعرفه، ويغير من وجهات نظرنا بحكم اطلاعهما على آلاف العناصر المجهولة، أما حديثهما عن كتب طه حسين المعروفة فهو مطروق، ويمكن لأي باحث عمله مع اختلاف الآراء. وقد لاحظنا أن الدراسة بما فيها الترجمة لم تشر إلى شيء مهم من المواد الببليوجرافية، وعلى هذا يمكن القول إن القسم البيوجرافي لم يلفت النظر بقوة إلى القسم الببليوجرافي.

القسم الببليوجرافي

وننتقل إلى القسم الببليوجرافي الذي يضم ماكتبه طه وما كُتب عنه، وقد قسمه المؤلفان إلى فصول عديدة هي:

أولاً: أعمال طه حسين وتشتمل على:

* كتب في الأدب والنقد والتاريخ والتربية.
* أدب قصصي.
* أعمال بالاشتراك سواء أكانت كتبًا مدرسية أم غير مدرسية.
* تحقيق ومراجعة وإشراف.
* أعمال مترجمة.
* مقدمات كتب. أي المقدمات التي كتبها طه حسين لأعمال آخرين.
* دراسات طه حسين ومقالاته وخواطره التي نشرها في دوريات. وتشكل الجهد الكبير الذي بذله باحثا الببليوجرافيا.
* الأحاديث الصحفية التي أدلى بها طه حسين لمراسلي الصحف والمجلات.

ثانيًا: أعمال عن طه حسين وتشتمل على:

* كتب كاملة عنه.
* كتب تناولته في فصول.
* أعداد خاصة عنه في دوريات.
* مقالات ودراسات عنه في جرائد ومجلات.
* أعمال بلغات أخرى.

ثالثًا: قائمة بمؤلفات طه حسين مرتبة ترتيبًا أبجديًا.

رابعًا: فهرست للأعلام.

خامسًا: فهرست للدوريات التي رجع إليها الباحثان.

وتظهر مقدمة الطبعة الأولى الصادرة عام ١٩٧٥م أن مجموعة من الباحثين هي التي قامت بالتنقيب وجمع المواد، ولاشك أنه جهد كبير محمود لايقدر حجمه إلا من مارس العمل الببليوجرافي لأن البحث في الدوريات القديمة تواجهه صعاب مريرة.

ولما كان العمل الببليوجرافي شاقًا، وبخاصة إذا كان عن أعلام كبار مثل العقاد وطه حسين وغيرهما ممن كتبوا في عشرات الدوريات، وفي مساحة زمنية رحبة، فإنه يلزم الاستعانة بآخرين لاستمداد الخبرة منهم، والإفادة من وصاياهم وتوجيهاتهم.

وقد استعان المؤلفان على هذه الببليوجرافية التي نعرض لها، بأسرة طه حسين وبدارسيه وعارفيه من أمثال إبراهيم الإبياري وجابر عصفور، ولم يقفا عند هذا الحد بل أفادا من إمكانات الجامعة الأمريكية، وإلى جانب ذلك طبعًا ببليوجرافيا طه حسين مرتين، استدركا في الثانية مافاتهما في الأولى. ومع كل ذلك جاءت الببليوجرافيا ناقصة، يعتورها خلل شديد يهبط بمستواها هبوطًا حادًا. إذ خلت من مئات العناصر المتعلقة بطه حسين سواء ماكتبه أو ماكتب عنه، وليس هذا هو العيب الوحيد فيها، وإنما إلى جانبه كثرة الأخطاء في المادة المدونة، مما يضلل الباحث، ويشتت جهوده عبثًا.

ونحن لانطلب الكمال في مثل هذه الأعمال، ولكن الببليوجرافيا الممتازة هي التي لاتسقط منها مواد كثيرة جوهرية، وتكون أخطاؤها محدودة حتى تحتفظ بصفتها العلمية، وهذا مالم يتوافر في ببليوجرافيا طه حسين.

ويبدو أن المؤلفين السكوت وجونز أدركا نقصًا في عملهما، فقالا في مجال الدفاع: «أما العقبات التي تجابه من يتصدى لها فهي أوضح من أن نذكرها. ونكتفي هنا بالإشارة إلى أن كثيرًا من أعداد صحف ومجلات بعينها لم يتيسر لنا مراجعتها مرة ثانية...».

واعتقادي أن هذا ليس هو السبب الوحيد. فإن كثيرًا مما وقعنا عليه وسنورده هنا جمعناه من الصحف والأعداد نفسها التي رجع إليها باحثا الببليوجرافيا. وليس هذا فقط وإنما كان الباحثان يوردان عناصر دون عناصر من مجلة واحدة. وأحيانًا من عدد واحد، وهناك مقالات تنسبها الببليوجرافيا إلى غير المجلة التي

وردت فيها، وغير هذا مما سنوضحه في موضعه، وهذا يسقط حجة المؤلفين، ويعرب عن عدم دقة الباحثين.

وثمة أسباب أخرى لنقص المادة منها أن خبرة الباحثين بالمجلات محدودة، إذ كانا يقفان في الغالب على الفهارس الخارجية لأعداد المجلات، بينما يوجد داخل أعداد المجلات أبواب لعرض الكتب لا تأتي تفاصيلها في الفهرست، وفي هذه الأبواب تجد عناصر تتعلق بصاحب الببليوجرافيا تخفى عليهما.

ومن الأسباب الأخرى في نقص الببليوجرافيا عدم معرفة الباحثين بأطوار طه حسين الفكرية والثقافية والأوقات التي تنقل فيها من دورية إلى أخرى. الأمر الذي أدى إلى ضياع حوالي أربع مئة مقالة لطه حسين في جريدة «كوكب الشرق» فقط. فلو كان الباحثان أو المشرفان يعرفان هذه الأطوار ما أغفلا هذه الدورية المهمة في إنتاج طه حسين.

نقد الأعمال الببليوجرافية:

وإذا كانت الأعمال الببليوجرافية المتعلقة بالأعلام الكبار قليلة نسبيّاً، فإن النقد الببليوجرافي أقل بكثير. لأنه في اعتقادي أكثر مشقة من العمل الببليوجرافي. ذلك أن الناقد الببليوجرافي يضطر إلى مراجعة دوريات كثيرة بعين لاقطة فاحصة ليعثر فيها على ماسقط من الببليوجرافيا التي ينتقدها، بل إنه يدقق أكثر ليصوب عدداً من الأخطاء الواردة في العمل الببليوجرافي.

ونقدنا هذا لببليوجرافيا طه حسين ليس مقصوداً لذاته، أو تشهيراً بباحثي الببليوجرافيا بل هو إسهام في استيفاء المادة واستكمال العناصر.

واستجابة لنداء حمدي السكوت بمعاونته في هذا المجال، وإرشاده إلى المعلومات الغائبة، والأغلاط الواردة في الببليوجرافيا، فإننا نذكر له ماوقعنا عليه في الكتب والدوريات التي اطلعنا عليها وأغفلتها الببليوجرافيا الخاصة بطه حسين.

ولما كان المؤلفان السكوت وجونز قد حددا مجال العمل في ببليوجرافيا طه حسين في الفترة من ١٩٠٨م إلى نهاية عام ١٩٨٠ فإننا لن نتجاوز هذا التاريخ.

أما عن الطريقة التي سأتبعها في دراستي هذه فإنها تقوم على ذكر أسماء المقالات أو الكتابات التي كتبها طه حسين أو كتبت عنه في كل دورية على حدة، أو عن ماكتب عنه في قضية معينة أو في كتاب محدد في أكثر من دورية، يصاحب كل هذا إيضاحات عن الموضوعات التي نوردها ليلم القارئ بالظروف والملابسات التي سُجلت فيها. إذ رأيت أن يطالع القارئ موضوعًا يفيد منه بعض أطوار طه حسين الثقافية والصحافية، لامجرد أن يلقي نظرة على بيانات متتابعة ثم يطوي الصفحة. وكان في استطاعتي أن أنهج طريقة التسلسل الزمني فأورد ماكتبه طه حسين في ناحية طبقًا لتواريخه، وأسجل ماكتب عنه في ناحية أخرى وفقًا لتعاقب زمنه. وعلى أية حال فإن القارئ سيقف على ما أغفلته الببليوجرافيا.

* * * * *

أعمال لم توردها الببليوجرافيا لطه حسين وعنه الهداية (٣)

استهل طه حسين حياته الأدبية بالكتابة في جريدة «الجريدة» (٤) وصحف ومجلات الحزب الوطني ومن بينها مجلة «الهداية». وقد أوردت الببليوجرافيا اسمي مقالتين لطه حسين نشرهما في هذه المجلة عام ١٩١١، وفاتها ذكر مقالات أخرى مثل «القضاء والقدر» أبريل ١٩١١، وفي عام ١٩١١ أصدر جرجي زيدان الجزء الأول من كتابه الشهير «تاريخ آداب اللغة العربية» فهاجمه طه حسين في «الهداية» تحت عنوان «نقد صاحب الهلال - الكلمة الأولى» عدد يونيه ويوليه ١٩١١ و«نقد صاحب الهلال - الفصل الثاني» عدد أغسطس سبتمبر ١٩١١ وقد رد زيدان على طه حسين

في المجلة نفسها تحت عنوان «تاريخ آداب اللغة العربية - رد على انتقاد» عدد أغسطس - سبتمبر ١٩١١، ورد طه حسين على زيدان بمقالة عنوانها: «تاريخ آداب اللغة العربية - رد على رد» عدد أغسطس سبتمبر ١٩١١ . وهذا يبين عدم دقة باحثي الببليوجرافيا، إذ أوردا من «الهداية» سنة ١٩١١ مقالتين وفاتهما أربع مقالات لطه حسين، وواحدة تتعلق به رد بها زيدان عليه.

الهلال:

شارك طه حسين بمقالاته في مجلة «الهلال» منذ عام ١٩٢١، ومما أهملته الببليوجرافيا من آثاره فيها «الملهى» عدد فبراير ١٩٦٢ وهي قصة تمثيلية ترجمها عن مارسيل بانيول. ولم يقتصر دور «الهلال» على نشر مقالات طه حسين ومترجماته بل اهتمت بأعماله منذ بداياته، ومما نسيته الببليوجرافيا تقريظ «الهلال» لكتاب «الواجب» الجزء الأول عدد مارس ١٩١٤، ثم عادت وقرظت الجزء الثاني في عدد يونيه ١٩١٤ (٥).

ومما نسيته الببليوجرافيا أيضاً في مجال الكتابة عن طه حسين وأثبتته «الهلال»: «الرافعي وطه حسين» عدد يوليه ١٩٥٨، و «قصيدة لها قصة» لعلي الجنبلاطي عدد ديسمبر ١٩٧٣ . وفي أبريل ١٩٧٥ أصدرت «الهلال» عدداً خاصاً عن طه حسين أشارت إليه الببليوجرافيا إجمالاً في باب الأعداد الخاصة، وعند تفصيل الموضوعات في ص٤٨٧ أوردت أسماء ست مقالات من أصل خمس عشرة مقالة وقصيدة ضمها عدد أبريل ١٩٧٥ من «الهلال» عن طه حسين، والمقالات والقصائد التسع المنسية هي: «كلمة الهلال» لصالح جودت، «تحية من الرئيس محمد أنور السادات»، «إسلاميات طه حسين» لعبدالعزيز كامل، «قاهر الأيام» شعر لعبدالمنعم الرفاعي، «قوة الإرادة وبأس التحدي» لسيد نوفل، «معلم الجيل» لسعيد عقل، «الكلمات الخضر» شعر لمحي الدين صابر، «كتب النثر كروائع الشعر» لإبراهيم السامرائي، «عبقري العطاء العظيم» لعبدالرازق البصير. وهذا يبين عدم الدقة أثناء البحث والتسجيل، ففي عدد واحد من مجلة واحدة فات الباحثين كل هذا. ومما تركته الببليوجرافيا مقال «مأساة دار العلوم» للطاهر مكي. المنشور في «الهلال» مايو ١٩٧٧ وفيه كلام عن كتاب «في الشعر الجاهلي» ومقال «طه حسين في قفص الاتهام» لرجاء النقاش الوارد في «الهلال» مايو ١٩٧٧ أيضاً.

حول كتاب في الشعر الجاهلي:

عندما أصدر طه حسين كتاب «في الشعر الجاهلي» عام ١٩٢٦ أثار صخباً عالياً، وقُدّم طه حسين إلى التحقيق، وواجهه النقاد والقراء بكلمات صارخة، ونقدات ساخرة، وتابع كثير من الجرائد والمجلات هذه القضية باهتمام واضح. وقد دونت الببليوجرافيا مواد دون مواد، ورجعت إلى دوريات دون أخرى، ومما أغفلته وجاء في جريدة «الأهرام»:

«مغلاط الجامعة» ١ - ١٠ - ١٩٢٦، «طُهى» ٣ - ١٠ - ١٩٢٦ بتوقيع وحيد، وطُهى بضم الطاء أي الجرم بضم الجيم، «هياج الدكتور طه حسين» ٣ - ١٠ - ١٩٢٦ بإمضاء إسماعيل حلمي البارودي، «طُهى» بتوقيع مطالع ٧ - ١٠ - ١٩٢٦، «نقد آخر لكتاب طه حسين» ١٣ - ١٠ - ١٩٢٦ [إشارة إلى كتاب محمد الخضر حسين في الرد على طه حسين)، «نقد كتاب الشعر الجاهلي» ١٣ - ١٠ - ١٩٢٦ [إشارة إلى كتاب محمد فريد وجدي في نقد كتاب طه حسين)، «نقد النظرات ليس له» (٦) بإمضاء وحيد ١٤ - ١٠ - ١٩٢٦، «رسالتان متبادلتان بين سعد زغلول ومحمد فريد وجدي حول كتاب في الشعر الجاهلي» ١٩ - ١٠ - ١٩٢٦، «تأجيل التحقيق في الشعر الجاهلي» ٢٠ - ١٠ - ١٩٢٦، «كتاب الشعر الجاهلي - التحقيق مع مؤلفه» ٢٩ - ١٠ - ١٩٢٦، «قضية الدكتور طه حسين - صداها في الجرائد الإنجليزية» ٣٠ - ١٠ -

١٩٢٦ ، «كتاب في الشعر الجاهلي ونظر رئيس النيابة محمد نور أوراق التحقيق» ٣١ - ١٠ - ١٩٢٦ ، أبيات لمحمد الأسمر في هجاء طه حسين ٣١ - ١٠ - ١٩٢٦ ، «طُهى أيضًا» وحيد ٣١ - ١٠ - ١٩٢٦ ، برقيتان من طلبة معهد الزقازيق وأهالي أسيوط احتجاجًا على كتاب في الشعر الجاهلي ٣ - ١١ - ١٩٢٦ ، «طُهى لادين له» ٤ - ١١ - ١٩٢٦ ، «الدكتور طه حسين» (برقيات احتجاج) ٤ - ١١ - ١٩٢٦ ، «الشعر الجاهلي والرد عليه» ٥ - ١١ - ١٩٢٦ ، «خالف تعرف» لتادرس كامل عبدالملك ٧ - ١١ - ١٩٢٦ ، «طُهى» وحيد ٧ - ١١ - ١٩٢٦ ، «كتاب الشعر الجاهلي» ٢٢ - ١٢ - ١٩٢٦ .

وفي أول أكتوبر ١٩٢٦ رد طه حسين على هجمات الأهرام بكلمة جاءت تحت عنوان «أدب البحث والمناظرة» وعلقت الأهرام على رد طه حسين في العدد نفسه. وكل هذا لاوجود له في الببليوجرافيا . ويأخذنا العجب من باحثي الببليوجرافيا كيف أهملا كل ذلك مع أنهما أثبتا في ص٣٤٤ عنصرًا يتعلق بالتحقيق مع طه حسين ورد في الأهرام بتاريخ ٧ - ١١ - ١٩٢٦ ، أي في المدة نفسها التي رجعنا إليها ، والمصدر نفسه الذي نقلنا عنه .

ومما خفي على باحثي الببليوجرافيا وأوردته جريدة «المقطم» حول كتاب «في الشعر الجاهلي» : «كتاب الشعر الجاهلي» استجواب لمعالي وزير المعارف رفعه النائب مصطفى القاياتي ٢٠ - ٧ - ١٩٢٦ ، «بلاغ ضد الشيخ طه حسين» من هيئة كبار العلماء بالأزهر ١٥ - ٩ - ١٩٢٦ ، «الاعتداء على الدين وحرية الفكر في القانون» ٢١ - ٩ - ١٩٢٦ .

وفي نوفمبر ١٩٢٦ صدر كتاب «الشهاب الراصد» لمحمد لطفي جمعة ، وهو كتاب ضخم وكل ما حواه انتقاد لكتاب «في الشعر الجاهلي» ، وقد كتب عنه نقاد كثيرون في جرائد ومجلات مثل «الأهرام» في ٩ - ١١ - ١٩٢٦ ، «المقتطف» عدد ديسمبر ١٩٢٦ ، أسعد خليل داغر - «المقطم» في ٢٨ - ١٢ - ١٩٢٦ ، عصام الدين حفني ناصف في «الفجر» ٦ - ١ - ١٩٢٧ ، يوسف ضادر في «المجلة القضائية» يناير ١٩٢٧ ، وذكر يوسف أسعد داغر في «مصادر الدراسة الأدبية» أن المجلات الآتية كتبت عن «الشهاب الراصد» : «المكشوف» عدد ١٢٨ ، «المشرق» ٢٥ (١٩٢٧) ، «العرفان» ١٢ ، وكل هذا المتصل بطه حسين وكتابه «في الشعر الجاهلي» نسيته الببليوجرافيا .

* * * * *

كوكب الشرق: (٧)

ننتقل إلى جريدة «كوكب الشرق» لصاحبها أحمد حافظ عوض الذي دعا طه حسين للكتابة في صحيفته ، وعندما استجاب طه حسين استقبله صاحب الكوكب بكلمة حافلة نُشرت بتاريخ ٨ - ٣ - ١٩٣٣ أغفلتها الببليوجرافيا ، ثم أخذ طه حسين يحرر في الكوكب يوميًا أو شبه يومي منذ ٩ - ٣ - ١٩٣٣ إلى ٢٤ - ٤ - ١٩٣٤ ، وقد جاءت مقالاته في باب ثابت من الجريدة عنوانه «حديث المساء» لأن الكوكب كانت جريدة مسائية ، وكان عنوان المقالة يتكون في الغالب من كلمة واحدة على ماسنرى . وعندما ترك طه الكوكب ، وأخذ يحرر في «الوادي» كانت معظم عناوين مقالاته مكونة من كلمة واحدة أيضًا . وإلى جانب المقالات اليومية أو شبه اليومية ، كانت «كوكب الشرق» تنشر له في مكان آخر من صفحاتها نصوص المحاضرات التي كان يلقيها هنا أو هناك ، وعلى هذا لايعجب القارئ إذا وجد لطه حسين أكثر من مقالة في العدد الواحد .

وقد بلغ ماكتبه طه حسين في الكوكب حوالي أربع مئة مقالة ، علاوة على مقالات ونتف كثيرة عنه . وللأسف لم تسجل الببليوجرافيا شيئًا من هذا . وهذه المقالات التي تعد بالمئات أكرر بالمئات ، تشكل مأساة حقيقية ، وضربة موجعة قاسية للببليوجرافيا ولباحثيها .

وقد عكف محمد سيد كيلاني على هذه المقالات وجمع منها (١٨١) إحدى وثمانين ومئة مقالة مما كتبه طه حسين في الكوكب في الفترة من ٩ - ٣ - ١٩٣٣ - إلى ٢٥ - ٩ - ١٩٣٣ وذلك في أربعة كتب هي: «حديث المساء» و«غرابيل» وصدرا عام ١٩٨٣ عن دار العرب للبستاني، و«شارع قولة» و«تجديد» وصدرا عام ١٩٨٤ عن دار الفرجاني. ولأن هذه الكتب متوافرة ويمكن الحصول عليها، والوقوف على مادتها، فإننا رأينا أن نسجل هنا أسماء بقية المقالات التي لم ترد في هذه الكتب، والتي كتبها طه حسين ابتداءً من ٢٦ - ٩ - ١٩٣٣ إلى ٢٤ - ٤ - ١٩٣٤ ونبدأ بمقالة «ثم» المنشورة بالكوكب في تاريخ ٢٣ - ٩ - ١٩٣٣ لأنها سقطت - ربما عن طريق السهو - من الكيلاني.

مقالات طه حسين في كوكب الشرق التي أغفلتها البيبليوجرافيا

١ - ثـم ٢٣ - ٩ - ١٩٣٣
٢ - خلاصة ٢٦ - ٩ - ١٩٣٣
٣ - فضول ٢٧ - ٩ - ١٩٣٣
٤ - وزارتان ٢٨ - ٩ - ١٩٣٣
٥ - دعابة ٢٩ - ٩ - ١٩٣٣
٦ - طاعة ٢ - ١٠ - ١٩٣٣
٧ - مغضب ٤ - ١٠ - ١٩٣٣
٨ - شيخ ٥ - ١٠ - ١٩٣٣
٩ - ذيول ٦ - ١٠ - ١٩٣٣
١٠ - غدا ٧ - ١٠ - ١٩٣٣
١١ - مظلوم ٨ - ١٠ - ١٩٣٣
١٢ - شهادة ٩ - ١٠ - ١٩٣٣
١٣ - مليونان ١٠ - ١٠ - ١٩٣٣
١٤ - استعطاف ١١ - ١٠ - ١٩٣٣
١٥ - جزاء ١٢ - ١٠ - ١٩٣٣
١٦ - تقاليد ١٣ - ١٠ - ١٩٣٣
١٧ - مشهد ١٤ - ١٠ - ١٩٣٣
١٨ - مساواة ١٦ - ١٠ - ١٩٣٣
١٩ - نزاهة ١٧ - ١٠ - ١٩٣٣
٢٠ - ظلم ١٨ - ١٠ - ١٩٣٣
٢١ - مفاوضات ١٩ - ١٠ - ١٩٣٣
٢٢ - ارتياح ٢٠ - ١٠ - ١٩٣٣
٢٣ - قذف ٢١ - ١٠ - ١٩٣٣
٢٤ - حرج ٢٢ - ١٠ - ١٩٣٣
٢٥ - رجل ٢٣ - ١٠ - ١٩٣٣
٢٦ - زيارة ٢٤ - ١٠ - ١٩٣٣
٢٧ - تحقيق ٢٥ - ١٠ - ١٩٣٣
٢٨ - عامة ٢٧ - ١٠ - ١٩٣٣
٢٩ - فلسطين ٢٨ - ١٠ - ١٩٣٣
٣٠ - فضائح ٢٩ - ١٠ - ١٩٣٣
٣١ - فلسطين ٣٠ - ١٠ - ١٩٣٣ (٨)
٣٢ - حكاية ٣١ - ١٠ - ١٩٣٣
٣٣ - نهضتنا الأدبية
ومانقصها ١ - ١١ - ١٩٣٣ (٩)
٣٤ - أعاجيب ١ - ١١ - ١٩٣٣
٣٥ - خذلان ٢ - ١١ - ١٩٣٣
٣٦ - قناعة ٤ - ١١ - ١٩٣٣
٣٧ - معلوم ٥ - ١١ - ١٩٣٣
٣٨ - سخرية ٦ - ١١ - ١٩٣٣
٣٩ - وداع ٧ - ١١ - ١٩٣٣
٤٠ - عصبة ٨ - ١١ - ١٩٣٣
٤١ - معلق ٩ - ١١ - ١٩٣٣
٤٢ - مخزيات ١٠ - ١١ - ١٩٣٣
٤٣ - خوف ١١ - ١١ - ١٩٣٣
٤٤ - عيد ١٣ - ١١ - ١٩٣٣
٤٥ - مضاربة ١٤ - ١١ - ١٩٣٣
٤٦ - أزمة ١٥ - ١١ - ١٩٣٣

٤٧ - كارثة ١٦ - ١١ - ١٩٣٣
٤٨ - بلاغة ١٧ - ١١ - ١٩٣٣
٤٩ - صبريات ١٨ - ١١ - ١٩٣٣
٥٠ - صفاء ١٩ - ١١ - ١٩٣٣
٥١ - بيان ٢١ - ١١ - ١٩٣٣
٥٢ - صبريات ٢٢ - ١١ - ١٩٣٣
٥٣ - محرج ٢٣ - ١١ - ١٩٣٣
٥٤ - طهي ٢٤ - ١١ - ١٩٣٣
٥٥ - حرب ٢٥ - ١١ - ١٩٣٣
٥٦ - صبريات ٢٧ - ١١ - ١٩٣٣
٥٧ - تضحية ٢٨ - ١١ - ١٩٣٣
٥٨ - إياب ٢٩ - ١١ - ١٩٣٣
٥٩ - شكرا ٣٠ - ١١ - ١٩٣٣
٦٠ - بلاغ ١ - ١٢ - ١٩٣٣
٦١ - موقعة ٢ - ١٢ - ١٩٣٣
٦٢ - انتظار ٣ - ١٢ - ١٩٣٣
٦٣ - عنوان ٤ - ١٢ - ١٩٣٣
٦٤ - نوبة ٥ - ١٢ - ١٩٣٣
٦٥ - حذر ٦ - ١٢ - ١٩٣٣
٦٦ - حصار ٧ - ١٢ - ١٩٣٣
٦٧ - بؤس ٨ - ١٢ - ١٩٣٣
٦٨ - أخلاق ٩ - ١٢ - ١٩٣٣
٦٩ - هزيمة ١١ - ١٢ - ١٩٣٣
٧٠ - إثارة ١٢ - ١٢ - ١٩٣٣
٧١ - خلوة ١٣ - ١٢ - ١٩٣٣
٧٢ - بول فاليرى ١٥ - ١٢ - ١٩٣٣ (١٠)
٧٣ - شك ١٥ - ١٢ - ١٩٣٣
٧٤ - عدوى ١٦ - ١٢ - ١٩٣٣
٧٥ - كلمة الأستاذ الكبير الدكتور طه حسين في تقديم خريجات كلية الآداب ١٧ - ١٢ - ١٩٣٣
٧٦ - مشغولة ١٧ - ١٢ - ١٩٣٣
٧٧ - خطر ١٨ - ١٢ - ١٩٣٣
٧٨ - رحمة ١٩ - ١٢ - ١٩٣٣
٧٩ - مريض ٢٠ - ١٢ - ١٩٣٣
٨٠ - سيادة ٢١ - ١٢ - ١٩٣٣
٨١ - حفلة ٢٢ - ١٢ - ١٩٣٣
٨٢ - صدق ٢٣ - ١٢ - ١٩٣٣
٨٣ - خذلان ٢٤ - ١٢ - ١٩٣٣
٨٤ - إرادة ٢٦ - ١٢ - ١٩٣٣
٨٥ - خطبة ٢٧ - ١٢ - ١٩٣٣
٨٦ - أبو حنيفة ٢٩ - ١٢ - ١٩٣٣ (١١)
٨٧ - ابتهاج ٢٩ - ١٢ - ١٩٣٣
٨٨ - فساد ٣٠ - ١٢ - ١٩٣٣
٨٩ - عام ٣١ - ١٢ - ١٩٣٣
٩٠ - عيد ١ - ١ - ١٩٣٤
٩١ - لغة المسرح ٤ - ١ - ١٩٣٤
٩٢ - دفاع ٤ - ١ - ١٩٣٤
٩٣ - إعراض ٥ - ١ - ١٩٣٤
٩٤ - تعديل ٦ - ١ - ١٩٣٤
٩٥ - أمن ٧ - ١ - ١٩٣٤
٩٦ - استقبال ٨ - ١ - ١٩٣٤
٩٧ - احتجاج ٩ - ١ - ١٩٣٤
٩٨ - حياة ١٠ - ١ - ١٩٣٤
٩٩ - أزمة ١١ - ١ - ١٩٣٤
١٠٠ - سمر ١٢ - ١ - ١٩٣٤
١٠١ - رعب ١٣ - ١ - ١٩٣٤
١٠٢ - جد ١٤ - ١ - ١٩٣٤
١٠٣ - مقاطعة ١٥ - ١ - ١٩٣٤
١٠٤ - صبريات ١٦ - ١ - ١٩٣٤ (١٢)
١٠٥ - غيبة ٢٠ - ١ - ١٩٣٤
١٠٦ - منع ٢١ - ١ - ١٩٣٤

١٠٧ - هيبة ٢٢ - ١ - ١٩٣٤
١٠٨ - دروس ٢٣ - ١ - ١٩٣٤
١٠٩ - تربية ٢٤ - ١ - ١٩٣٤
١١٠ - أزمة ٢٥ - ١ - ١٩٣٤
١١١ - نبوغ ٢٦ - ١ - ١٩٣٤
١١٢ - مشكلات ٢٧ - ١ - ١٩٣٤
١١٣ - تنظيم ٢٨ - ١ - ١٩٣٤
١١٤ - أخلاق ٢٩ - ١ - ١٩٣٤
١١٥ - هزل ٣٠ - ١ - ١٩٣٤
١١٦ - حيرة ٣١ - ١ - ١٩٣٤
١١٧ - تحد ١ - ٢ - ١٩٣٤
١١٨ - أنباء ٢ - ٢ - ١٩٣٤
١١٩ - شباب ٣ - ٢ - ١٩٣٤
١٢٠ - هناك ٤ - ٢ - ١٩٣٤
١٢١ - تجارب ٥ - ٢ - ١٩٣٤
١٢٢ - حرج ٦ - ٢ - ١٩٣٤
١٢٣ - حماية ٧ - ٢ - ١٩٣٤
١٢٤ - حماية ٨ - ٢ - ١٩٣٤
١٢٥ - امتحان ٩ - ٢ - ١٩٣٤
١٢٦ - تلاميذ ١٠ - ٢ - ١٩٣٤
١٢٧ - في الأوبرا ١١ - ٢ - ١٩٣٤
١٢٨ - امتيازات ١١ - ٢ - ١٩٣٤
١٢٩ - تمهيد ١٢ - ٢ - ١٩٣٤
١٣٠ - مداورة ١٥ - ٢ - ١٩٣٤
١٣١ - جريء ١٦ - ٢ - ١٩٣٤
١٣٢ - قدوم ١٧ - ٢ - ١٩٣٤
١٣٣ - عناية ١٨ - ٢ - ١٩٣٤
١٣٤ - بطولة ١٩ - ٢ - ١٩٣٤
١٣٥ - ختام ٢٠ - ٢ - ١٩٣٤
١٣٦ - خطيب ٢١ - ٢ - ١٩٣٤
١٣٧ - فراغ ٢٢ - ٢ - ١٩٣٤
١٣٨ - ضيف ٢٣ - ٢ - ١٩٣٤
١٣٩ - تضليل ٢٤ - ٢ - ١٩٣٤
١٤٠ - نظام ٢٥ - ٢ - ١٩٣٤
١٤١ - خداع ٢٦ - ٢ - ١٩٣٤
١٤٢ - حكم ٢٧ - ٢ - ١٩٣٤
١٤٣ - إنقاذ ٢٨ - ٢ - ١٩٣٤
١٤٤ - تسليم ١ - ٣ - ١٩٣٤
١٤٥ - ميرابو ٢ - ٣ - ١٩٣٤
١٤٦ - حماية ٣ - ٣ - ١٩٣٤
١٤٧ - غريب ٤ - ٣ - ١٩٣٤
١٤٨ - أغلال ٥ - ٣ - ١٩٣٤
١٤٩ - لقاء ٦ - ٣ - ١٩٣٤
١٥٠ - فكاهة ٨ - ٣ - ١٩٣٤
١٥١ - تراث ٩ - ٣ - ١٩٣٤
١٥٢ - دفاع ١٠ - ٣ - ١٩٣٤
١٥٣ - سوس ١٢ - ٣ - ١٩٣٤
١٥٤ - قسوة ١٣ - ٣ - ١٩٣٤
١٥٥ - زائر ١٤ - ٣ - ١٩٣٤
١٥٦ - استقلال ١٥ - ٣ - ١٩٣٤
١٥٧ - منطق ١٦ - ٣ - ١٩٣٤
١٥٨ - استقلال ١٧ - ٣ - ١٩٣٤
١٥٩ - حملة ١٨ - ٣ - ١٩٣٤
١٦٠ - تواضع ١٩ - ٣ - ١٩٣٤
١٦١ - مواساة ٢٠ - ٣ - ١٩٣٤
١٦٢ - تحقيق ٢١ - ٣ - ١٩٣٤
١٦٣ - استقالة ٢٢ - ٣ - ١٩٣٤
١٦٤ - امتحان ٢٣ - ٣ - ١٩٣٤
١٦٥ - معونتان ٢٤ - ٣ - ١٩٣٤
١٦٦ - هدية ٢٥ - ٣ - ١٩٣٤
١٦٧ - أحاديث ٢٦ - ٣ - ١٩٣٤
١٦٨ - مختار ٢٨ - ٣ - ١٩٣٤

١٦٩ - هزيمة ٢٩ - ٣ - ١٩٣٤
١٧٠ - بواعث ٣٠ - ٣ - ١٩٣٤
١٧١ - خصام ٣١ - ٣ - ١٩٣٤
١٧٢ - غرام ١ - ٤ - ١٩٣٤
١٧٣ - نصيحة ٢ - ٤ - ١٩٣٤
١٧٤ - حيرة ٣ - ٤ - ١٩٣٤
١٧٥ - عاصفة ٤ - ٤ - ١٩٣٤
١٧٦ - موقف ٥ - ٤ - ١٩٣٤
١٧٧ - أزمتان ٦ - ٤ - ١٩٣٤
١٧٨ - مغالطة ٨ - ٤ - ١٩٣٤
١٧٩ - قصور ١٠ - ٤ - ١٩٣٤
١٨٠ - إقدام ١١ - ٤ - ١٩٣٤
١٨١ - إقطاع ١٢ - ٤ - ١٩٣٤
١٨٢ - والآن ١٣ - ٤ - ١٩٣٤
١٨٣ - والآن ١٤ - ٤ - ١٩٣٤
١٨٤ - والآن ١٦ - ٤ - ١٩٣٤
١٨٥ - والآن ١٧ - ٤ - ١٩٣٤
١٨٦ - تأديب ١٩ - ٤ - ١٩٣٤
١٨٧ - صراع ٢٠ - ٤ - ١٩٣٤
١٨٨ - تنفيذ ٢٤ - ٤ - ١٩٣٤

البيبليوجرافيا تغفل ماجاء عن طه حسين في كوكب الشرق:

ولم يكن هذا فقط مافات البيبليوجرافيا في الكوكب، بل فاتها أيضًا ماكُتب عنه فيها في عامي ١٩٣٣، ١٩٣٤ .

ومما يجدر ذكره - في مجال ما أهملته البيبليوجرافيا - أن طه حسين كتب مقالة في كوكب الشرق عنوانها «دائرة» بتاريخ ٢٨ - ٨ - ١٩٣٣ تضمنت طعنًا في العرب، فانبرت له جريدة «فتى العرب» السورية وهاجمته، فأرسل طه حسين ردآً إلى «فتى العرب» على صفحات الكوكب تحت عنوان «كتاب طه حسين إلى جريدة فتى العرب» بتاريخ ٩ - ٩ - ١٩٣٣، وأخذت الكوكب تتابع المعركة فنشرت أخبارًا ومقالات تتعلق بهذه القضية مثل: «بين الدكتور طه حسين وبعض السوريين وندوة المأمون ضد إحراق مؤلفات طه حسين» ٩ - ٩ - ١٩٣٣، «الحرية الفكرية والعصبية الذميمة بمناسبة الضجة حول الأستاذ طه حسين» ١٣ - ٩ - ١٩٣٣ وهو مقال نقلته الكوكب عن جريدة ألف باء الدمشقية عن حرية الفكر كتبه وجيه بيضون، «طه حسين والعرب. هل الدكتور طه حسين شعوبي» للأستاذ سامي الكيالي، نقلته الكوكب عن جريدة التقدم بتاريخ ٢٧ - ٩ - ١٩٣٣، و«بين الشعوبية والعربية» لنسيب الاختيار نقلته الكوكب عن ألف باء في ٢٧ - ٩ - ١٩٣٣، «الدكتور طه حسين والعرب» نشرته الكوكب في ٢٨ - ٩ - ١٩٣٣ . ولم تنس البيبليوجرافيا ماجاء في الكوكب فقط عن هذه القضية، وإنما نسيت ماجاء في جريدة «البلاغ» بتاريخ ٧ - ٩ - ١٩٣٣، وماكتبه فتحي رضوان تحت عنوان «لافرعونية ولاعربية. .» في «البلاغ» بتاريخ ١٩ - ٩ - ١٩٣٣، وماسطره محمد لطفي جمعة تحت عنوان «مصر بين العروبة والفرعونية» في مجلة الرابطة العربية بتاريخ ١٣ - ١٠ - ١٩٣٧ .

ومما جاء في الكوكب عن طه حسين: «قضية الدكتور طه حسين - تأجيلها» ٧ - ١٠ - ١٩٣٣، وكان طه حسين قد رفع قضية ضد الحكومة يطالبها بتعويض مالي لفصله من الخدمة(١٣) «الدكتور طه حسين والسيدة قرينته عند أم المصريين» ٨ - ١٠ - ١٩٣٣، «الدكتور طه حسين بمناسبة زيارته مصنع سجاير وتسجيله كلمة إعجاب» ٢٤ - ١٠ - ١٩٣٣، «قضية الأستاذ الدكتور طه حسين» ٢٤ - ١١ - ١٩٣٣، «قضية الدكتور طه حسين إرجاء النظر فيها» ٢٥ - ١١ - ١٩٣٣، «على هامش السيرة» ١١ - ١٥ - ١٩٣٣،

«محاضرة للدكتور طه حسين عن بول فاليري» ١٣ - ١٢ - ١٩٣٣، «على هامش السيرة للدكتور طه حسين» بقلم محمد كامل حسين. ٢٧ - ١٢ - ١٩٣٣، «محاضرة الدكتور طه حسين عن أبي حنيفة» ٢٨ - ١٢ - ١٩٣٣، «محاضرة الدكتور طه حسين على أبي حنيفة» (وصف للحفلة) ٢٩ - ١٢ - ١٩٣٣، «سبب انقطاع طه حسين عن الكتابة» ٣ - ١ - ١٩٣٤ (كان قد انقطع عن الكتابة عدة أيام)، «شكر من طه حسين» ٢٤ - ١ - ١٩٣٤، «الأدب الحديث في مصر» بقلم نجيب البهبيتي، ويتضمن حديثًا عن الشعر الجاهلي. الكوكب في ٢٧ - ١ - ١٩٣٤، «قضية الدكتور طه حسين» ٤ - ٢ - ١٩٣٤، «قضية الدكتور طه حسين» ٦ - ٢ - ١٩٣٤، «مرافعة سعادة محمد علي علوبة في قضية الدكتور طه حسين» ٦ - ٢ - ١٩٣٤، «بقية مرافعة الأستاذ علوبة في قضية الدكتور طه حسين» ٧ - ٢ - ١٩٣٤، «بقية مرافعة الأستاذ علوبة في قضية الدكتور طه حسين» ٨ - ٢ - ١٩٣٤، «قضية الدكتور طه حسين ضد الحكومة» ٢٢ - ٤ - ١٩٣٤ (١٤). وكل هذا ورد في الكوكب ولم يرد له ذكر في الببليوجرافيا والظاهر الجلي أن الباحثين والمشرفيْن لم يفطنا، ولم يرد على خاطرهما أن لطه حسين شيئًا أو عنه شيئًا في الكوكب في العامين ٣٣، ١٩٣٤، ومرد هذا لعدم إلمامهما بأطوار طه حسين الثقافية.

* * * * *

المقتطف ومصادر أخرى:

وقد استعانت الببليوجرافيا بأسرة طه حسين وبآخرين على نحو ماأسلفنا الإشارة، وكان يجب على المؤلفين السكوت وجونز الاستعانة ببليوجرافيات أخرى صدرت من قبل وفيها إشارات لطه حسين مثل «كشاف الأهرام» وكتاب «مصادر الدراسة الأدبية» ليوسف أسعد داغر الذي صدر في بيروت عام ١٩٥٦، كذلك كان يجب عليهما أن يفيدا من الكتب التي صدرت عن طه حسين، وينظرا في الإشارات المختلفة المتعلقة به، ومراجعة كل ذلك وغربلته. ولكن يبدو أنهما لم يأخذا هذا الأمر بجدية. ونشير هنا إلى ماورد لطه حسين أو عنه في فهارس المقتطف، وفي كتاب «طه حسين الشاعر الكاتب» لمحمد سيد كيلاني.

في عام ١٩٦٧ نُشرت في بيروت فهارس مجلة المقتطف (١٨٧٦ - ١٩٥٢)، وجاء في الجزء الأول ص٦٥٤، ٦٥٥ عن طه حسين مادة قليلة، وقد راجعناها على ببليوجرافيا السكوت وتبين لنا أن هناك عناصر كثيرة وردت في فهارس المقتطف وأغفلتها ببليوجرافيا طه حسين، ونحن نثبت هنا مالم تسجله الببليوجرافيا كما ورد في فهارس المقتطف. ومما هو جدير بالذكر أن فهرست المقتطف عن طه حسين وغيره جاء مرتبًا ترتيبًا أبجدياً، ولم يفْصل بين ماكتبه طه حسين وماكتب عنه.

والمواد التي أغفلتها الببليوجرافيا ووردت في فهرست المقتطف هي:

* الأيام: ج٩٦ (١٩٤٠) ص٤٦٥
* تكريم المعلمين (لطه حسين) ج١١٧ (١٩٥٠) ص٢٠٦ (١٥)
* جنة الشوك: ج١٠٧ (١٩٤٥) ص٥٠
* الحب الضائع: ج١٠١ (١٩٤٢) ص٢٠٥
* دعاء الكروان: ج١٠٠ (١٩٤٢) ص١٩٩
* ذكرى أبي العلاء: ج٤٨ (١٩١٦) ص١٩٢ وج ٦٠ (١٩٢٢) ص٣٩٧
* روح التربية (لطه حسين) ج٦٣ (١٩٢٣) ص٣٠٥
* صوت أبي العلاء: ج١٠٥ (١٩٤٤) ص٤٦٨
* على هامش السيرة: ج٨٤ (١٩٣٤) ص١٠٨ وج ٩٢ (١٩٣٨) ص٤٧٥
* قادة الفكر: ج٦٧ (١٩٢٥) ص٣٣٤
* القصر المسحور: ج٩٠ (١٩٣٧) ص٤٩٥
* قصص تمثيلية: ج٦٥ (١٩٢٤) ص٤٦٠

* لبنان ومصر (لطه) ج١٠٦ (١٩٤٥) ص٣٨٣
* لحظات: ج١٠١ (١٩٤٢) ص٣٢٨
* المجمل في تاريخ الأدب العربي: ج٧٦ (١٩٣٠) ص٢٢٨
* مستقبل الثقافة في مصر: ج٩٤ (١٩٣٩) ص٢٥٢
* مع المتنبي: ج٩٠ (١٩٣٧) ص٣٦٠
* من بعيد: ج٨٨ (١٩٣٦) ص٢٩٠
* النقد الأدبي: ج٨١ (١٩٣٢) ص٩٩
* الواجب (مترجم) ج٤٤ (١٩١٤) ص٣٠٢

ونضيف إلى ماجاء في فهرست المقتطف ولم تذكره الببليوجرافيا ماورد عن طه حسين وعلاقته بمي زيادة في عدد يناير ١٩٤٢ من مجلة المقتطف بمناسبة وفاة الأخيرة في أكتوبر ١٩٤١ .

أما كتاب «طه حسين الشاعر الكاتب» فقد استشهد مؤلفه محمد سيد كيلاني بفقرات من مقالات لطه حسين أو لغيره تتعلق به مثل مقال: «ويحي من غد» لطه حسين نشرته «مصر الفتاة» في ١٥ - ٩ - ١٩٠٩، ويظهر اضطراب عقيدته الدينية، و«مولد الحسين» له أيضًا نشرته «الجريدة» في ٣ - ٤ - ١٩١٣ ويعرب عن ميله إلى المجون، ومقال: «إلى قتيل النظرات» رد به كاتب على طه حسين في «المؤيد» بتاريخ ٦/ ١/ ١٩١٠، وكان طه حسين قد كتب عدة مقالات في انتقاد كتاب النظرات للمنفلوطي، ومقال لمصطفى صادق الرافعي ناقش فيه طه حسين ونشرته «الجريدة» في ١١ - ١ - ١٩١٣، ونشرت جريدة «الشعب» في ٦ - ٣ - ١٩٣٢ استجواب بعض أعضاء مجلس النواب إلى وزير المعارف حول طه حسين، ونشرت الصحيفة نفسها في ١٧ - ٣ - ١٩٣٢ سؤال النائب أحمد والي عن المبالغ التي صرفت لطه حسين عند سفره إلى أوربا لتمثيل الحكومة والجامعة، وكل هذا لم ينتبه إليه باحثا الببليوجرافيا، وهناك إشارات أخرى في كتب أخرى ضربنا عنها صفحًا .

* * * * *

الثقافة:

ونعني بها مجلة «الثقافة» التي صدرت عام ١٩٧٣ ورأس تحريرها عبدالعزيز الدسوقي وقد حفلت بكتابات ضافية عن طه حسين منذ رحيله، ونورد منها مالم تثبته الببليوجرافيا «مات عميد الأدب العربي» عدد نوفمبر ١٩٧٣ بتوقيع الثقافة، «حوار حول الثقافة ومستقبل الثقافة» مع عثمان نويه. ديسمبر ١٩٧٣، «أحلام شهرزاد بين المعرفة والثورة» لعلاء وحيد. ديسمبر ١٩٧٣، «طه حسين وحديث الذكريات» ليوسف السباعي. مارس ١٩٧٥، «طه حسين وأثر الثقافة الفرنسية في أدبه» لنبيل فرج. سبتمبر ١٩٧٥، «طه حسين في ذكراه الثانية» ليوسف السباعي. نوفمبر ١٩٧٥، «صبري السربوني - سيرة تاريخية» أبريل ١٩٧٦ ويتضمن رواية للسربوني عن نجاح طه حسين في السربون، وطعنًا فيما رواه طه حسين عن الأساتذة الذين درس عليهم في الجامعة الفرنسية، ومما تجدر الإشارة إليه: أن محمد صبري السربوني كان زميلاً لطه حسين في السربون كما أن طه حسين تحدث عن السربوني في الجزء الثالث من الأيام.

ومقال: «بين المازني وطه حسين» رجب البيومي ديسمبر ١٩٧٨، «أستاذ طه حسين» عبدالعزيز الدسوقي. ديسمبر ١٩٧٨، «الأزهر وأيام طه حسين» عبدالعزيز الدسوقي. يناير ١٩٨٠، «بين إسحق نافون وطه حسين» لأحمد حسين. ديسمبر ١٩٨٠ .

* * * * *

كتب تناولت طه حسين في فصول:

خصصت الببليوجرافيا فصلاً عن الكتب التي تناولت طه حسين في فصول، وذكرت كثيرًا من الكتب التي عرضت له، ولكن غابت عنها الكتب الآتية:

* «أدب المازني» لنعمان أحمد فؤاد. ط الخانجي بمصر ١٩٦١ من ص٢٣٥ - ٢٣٨ .

* «عبدالله بن المقفع». لمحمد غفراني خراساني. ط الدار القومية للطباعة والنشر بمصر ١٩٦٥ صفحات ٥٢، ٦١، ١٢٤، ١٢٥، ١٦١، ١٨٩، ٣٦٠، ومن ٤٤٧ - ٤٤٩، ٤٥٦، ومن ٤٥٩ - ٤٦٣.

* «مصطفى صادق الرافعي». لكمال نشأت. سلسلة أعلام العرب. نوفمبر ١٩٦٨ (فصل عنوانه: مع طه حسين. من ص٥٢ إلى ٥٧).

* «صفحات مجهولة من حياة زكي مبارك». لمحمد محمود رضوان. كتاب الهلال ١٩٧٤ (من ص١٣٢ - ١٤١).

* «مصطفى صادق الرافعي، حياته وأدبه». لحسنين حسن مخلوف. كتاب الهلال مايو ١٩٧٦ (فصل عنوانه: الرافعي بين العقاد وطه حسين. من ص٢٦ إلى ٣٤).

* «تطور النقد العربي الحديث في مصر». لعبدالعزيز الدسوقي. الهيئة العامة للكتاب بمصر ١٩٧٧ (من ص٤٥٩ إلى ٤٦٦).

* «وثائق من كواليس الأدباء». لتوفيق الحكيم. كتاب اليوم. مصر ١٩٧٧ (من ص٨٥ - ٨٩، ومن ١٣٠ - ١٤٧، ومن ١٦٥ - ١٦٨).

* «فن السيرة». لإحسان عباس. دار الثقافة ببيروت الطبعة الرابعة ١٩٧٨ (صفحات ١٠٩، ١٤١، ومن ١٤٦ - ١٥٠. ويتضمن موازنة بين كتابي «حياتي» لأحمد أمين و«الأيام» لطه حسين).

* «دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي». لعبدالرحمن بدوي. دار العلم للملايين ١٩٧٩ (المقدمة من ص٥ إلى ص١٤).

* «كامل الشناوي. آخر ظرفاء ذلك الزمان» ليوسف شريف. روز اليوسف ١٩٨٠ (٣٢، ٣٣). وهناك كتب أخرى.

* * * * *

دورات مجمع اللغة العربية:

شارك طه حسين في نشاط «مجمع اللغة العربية» بآرائه وبمقترحاته وبكلماته في استقبال وتأبين بعض المجمعيين، وبمناقشاته للبحوث المقدمة للمجمع، وبإشرافه على بعض اللجان العلمية واللغوية. وقد نشر المجمع محاضر جلسات كثيرة في مجلدات كبيرة في أوائل السبعينات من القرن العشرين، وتضمنت إسهامات طه حسين في مجمع اللغة. ويقلب القارئ صفحات الببليوجرافيا صفحة صفحة. صفحة لعله يفوز بإشارة إلى محاضر دورات المجمع ليقف على جهود طه حسين فيها فلايقع على شيء. وقد أوردت الببليوجرافيا عدة مقالات لطه حسين نشرها في «مجلة مجمع اللغة العربية». أما محاضر الجلسات المنشورة فكان بينها وبين الببليوجرافيا خصام وقطيعة، ويبدو أنه لم يخطر ببال الببليوجرافيين التابعين للجامعة الأمريكية أن هناك محاضر جلسات للمجمع قد نشرت ويمكن أن تمد عملهم بشيء.

وتحت يدي محاضر جلسات عديدة، وليس بالإمكان سرد كل جهود طه حسين في هذه الدورات لضيق المكان، لذلك رأيت أن أعرض لنشاط طه حسين في عدة دورات عرضًا سريعًا خفيفًا، من باب التمثيل والتدليل، وليس على سبيل الحصر والتفصيل.

ففي المجلد الذي صدر عام ١٩٧٢ وعنوانه «محاضر الجلسات في الدورة الرابعة عشرة» المنعقدة في سنة ١٩٤٧ - ١٩٤٨ (١٦)، نجد أن طه حسين شارك في مناقشة «مذكرة في شأن المعجم اللغوي التاريخي» ص٣٩، وفي عمل شارة خاصة للمجمع وزي رسمي لأعضائه ص٤٥، ومذكرة ترشيح علي عبدالرازق ص٨٤، ومناقشة حول «المعجم اللغوي الوسيط» ص٨٨، ومناقشة اقتراح طه حسين في اختيار من يعملون تحت إشرافه بالمعجم اللغوي الكبير ص١٦١، وأقواله بخصوص «معجم ألفاظ القرآن الكريم» ورأيه

في البحث المقدم عن حرف الهمزة ص٣١٣ . إلى آخره، وآخره كثير . وفي مجلد «الدورة الخامسة عشرة» ١٩٤٨ - ١٩٤٩ الصادر عام ١٩٧٣ يتابع طه حسين مع غيره النظر في مصطلحات علم الطبيعة ص١٦١ ، وفي دائرة المعارف الإسلامية التي ستقوم بوضعها أكاديمية هولندية ص١٦٧ ، ومعجم المصطلحات النباتية ص١٦٩ ، ويناقش المحاضرة التي ألقاها خليل السكاكيني عن «النحو» ص٣١١ ، ويعقب على محاضرة محمد رضا الشبيبي عن «النهضة الأدبية في العراق» ص٣٣٩ ، ويعلق على البحث الذي قدمه علي الجارم عن «الجملة الفعلية» ص٣٨٣ إلى آخره . وآخره بعيد .

وفي مجلد «الدورة السادسة عشرة» ١٩٤٩ - ١٩٥٠ الصادر عام ١٩٧٤ يقترح طه حسين تخصيص معاش لأسرة إبراهيم عبدالقادر المازني بعد رحيل عائلها ص١٢٦ ، ويلقي كلمة في استقبال محمود تيمور ص١٤٣ ، ويشارك في مناقشة بحث للزيات «في الوضع اللغوي، وهل للمحدثين حق فيه» ص٣٨٧ ، ويعلق على محاضرة إبراهيم أنيس في «أبواب الثلاثي» ص٤٤٩ . وغير هذا . وفي مجلد «الدورة السابعة عشرة» ١٩٥٠ - ١٩٥١ الصادر عام ١٩٧٥ له كلمة في تأبين عبدالعزيز فهمي باشا ص٢٠٧ ، وأخرى غيرها بعد توليه الوزارة . . . إلى آخره إلى آخره .

وكل هذا خلت منه الببليوجرافيا ، ولايظن القارئ أننا مثلنا لكل دورات المجمع ، أو سردنا كل أدوار طه حسين في مجمع الخالدين . ومادام الهدف من العمل الببليوجرافي هو رصد إنتاج علم من الأعلام (مثلاً) ولفت الأنظار إلى المصادر المتوافرة ، كان على باحثي الببليوجرافيا توجيه الدارسين إلى محاضر جلسات المجمع . وكما أن الببليوجرافيا خصصت بابًا للأدب القصصي ، وآخر للشعر . . . كان عليها أن تخصص بابًا لنشاطه في مجمع اللغة ، تذكر فيه رقم الدورة ، وتاريخ كل جلسة ، وما دار فيها من مناقشات ، أو ألقى فيها من بحوث وكلمات مع ذكر أرقام الصفحات .

ومما هو خليق بالذكر أن ماينطبق على ببليوجرافيا طه حسين بخصوص نشاطه في دورات مجمع اللغة ، ينطبق أيضًا على ببليوجرافيات العقاد والمازني وأحمد أمين فقد كانوا أعضاء في المجمع ولهم جهود مسجلة .

* * * * *

متفرقات :

وعدا كل ذلك ، هناك أشياء أخرى كتبها طه حسين أو كُتبت عنه في بعض المناسبات وأهملتها الببليوجرافيا ، منها ماجاء عند نيله شهادة الدكتوراه من الجامعة المصرية عام ١٩١٤ ، فقد سطرت جريدة المحروسة كلمة بتاريخ ٧ - ٥ - ١٩١٤ تحت عنوان «الأستاذ طه حسين وشهادة الدكتوراه» لخصت فيها ماجرى أثناء مناقشته ، وفي ٢٤ - ٥ - ١٩١٤ وصفت «المحروسة» «حفلة الجامعة تكريمًا للدكتور طه حسين» التي خطب فيها محمد المهدي ولطفي السيد ومحمد الخضري وطه حسين . ونشرت جريدة «المؤيد» خطبة لأحمد حسن الزيات بتاريخ ٢٦ - ٥ - ١٩١٤ كان قد ألقاها بهذه المناسبة .

وبعيد قدوم طه حسين من فرنسا أخذ يكتب في جريدة «الاستقلال» (١٧) ، ومما وقعنا عليه فيها من مقالاته واحدة عنوانها «ويل للحرية من سعد باشا» نشرت على حلقتين في يومي ٩، ١٠ - ١٠ - ١٩٢١ ، وثمة خبر في «الاستقلال» بتاريخ ٢٠ - ١١ - ١٩٢١ عن محاضرة في التوازن الدولي في أوائل القرن الخامس ألقاها طه حسين في الجامعة المصرية .

وفي مجلة «الإخاء» وجدنا مقالة لأحمد زكي أبي شادي عنوانها «الدكتور طه حسين كخطيب ومحاضر» بتاريخ أول يناير ١٩٢٩ ، وحديثًا صحافيًا أجرته المجلة نفسها «مع الدكتور طه حسين» حول الأدب المكشوف ونشرته في عدد أبريل ١٩٢٩ (١٨) .

وفي مارس ١٩٣٩ قدم طه حسين استقالته من كلية الآداب، وكان لهذا الحدث أثره وصداه، فنشرت جريدة «المقطم» في ٢٢ - ٣ - ١٩٣٩ كلمة تحت عنوان «استقالة عميد كلية الآداب ووكيليها»، وفي ٢٣ - ٣ - ١٩٣٩ نشرت الصحيفة نفسها خبراً عن «إضراب طلبة كليتي الحقوق والآداب» واستمرت «المقطم» بعد هذين التاريخين في ملاحقة الحدث، انظر المقطم.

وفي مجلة «الأزهر» عدد نوفمبر ١٩٥٩ كلمة عنوانها «الدكتور طه حسين عند الأستاذ الأكبر»، وفي مجلة «الأديب» اللبنانية مقالة عنوانها «حديث الأربعاء» لأنور الجندي عدد فبراير ١٩٧٣، وأخرى تحت عنوان «النعال في أدب طه حسين» لعبدالعليم القباني في عدد أكتوبر ١٩٧٥ (١٩).

وعند الذكرى الأولى لأحمد أمين صدر كتاب عن دار التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٥٥ عنوانه «أحمد أمين - بقلمه وقلم أصدقائه» فيه كلمة لطه حسين تحت عنوان «أحمد أمين العالم» من ص٥٧ إلى ٦٤، كما أصدرت مطبعة مصر سنة ١٩٥٨ كتاباً عن «الدكتور محمد حسين هيكل» تضمن كلمة لطه حسين في تأبين هيكل من ص٨٤ - ٩٦، عدا مقدمة كتبها طه حسين لكتاب «الإلياذة» الذي ترجمته السيدة عنبرة سلام الخالدي. وكنا نتمنى أن نجد كل هذه المتفرقات في الببليوجرافيا ولكن هيهات.

أخطاء

وفضلاً عن التقصير الشديد، فإن الببليوجرافيا لم تسلم من الأخطاء المضللة للباحثين، التي تذهب ببعض جهودهم بدداً.

ومن هذا نسب كتاب «آلهة اليونان» لطه حسين، وقولها في تعريفه ص٨٣ «ملخص محاضرات للدكتور طه حسين في الظاهرة الدينية عند اليونان.. جمع محمد حسين جبرة» والذي يفهم من هذه العبارة أن الكتاب لطه حسين بالتلخيص أو بالجمع. والحقيقة أن الكتاب - كما وقفنا عليه - يقع في قسمين صغيرين متساويين، الأول محاضرة ألقاها محمد حسين جبرة بالجامعة المصرية. والثاني محاضرات لطه حسين لخصها «جبرة» أي إن الكتاب كله، عدا المقدمة الصغيرة، بأسلوب «جبرة» وليس لطه حسين إلا أفكار القسم الثاني. وعلى هذا فإنه يمكن تجاوزاً وضعه في باب «أعمال بالاشتراك» وليس في باب الكتب الخالصة النسب لطه حسين. وجاء في تعريف هذا الكتاب أنه طبع عام ١٩١٩ والصحيح أنه طبع عام ١٩٢٠ كما جاء على غلافه.

وجاء في الببليوجرافيا ص٣٤١ مانصه: [محمد لطفي السيد، «في الشعر الجاهلي» المقطم ٢٦ - ٦ - ١٩٢٦ إلى ٢٢ - ٩ - ١٩٢٦ بانتظام أسبوعياً] انتهى. أي إنه لمحمد لطفي السيد مقالات جاءت تحت عنوان «في الشعر الجاهلي» نشرها أسبوعياً بالمقطم في الفترة المذكورة. ولايوجد بالمقطم في هذه المدة مقالات ممهورة بتوقيع محمد لطفي السيد، وقد يظن القارئ أنه وقع تحريف أو خطأ مطبعي في اسم «محمد» فيرده إلى أحمد لطفي السيد لشهرته. ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث، والحقيقة أن محمد لطفي جمعة نشر «بالمقطم» في هذه الفترة عشرين مقالة، وهي ليست أسبوعية، بل في أيام متفرقة بغير انتظام مثل: ٢ - ٧ - ١٩٢٦، ٤ - ٧، ٨ - ٧، ١١ - ٧ - ١٩٢٦ وهكذا إلى أن تصل إلى المقالة العشرين في ٢٢ - ٩ - ١٩٢٦. وقول الببليوجرافيا إنها أسبوعية بانتظام يجعل عدد المقالات حوالي اثنتي عشرة مقالة، وهي عشرون كما قلنا، وكل هذه المقالات تحت عنوان «الشعر الجاهلي» وليس «في الشعر الجاهلي». وقد أثارت هذه المقالات ردود فعل في وقتها أثبتت منها الببليوجرافيا كلمة أحمد الصاوي محمد «ماقل ودل - في الشعر الجاهلي» وأغفلت رسالة موجهة إلى لطفي جمعة نشرتها المقطم في ١٦ - ٧ - ١٩٢٦ ولها صلة بطه حسين.

ونسبت الببليوجرافيا ص١٤٤ مقالة لطه حسين عنوانها «في اللغة أيضًا» إلى جريدة «الجريدة» عدد ١٩ - ٥ - ١٩٢٣ . وقد رجعنا إلى فهرست الدوريات العربية التي تقتنيها دار الكتب المصرية، ولم نجد فيها جريدة اسمها «الجريدة» كانت تصدر عام ١٩٢٣ . وجريدة «الجريدة» التي كان يكتب فيها طه حسين ويحررها أحمد لطفي السيد توقفت بعد صدور عدد ٣٠ - ٩ - ١٩١٤ . ومن المحتمل أن يكون طه حسين كتب هذه المقالة بجريدة «الجريدة» في زمن غير الذي حددته الببليوجرافيا ومن الأخطاء التي وقعت فيها ببليوجرافيا طه حسين، نسب مقالات إلى مجلة لم ترد فيها أصلاً، ومن هذا عدة مقالات نشرتها مجلة «الثقافة» المصرية في عدد ديسمبر ١٩٧٣ ونسبتها الببليوجرافيا إلى مجلة «الأديب» عدد ديسمبر ١٩٧٣ وهي: «معه في أيامه» لسهير القلماوي، «طه حسين في موكب الخالدين» لعبدالحكيم بلبع، و «طه حسين رائد تيار التجديد» لعبدالعزيز الدسوقي، و «طه حسين وسر اللغة» لعبدالحميد إبراهيم، و «جوانب من حياة طه حسين الخاصة» لزكي مصطفى. فكل هذه المقالات نشرتها «الثقافة» ونسبتها الببليوجرافيا ص٤٧٤ إلى مجلة «الأديب». ونسبت مقالة «طه حسين والدراسات الإسلامية» لكاتبها أحمد حسين والمنشورة بمجلة «الثقافة» عدد أبريل ١٩٧٥ إلى مجلة «المعرفة» عدد أبريل ١٩٧٥ كما جاء في الببليوجرافيا ص٤٨٧ . وهذا تضليل للقراء والباحثين، وتشتيت لأذهانهم، وإهدار لطاقتهم وأوقاتهم. لأنهم إذا رجعوا إلى «الأديب» و «المعرفة» ولم يجدوا شيئًا تتغشاهم الحيرة وتستبد بهم الظنون.

ونشرت مجلة «الثقافة» عدد فبراير ١٩٧٩ كلمة عنوانها «طه حسين وثقافة اليونان» لكاتب يدعى أ. ج. ط ونسبتها الببليوجرافيا ص٥٠٧ إلى عبدالمعطي شعراوي. والكلمة رد على عبدالمعطي شعراوي وانتقاد له.

كذلك وقعت أخطاء في فهرست الأعلام الملحق بالببليوجرافيا، الذي يشير إلى أرقام الصفحات التي وردت أسماؤهم فيها. وعلى سبيل المثال يحيلك هذا الفهرست في ص٥٥٩ إلى أنور الجندي في ص٤٣٣، وترجع إلى الصفحة التي أحالك إليها فلا تجد شيئًا. ويشير عليك في ص٥٧٢ بأن تقرأ شيئًا لعبدالعليم القباني في ص٤٥٣، وتفتح الصفحة التي أشار عليك بها فتجدها خالية من اسم القباني. ويوجهك الفهرست في ص٥٦٢ إلى عبدالعزيز الدسوقي في ص٤٣٣ وتنتقل يدك إلى الصفحة التي وجهك إليها فتعود بخفي حنين. وهذا ضرب من التضليل. يقلل من القيمة العلمية لهذه الببليوجرافيا.

* * * * *

ونكتفي بهذا القدر، ونذكر أن الباعث على كتابة هذه الدراسة ليس هو الانتقاد فقط، بل إرشاد الباحثين الببليوجرافيين في الجامعة الأمريكية إلى ما غاب عنهما من مواد، وما وقعا فيه من أغلاط لتداركها في الطبعة الجديدة، وإفادة الدارسين الذين يتخذون هذه الببليوجرافيا دليلاً هاديًا.

* * * * *

الهوامش

(١) مارسدن جونز: أستاذ بالجامعة الأمريكية بمصر، ومؤسس مركز الدراسات العربية بها. تخرج من كلية الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن عام ١٩٤٩، وحصل على الدكتوراه في الأدب العربي عام ١٩٥٣، ومجال تخصصه العصر الإسلامي المبكر. عين أستاذًا بجامعة لندن، وانتقل إلى الجامعة الأمريكية بمصر، وتولى إدارة معهد الآداب الشرقية

بها. ومن جهوده في مجال الدراسات العربية الإسلامية تحقيق كتاب «المغازي» للواقدي، وترجمة رواية «زقاق المدق» لنجيب محفوظ. توفي في يوليه ١٩٩٢ . راجع مقال حمدي السكوت بجريدة الأهرام عدد ١٧ - ٧ - ١٩٩٢ .

(٢) «البيان» مجلة أصدرها الشيخ إبراهيم اليازجي وبشارة زلزل عام ١٨٩٧ واحتجبت عام ١٨٩٨ .

(٣) «الهداية» مجلة أصدرها الشيخ عبدالعزيز جاويش سنة ١٩١٠، وتوقفت عام ١٩١٢ .

(٤) «الجريدة» جريدة أصدرها حزب الأمة بمصر ابتداءً من ٩ - ٣ - ١٩٠٧ إلى ٣٠ - ٩ - ١٩١٤ وكان يرأس تحريرها أحمد لطفي السيد.

(٥) كتاب «الواجب» للوزير الفرنسي الكبير جول سيمون، وقد ترجمه طه حسين ومحمد رمضان سنة ١٩١٤ .

(٦) يشير المقال إلى أن نقدات طه حسين لكتاب النظرات الذي وضعه المنفلوطي. ليست له ويقول الكاتب إنما هي «لأديب كبير يعرفه الجميع . . موظف بالحكومة الآن. . كان يمليها إملاء على كاتبين من أفاضل الكتاب المصريين، وتوقع باسم طه حسين. لأن ذلك الأديب ماكان يريد الظهور بأنه الناقد لنظرات السيد المنفلوطي» انتهى. وقد سمع كاتب هذه السطور من محمد صبري السربوني (١٨٩٠ - ١٩٧٨) أنه كان معروفًا في ذلك الوقت (١٩٠٩) أن صادق عنبر هو الكاتب الحقيقي لنقد النظرات. ومما يجدر ذكره أن طه حسين لم يجمع هذه المقالات في أي كتاب من كتبه.

(٧) «كوكب الشرق» جريدة سياسية يومية مسائية أصدرها أحمد حافظ عوض على مبادئ حزب الوفد المصري في الفترة من ١٩٢٤ إلى ١٩٣٩ .

(٨) اتهم طه حسين بأنه لم يناصر القضية الفلسطينية ولم يكتب عنها، وهذا المقال والسابق عليه يعدلان من هذا الحكم. وإن كان لايكفي ماكتبه طه حسين في الكوكب في قضية كبيرة هزت الضمير العام العالمي. ومما يضعف من موقف طه حسين إزاء القضية الفلسطينية أنه تولى إدارة ورئاسة تحرير مجلة «الكاتب المصري» منذ عام ١٩٤٥ إلى عام ١٩٤٨ . وكان ينفق عليها بعض اليهود.

(٩) نشر هذا المقال بمجلة الهلال في نوفمبر ١٩٣٣، ونقلته الكوكب عنها.

(١٠) محاضرة ألقاها طه حسين بجمعية الشبان المسيحيين يوم ١٤ - ١٢ - ١٩٣٣ ونشرتها الكوكب يوم ١٥ - ١٢ - ١٩٣٣ .

(١١) محاضرة ألقاها طه حسين في افتتاح موسم محاضرات الاتحاد العام للطلبة ونشرت الكوكب نصها.

(١٢) مقالات «صبريات» تناولت وزير المالية حسن صبري.

(١٣) رأت وزارة إسماعيل صدقي أن تنقل طه حسين من الجامعة إلى ديوان وزارة المعارف، وعندما رفض التنفيذ صدر قرار بفصله في مارس ١٩٣٣، وبعد عدة أشهر سقطت وزارة صدقي، فرفع طه حسين قضية ضد الحكومة طالب فيها بتعويض مالي قدره خمسة وعشرون ألف جنيه مصري.

(١٤) كل ماجاء بين أقواس ولم يسند لشخص جاء بغير توقيع.

(١٥) وضع اسم طه حسين بين قوسين هنا من عندنا.

(١٦) تبدأ دورة المجمع عادة في أكتوبر، وتمتد إلى أواخر مايو من كل عام. وكان كثير من محاضر جلسات الدورات طي السجلات ولم تر النور زمنًا غير قصير، ثم أخذ المجمع يباشر طباعتها ونشرها، فظهرت كل دورة على حدة متأخرة عن تاريخ انعقادها بنحو ربع قرن.

(١٧) «الاستقلال» جريدة يومية سياسية أصدرها محمود عزمي عام ١٩٢١، واستمرت إلى عام ١٩٢٢ .

(١٨) «الإخاء» مجلة شهرية علمية تاريخية أدبية روائية مصورة، أصدرها سليم قبعين من ١٩٢٤ إلى ١٩٣٤ .

(١٩) موضوع النعال في الأدب آثاره وديع فلسطين في مجلة «الأديب» اللبنانية وشغل كثيرًا من الأدباء مدة غير قصيرة في سبعينات هذا القرن. ومقال القباني المشار إليه واحد من عشرات المقالات التي سطرت في هذا الموضوع.

المصنف للصنعاني

١٢٦هـ - ٢١١هـ / ٧٤٤ - ٨٢٧م

يحيى زكريا عبارة

حمص - سورية

الصنعاني ، أبو بكر عبدالرزاق بن همّام / المصنف ؛ عني بتحقيق نصوصه وتخريج أحاديثه والتعليق عليه حبيب الرحمن الأعظمي ٠- بيروت ؛ دار القلم ؛ ١١ جزءاً (منشورات المجلس العلمي / ٣٩) .

الجزء	عدد صفحاته	عدد الأحاديث	أرقام أحاديثه	سنة النشر
الأول	٥٩٢	٢٢٤٤	١ - ٢٢٤٤	١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م
الثاني	٥٨٨	٢٣٢٢	٢٢٤٥ - ٤٥٦٦	١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م
الثالث	٦٠٤	٢٢٢٥	٤٥٦٧ - ٦٧٩١	١٣٩٠هـ / ١٩٧١م
الرابع	٥٤٤	٢٠٠٤	٦٧٩٢ - ٨٧٩٥	١٣٩١هـ / ١٩٧٢م
الخامس	٥٠٢	١٠٢١	٨٧٩٦ - ٩٨١٦	١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م
السادس	٥٢٨	٢١٢٨	٩٨١٧ - ١١٩٤٤	١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م
السابع	٥١٠	٢١٠٩	١١٩٤٥ - ١٤٠٥٣	١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م
الثامن	٥٢٤	٢٠٨٤	١٤٠٥٤ - ١٦١٣٧	١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م
التاسع	٤٩٦	٢٠٠٤	١٦١٣٨ - ١٨١٤١	١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م
العاشر	٤٧٢	١٥٨٩	١٨١٤٢ - ١٩٧٣٠	١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م
الحادي عشر	٥٧٤	١٣٠٣	١٩٧٣١ - ٢١٠٣٣	١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م

الطبعة الأولى : طبع مطابع دار القلم : بيروت - لبنان

مُصَنِّفُ «المصنَّف» هو الحافظ الكبير أبو بكر ، عبدالرزاق بن همّام بن نافع الحِمْيَريُّ - مولاهم - (هو مولى لمولى قومٍ من العرب) - اليماني ، الصنعاني - ونسبتُهُ إلى مدينة «صنعاء» وهي من أشهر مدن اليمن ، وزادوا النون في النسبة إليها ، وهي نسبة شاذة الثقة .

نقل الإمام أحمد بن حنبل عنه مولده في سنة ستٍّ وعشرين ومائة في آخر أيام بني أُمَيَّةَ . وقال محمد بن سعد في «الطبقات : ٥/٣٩٩» و«خليفة بن خياط في «تاريخه : ٢/٧٧٤» و«البخاري» في «تاريخه الصغير : ٢/٣٢٠ - ٣٢١» و«ابن أبي يعلى» في «طبقات الحنابلة : ١/ ٢٠٩» وغير واحدٍ : «مات سنة إحدى عشرة ومائتين» . زاد ابنُ سعد في «الطبقات» : في النصف من شوالٍ .

وقال «ابن خلكان» في «وفيات الأعيان : ٣/٢١٧» : وتوفي في شوال سنة إحدى عشرة ومائتين باليمن - رحمه الله تعالى - وخالف ابنُ سَمُرَة الجعديُّ في «طبقات فقهاء اليمن : ٦٨» في وفاته فذكر وفاته سنة «اثنتي عشرة ومائتين» وكان عمره ستاً وثمانين سنة .

وذكره خليفة بن خياط في «طبقاته : ٢/٧٣٨» في

الطبقة الخامسة . وذكره ابن سمرة الجعدي في الطبقة الثانية من تابعي التابعين من فقهاء اليمن . «طبقات فقهاء اليمن : ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨» .

وقد أضَرَّ عبدالرزاق بعد المئتين . قال : أخبرني أحمد بن حنبل ، قال : أتينا عبدالرزاق قبل المئتين وهو صحيح البصر ، ومن سمع منه بعد ماذهب بصرُهُ فهو ضعيف السماع . وذكر الصلاح الصفدي في «نكت الهميان في نكت العميان : ١٩١» : «وعَمِيَ عبدالرزاق بأخِرَة وكان يُلَقَّنُ» .

ذكر الزركلي في ترجمته في «الأعلام : ٣/٣٥٣» : كان من حفاظ الحديث الثقات ، كان يحفظ نحوًا من سبعة عشر ألف حديث .

وكان – رحمه الله – من أوعية العلم ، ولكنه ماهو في حفظ وكيع ، وابن مهدي .

وقال عُمَرُ بن عليٍّ بن سَمُرَةَ الجَعْديُّ المتوفَّى سنة (٥٨٦هـ) «الإمام المرحول إليه من الآفاق ... فقيه صنعاء المرحول إليها من أجْلِ علمه» .

وقال ابن خلكان : قال أبو سعد بن السَّمعاني : «مارَحل الناسُ إلى أحَدٍ بعد رسول الله ﷺ مثل ما رَحَلُوا إليه» .

وقال الذهبيُّ أيضًا : ورَحَلَ النَّاسُ إليه أحمد وإسحاق ويحيى والذُّهلِيُّ والرَّماديُّ وعبدٌ .

وذكره ابن العماد الحنبليُّ في «شذرات الذهب : ٢/٢٧» : قيل : وثَّقَهُ غيرُ واحدٍ ، وحديثه مُخَرَّجٌ في «الصحاح» ، وله ما انفرد به .

قال سلمة بن شبيب : سَمِعتُ عبدالرَّزَّاق يقولُ : والله مَا انشرح صَدْري قطُّ أنْ أفَضِّلَ عَلياً عَلى أبي بكر وعُمَرَ . رحم اللَّهُ أبَا بَكرٍ ورحمَ اللَّهُ عُمَرَ ، ورحمَ اللَّهُ عثمانَ ، ورحمَ اللَّهُ علياً . مَنْ لم يحبَّهُمْ فما هو بمؤمنٍ .

ابتدأ عبدالرزاق في طلب العلم ، وهو ابن عشرين سنة وقال هشام بن يوسف : كان لعبدالرزاق حين قدم ابنُ جُرَيْجٍ اليمن ثمان عشرة سنة .

قال أبو بكر بن أبي خَيْثمة : «سمعتُ يحيى بْنَ مَعين ، وسُئل عن أصحاب الثَّوْريّ» فقال : «وأمَّا عبدالرزَّاق ، والفِرْيَابيُّ ، وعبدالله بن موسى ، وأبو أحمد الزُّبَيْريُّ ، وأبوعاصمٍ ، وقَبيصَة ، وطبقتهم فَهُمْ كلُّهُمْ في سُفْيان ، قريب بعضهم من بعض ، وهم دون يحيى بن سعيد ، وعبدالرحمن ابن مهديٍّ ، ووَكيعٍ ، وابن المُبارك ، وأبي نُعَيْمٍ» .

عن «تهذيب الكمال – للمزي : ١٨/٥٦» .

وقال محمد بن أبان البلخي ، عن عبدالرزاق : «جَالسنا مَعْمَرًا ما بين سبع سنين أو ثمان سنين» .

وقال أبو زُرْعة الدمشقي ، عن أبي الحسن بن سُمَيْع ، عن أحمد بن صَالح المصْريِّ : قُلْتُ لأحْمَد بْن حَنْبَل : رَأَيْتَ أحَدًا أحْسَنَ حديثًا مِنْ عبدالرزاق ؟ قال : لا . قال «أبوزُرْعَة : عبدالرزاق أحَدُ مَنْ ثَبَتَ حَديثُهُ» .

وقال محمد بن أبي السَّرِيِّ العَسْقَلانيُّ ، عن «عبدالوهاب ابن هَمَّام – أخي عبدالرزاق – : كُنْتُ عِنْد مَعْمَرٍ ، وكان خاليًا ، فقال : يختلفُ إلينا في طلب العلم من أهل اليمن أربعةٌ : رَبَاحُ بْنُ زَيد ، ومحمد بن نور ، وهشَامُ ابن يوسُفَ ، وعبدالرَّزَّاق بن همَّام ، فأمَّا رَبَاحُ فَخَليقٌ أن تغلبَ عليه العبادةُ فينتفع بنَفْسه ولا ينتفعُ به النَّاسُ ، وأمَّا هشامُ فَخَليقٌ أن يغلبَ عليه السلطان ، وأمَّا ابْنُ نَورٍ فكثيرُ النِّسيان ، قليلُ الحفظ ، وأمَّا ابْنُ هَمَّام فإنْ عاشَ فَخَليقٌ أنْ تُضْرَبَ إلَيْه أكبادُ الإبِلِ . قال محمد بن أبي السَّرِيِّ : فَوالله ! لقد أتعبَها .

وقال محمد بن أبي السَّرِيِّ أيضًا : وَدَّعْتُ عَبْدالرَّزَّاق ، فقال لي : أمَّا في الدُّنيا فلا أظَنُّ إنَّا نلتقي فيها ، ولكنا نسألُ اللَّهَ أن يجمع بيننا في الجنَّة» .

وقال الذَّهبيُّ في «سِيَر أعلام النُّبلاء : ٩/٥٦٤» : «ارتحل إلى الحِجاز ، والشَّام ، والعِراق ، وسافَرَ في تجارة» ، فحَجَّ .

وروى عن أبيه ، ومَعْمَر ، وعبدالله بن سعيد بن أبي هند ، وعُبَيْد اللَّه بن عُمَرَ ، وابن جُرَيْجٍ ، والمُثَنَّى بن الصباح ، ونور بن يزيد ، وحَجَّاج بن أرطاة ، وزكريًا بن إسْحَاقَ ، والأوْزاعي ، وعكْرِمَةَ بْن عَمَّارٍ والسُّفْيَانَيْن ، ومَالك وخَلْق .

وروى عَنْهُ شيخَاهُ : مَعْمرُ بْنُ سليمانَ ، وسفيانُ بن عُيَيْنَةَ ، وأبو أسامةَ – وهو أكبر منه – وأحمدُ بن حنبلَ ، وابنُ مَعين ، وإسحاقُ ، وخَلْقٌ .

عَبَّاسُ ، عن ابن مَعين ، قال : كان عبدُالرَّزَّاق في حَديث مَعْمَر أثْبَتَ مِنْ هشَام بن يُوسفَ ، وكان هشامُ ابن يوسُفَ أثْبَتَ منهُ في حَديث ابن جُرَيْجٍ ، وأقرأ لكتب ابن جُريج منْ عَبْدالرَّزَّاق ، وكان أعْلَمَ بحديث سُفيانَ الثَّوْريّ منْ عبدالرَّزَّاق .

وقال حَنْبل: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِالله يقولُ: إِذَا اخْتَلَفَ أصحابُ مَعْمر، فَالحديثُ لعَبْد الرَّزَّاق.

قال عَليُّ بْنُ المَدِينيّ: قال لي هِشَامُ بْنُ يوسُفَ: كَانَ عَبْدُالرَّزَّاق أعْلَمَنَا وأحْفَظَنَا.

– قُلْتُ: (والقَولُ للذَّهَبيِّ) –: «هكذا كان النُّظراء يَعْتَرِفُونَ لأقرانِهِمْ بالحفظ».

عَبَّاس، حَدَّثَنا يحيى، قال بِشْرُ بْنُ السَّرِيِّ، قال عبدالرزاق: قدمتُ مَكّةَ مَرَّةً فأتاني أصْحابُ الحديث يَوْمَيْن، ثُمَّ انقطعُوا عَنِّي يَوْمَيْن أو ثلاثة، فَقُلْتُ: يَارَبِّ ما شَأْني؟! أَكَذَّابٌ أنَا؟ أَيُّ شَيْءٍ أَنَا؟ قال: فجاؤوني بَعْدَ ذَلِكَ.

المُفَضَّلُ الجَنَدِيُّ: حَدَّثَنا سَلَمَةُ بْنُ شَبِيب، سَمِعْتُ عَبْدَالرَّزَّاق يَقُولُ: أخْزَى اللهُ سلْعَةً لا تَنْفُقُ إلاَّ بَعْدَ الكِبَرِ والضَّعْف، حَتَّى إذا بَلَغَ أَحَدُهُمْ مائَةَ سَنَة كُتِبَتْ عنه، فإمَّا أن يُقال: كَذَّابٌ فيُبْطِلُونَ عِلْمَهُ، وإمَّا أنْ يُقَالَ مُبْتَدِعٌ فَيُبْطِلُونَ عِلْمَهُ، فَمَا أَقَلَّ مَنْ يَنْجُو مِنْ ذَلِكَ.

وقال الحسنُ بن جرير الصُّوريُّ، عَنْ عَليِّ بن هاشم، قال عَبدُالرَّزَّاق كتب عنِّي ثلاثةٌ لا أُبالي أن لا يَكْتُب عنِّي غيرُهُمْ: كَتَبَ عَنِّي ابْنُ الشَّاذَكُوني، وَهُوَ مِنْ أَحْفَظ الناس، وكَتَب عَنِّي يحيى بن مَعين، وهُوَ مِنْ أَعْرَفِ النَّاس بالرِّجال، وكَتب عَنِّي أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَل، وَهُوَ مِنْ أَزْهَدِ النَّاس.

وقال الأثرمُ: سمعْتُ أَبَا عَبْدِالله يُسْأَلُ عن حديث «النَّارُ جُبَارٌ». فقال: هذا باطلٌ، من يُحدِّثُ بِهِ عَنْ عبدالرزاق؟ قُلْتُ: حَدَّثَني أحمدُ بن شَبّويه. قال: هؤلاء سَمِعُوا منه بَعْدَما عَمِيَ. كان يُلَقَّنُ فَلُقِّنَهُ، وليس هُوَ في كُتُبِه، وقد أسْنَدُوا عَنْهُ أحاديث لَيْسَتْ في كُتُبِه كان يُلَقَّنُهَا بَعْدَ ما عَمِيَ.

وقال النَّسائيُّ: فيه نظرٌ لِمَنْ كَتَبَ عنه بأخِرَة. رُوِيَ عنهُ أحاديث مناكير.

وقال الدَّارَقُطْنيُّ: ثقةٌ، لكنَّهُ يُخطئ على مَعْمَر في أحاديث. وقال عبدالله بْنُ أحمدَ: سمعتُ يحيى يقول: رأيتُ عبدالرزاق بمكّة يحدِّثُ؛ فقلتُ لهُ: هذا الأحاديثُ سَمِعْتَهَا؟ قال: بعضها سمعتها، وبعضها عرضًا، وبعضها ذكره، وكلٌّ سَمَاعٌ. ثم قال يحيى: ما كتبت عنه من غير كتابه سوى حديث واحد.

وقال البُخَاريُّ: ما حَدَّثَ عنهُ عبدالرَّزَّاق مِنْ كِتابِهِ فهو أصح.

عَبَّاس، سَمِعْتُ ابن مَعين؛ قال هشامُ بْنُ يُوسُفَ: عَرَضَ مَعْمَرٌ هذه الأحاديث على هَمَّام بن مُنَبِّه، إلاَّ أنّه سَمِعَ منْهَا نيِّفًا وثلاثين حَديثًا – يَعْني صحيفة هَمَّام التي رَوَاهَا عبدُالرَّزَّاق، عن مَعْمَر عَنْهُ – وهي مائَةٌ ونَيِّفٌ وثلاثون حديثًا أكثرُها في «الصحيحين».

العقيليُّ في كتابه «الضُّعفاء» لهُ في ترجمة عبدالرزاق: حدثنا محمد بن أحمد بن حمّاد، سمعتُ مُحَمَّدَ ابن عُثْمانَ الثَّقَفيَّ، قال: لَمَّا قَدِمَ العبَّاسُ بْنُ عَبْدالعظيم من عند عبدالرزّاق من صنعاءَ، قال لنا – ونحنُ جَماعةٌ –: أَلَسْتُ تَجَشَّمْتُ الخروجَ إلى عبدالرزاق فدَخَلْتُ إليه، وأقمتُ عنده حتّى سَمِعْتُ منهُ ما أردْتُ؟ واللّه الذي لا إلهَ إلاّ هُوَ! إنّ عَبْدَالرَّزَّاق كَذَّابٌ والواقديُّ أصدَقُ مِنْهُ.

قُلت – (والقَولُ قَولُ الذّهبي) –: بَلْ واللّه! ما بَرَّ عَبَّاسٌ في يمينه، ولبِئْسَ ما قال! يَعْمَدُ إلى شيخ الإسْلامِ ومحدِّث الوَقْتِ، ومَن احتجَّ به كُلُّ أرْبَابِ «الصحاح» – وإن كان لهُ أوْهامٌ، وغَيرُهُ أبرَعُ في الحديث منه – فيَرْمِيه بالكذب، ويُقَدِّمُ عليه الواقديَّ الذي أجمعت الحفّاظ على تَرْكِه، فهو في مقالته هذه خَارِقٌ للإجماع بيقين.

وقال أبو مُحَمَّد، عَبْدُاللّه بن الحارث الصَّنعانيُّ: سمعتُ عَبْدَالرَّزَّاق يقول:

فَذَاكَ زَمَانٌ لَعِبْنَا بِهِ
وَهَذَا زَمَانٌ بِنَا يَلْعَبُ

والخلاصة فقد كان أبوبكر، عبدُالرَّزَّاق بن هَمَّام بن نافع الحِمْيَريُّ، مُحدِّثًا، ومُفسِّرًا وفقيهًا، وُلِدَ في صَنْعَاء – اليمن – سنة (١٢٦هـ / ٧٤٤م) وكانَ أبرزَ تلاميذ مَعْمَر ابن رَاشد، روَى عنهُ، وعن ابن جُرَيج، والأوزاعي ومالك بن أنس، وسُفيان الثّوريِّ، وسُفيان بن عُيَيْنَة، ويَرى من تحدثوا عَنْهُ أنّهُ كان بعامّة من الثّقات، غير أنَّهُ كُفَّ بَصَرُهُ في أُخريات أيّامه، ففُرِضَ عليه أن يُمْلِيَ مِنَ الذَّاكرة، وقيل إنَّهُ روى بعض الأحاديث التي في كُتُبه، وكان لمدرسة مَعْمَر بن راشد أثرٌ كبيرٌ عليه.

أمَّا «التَّفسير» و«الجامعُ» اللّذان رويا باسمه كثيرًا فليسا إلاَّ امتدادًا لأحاديث أخذها وأضاف إليها بعض الرِّوايات.

تُوفِّي عبدالرَّزَّاق في الخامس عشر من شوال سنة (٢١١هـ) التاسع عشر من كانون الثاني (يناير)

سنة (٨٢٧م) باليمن .

وقد ترجمه كارل بروكلمان في كتابه «تاريخ الأدب العربي : ٨١١/٤» . وترجمه فؤاد سيزكين في كتابه : «تاريخ التراث العربي : ٢٧٧/١» وهذا بيان في مصادر ترجمته :

- ابن الأثير : «الكامل في التاريخ : ٤٠٦/٦» .
- ابن أيبك ، الصلاح الصفدي : «نكت الهميان في نكت العميان : ١٩١ - ١٩٢» .
- ابن أبي حاتم الرازي : «الجرح والتعديل : ٣٨/١/٣ - ٣٩ - الترجمة : (٢٠٤)» .
- ابن حجر العسقلاني : «تهذيب التهذيب : ١١٢/١، ٣١٠/٦» .
- ابن خلكان - وفيات الأعيان : (ت : عباس) - ٢١٦/٣ - ٢١٧ - الترجمة : ٣٩٨ .
- ابن سعد : الطبقات : ٣٩٩/٥ - (ط : كتاب التحرير) .
- ابن سَمُرَةَ الجعديُّ : «طبقات فقهاء اليمن : ٦٧ - ٦٨» .
- ابن العماد الحنبلي : «شذرات الذهب : ٢٧/٢» .
- ابن قتيبة الدينوريّ : «المعارف» (ت : ث . عكاشة) - ط: دار الكتب المصرية .
- ابن كثير : «البداية والنهاية : ٢٧٧/١٠» بيروت - لبنان - ط دار الكتب العلمية .
- ابن أبي يعلي : «طبقات الحنابلة : ١٥٢» .
- بروكلمان : «تاريخ الأدب العربي - الترجمة العربية (ط. دار المعارف) : ١١/٤» .
- حاجي خليفة : «كشف الظنون في أسماء الكتب والفنون» .
- خليفة بن خياط : «تاريخ خليفة بن خياط : ٧٧٤/٢» .
  «طبقات خليفة بن خياط : ٧٣٨/٢» .
- الذهبي - : «تاريخ دول الإسلام : ١٢٩/١» .
  «تذكرة الحفاظ : ٣٣٣/١» .
  «سير أعلام النبلاء : ٥٦٤/٩» .
  «العبر - : ٣٦٠/١» .
  «ميزان الاعتدال : ٦٠٩/٢ - ٦١٢ - الترجمة : (٥٠٤٤)».
- الزركلي - «الأعلام : ٣٥٣/٣» .
- سيزكين - فؤاد : «تاريخ التراث العربي: ٢٧٧/١ - ٢٧٨».
- طاشكبري زاده - «مفتاح السعادة : ٧٩/٢» .
- كحالة - عمر رضا - «معجم المؤلفين : ٢١٨/٥» .
- المزي : «تهذيب الكمال في أسماء الرجال : ٥٢/١٨ - ٦٢ - الترجمة : (٣٤١٥)» .
- «اليافعي» - «مرآة الجنان : ٥٢/٢» .

وعرف ابن كثير في «البداية والنهاية : ٢٧٧/١٠» عبدالرزاق بالقول : صاحب «المصنَّف» و«المُسْنَد» .

وقال الصلاح الصفدي في «نكت الهميان : ١٩٢» : وصنَّف عبدالرزاق في التفسير والسنن وغير ذلك، وقال الذهبي في «ميزان الاعتدال : ٦٠٩/٢» : وكتب شيئًا كثيرًا وصنف «الجامع الكبير» وهو خزانة علم .

وقال ابن النديم في «الفهرست : ٣٣٢» : من كتبه : «كتاب السُّنَنِ في الفقه ، و«كتاب المغازي» .

وذكر حاجي خليفة في «كشف الظنون : ٥٧٦/١» : «الجامع» - في الحديث - للإمام عبدالرزاق بن همام الصنعاني المتوفى سنة (٢١١هـ) .

وذكر أيضًا في «كشف الظنون : ١٧١١/٢ - ١٧١٢» - مادة : (المصنف) : «ولنافع الحميري» - ولعل الصواب - ولعبدالرزاق بن همام بن نافع الصنعاني أحد الأعلام المتوفى سنة (٢١١هـ) - وهو أصغر من مصنف ابن أبي شيبة، وهو كذلك مرتبٌ على الكتب والأبواب - على ترتيب الفقه .

ولم تكن آثار النبي ﷺ مُدَوَّنَةً في عصر الصحابة وعصر التابعين في الكتب لأمرين : أحدهما أنَّهُمْ كانوا في ابتداء الحال قد نُهوا عن ذلك كما ثبت في «صحيح مسلم» خشية أن يختلط بعضُ ذلك بالقرآن العظيم .

وثانيهما : لسعة حفظهم وسيلان أذهانهم ، ولأنَّ أكثرهم كانوا لا يعرفون الكتابة .

ثمَّ لما انتشر العلماء في الأمصار، وكثر الابتداع من الخوارج والروافض ومنكري الأقدار، وكادَ أن يلتبس الباطلُ بالحقِّ . حينئذٍ نهض لجمع الحديث وتدوينه أهل العلم والمعرفة في جمع أحاديث رسول الله ﷺ في مظانها المعهودة ومهادها المرجوة، فقاموا بالكتابة والتدوين بعد أن استقر شأن حفظ القرآن في نفوس المسلمين .

وعمل عثمان - رضي الله عنه - جاهدًا في جمع الناس على مصحف واحدٍ، فتمَّ له الأمر، وكتب الله له التوفيق وكان عثمان أولَ من جمع الناس على مصحف

واحد ، كما تمَّ لأبي بكرٍ مِنْ قبلُ التوفيق على جمع القرآن حين كان في العُسُب والرِّقاع .

ثم توجهت خواطر أهل البصيرة والصلاح نحو جمع الحديث النبوي وتدوينه فنهض للأمر الخليفة الراشدي الخامس عمر بن عبدالعزيز فأمر بتدوين الحديث على رأس المئة الأولى موجهاً أمره بالتدوين إلى أبي بكر، محمد بن مسلم بن عبيدالله بن عبدالله بن شهاب الزهريِّ المدني .

– وعن ابن شهاب قال : لم يدوِّن هذا العلم أحدٌ قبل تدويني .

– وكان من ثمرة هذا التدوين كتاب ابن شهاب : «المغازي النبوية» (ط) – وغيره ثم كثر بعد ذلك التدوين والتصنيف .

– وأول من صنف في الصحيح المجرد، على ما قاله غير واحد الإمام أبوعبدالله البخاري، وكانت الكتب قبله مجموعةً ممزوجًا فيها الصحيح وغيره .

وكان أول من جمع الحديث فصنَّف كلَّ بابٍ على حدةٍ الربيع بن صبيح ، وسعيد ابن أبي عروبة وغيرهما .

ولما كان الهدف في هذه المقالة منصبّاً على التعريف بكتاب المصنف لعبدالرزاق . فحري بنا أن نوضح مايعنيه مصطلح «المصنف» عند المحدثين .

«المصنف» في اصطلاح المحدثين هو الكتاب المرتب على الأبواب الفقهية، والمشتمل على الأحاديث المرفوعة والموقوفة والمقطوعة، أي فيه الأحاديث النبوية، وأقوال الصحابة، وفتاوى التابعين، وفتاوى أتباع التابعين أحيانًا، والفرق بين «المصنف» و«السنن» أن المصنف يشتمل على الأحاديث «المرفوعة» و«الموقوفة» و «المقطوعة» ، على حين أن «السنن» لا تشتمل على غير الأحاديث المرفوعة إلا نادرًا، لأنَّ الأحاديث الموقوفة والمقطوعة لا تسمى في اصطلاحهم سننًا . وما عدا هذا الفارق فإن «المصنَّف» و «السُّنن» متشابهان كل التشابه .

وأمَّا علم الحديث «فهو العلم المشتملُ على نَقْل ما أُضيفَ إلى النبيِّ ﷺ أو إلى صحابيٍّ أو إلى من دونهُ من الأقوال والأفعال والتقارير والأحوال والسِّير والأيام، حتى الحركات والسكنات في اليقظة والمنام، وأسانيد ذلك وروايته وضبطه، وتحرير ألفاظه، وشرح معانيه» . وكان السَّلَفُ الصالح من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم لا يكتبون الحديث، ولكنهم يؤدونه لفظًا ويأخذونه حفظًا الاَّ كُتَّابَ الصَّدَقةِ ، وشيئًا يسيرًا يقف عليه الباحث بعد الاستقصاء، حتى خيف عليه الدُّرُوسُ ، وأسْرَعَ في العلماء الموتُ، فكتب عمر بن عبدالعزيز الأموي – خامسُ الراشدين – إلى عامله على «المدينة» «أبي بكر بن محمد ابن عمرو بن حزم الأنصاريِّ التابعيِّ» : «انْظُرْ ما كان عندك أي في بلدك من سُنَّة أو حديث فاكتبهُ، فإنِّي خفْتُ دُرُوسَ العلم وذهابَ العلماء، ولا تقبل إلاَّ حديث النَّبيِّ ﷺ وليُفشُوا العِلْمَ وليَجْلسُوا حتَّى يَعْلَّمَ من لا يَعْلَم، فإنَّ العِلمَ لا يَهلكُ حتى يكون سِرّاً» . فتُوفِّي عمَرُ بن عبدالعزيز – سنة (١٠١هـ) – قبل أن يبعثَ إليه أبو بكر بن محمد بن عمر بن حزم الأنصاري بما كتبه وكان عمر بن عبدالعزيز قد كتب بمثل ذلك أيضاً إلى أهل الآفاق، وأمرهُمْ بالنظر في حديث «رسول الله ﷺ وجمعه» . انظر : «الرسالة المستطرفة : ٣ – ٤» .

ومن الكتب المرتبة على الأبواب الفقهية المشتملة على السنن وما هو في حَيِّزِها أَوْ له تعلقٌ بها ، بعضها يُسمَّى مُصَنَّفًا وبعضها جامعًا وغير ذلك .

قال ابن ناصر الدين : أول من صنف التصانيف المرضية حماد بن سلمة بن دينار البصري الرَّبَعي بالولاء، أبو سلمة مفتي البصرة المتوفى سنة (١٦٧هـ / ٧٨٤م) . انظر : «الأعلام : ٢/٢٧٢» .

وصنف أبو سفيان وكيع بن الجراح بن مليح الرُّؤاسي، الحافظ الثبت، محدث العراق المولود بالكوفة سنة (١٢٩هـ/٧٤٦م) والمتوفى بفَيْد وهو راجع من الحج سنة (١٩٧هـ / ٨١٢م) كتاب «السُّنن» .

وصنف أبو الربيع سليمان بن داود العَتَكي الزهراني المتوفى سنة (٢٣٤هـ/٨٤٩م) «المصنف» – في الحديث – وهو مرتبٌ على الأبواب الفقهية .

وصنف أبو بكر، عبدالله بن محمد بن أبي شيبة العبسي – مولاهم – الكوفي، حافظ الحديث المولود سنة : (١٥٩هـ / ٧٧٦م)، والمتوفى سنة : (٢٣٥هـ / ٨٤٩م) «المسند» و «المصنف في الأحاديث والآثار – ط» خمسة أجزاء، جمع فيه الأحاديث على طريقة المحدثين بالأسانيد، وفتاوى التابعين وأقوال الصحابة، مرتبًا على الكتب والأبواب على ترتيب الفقه .

وإن ما يهمّنا في هذا الشأن هو مصنف أبي بكر، عبدالرزاق بن هَمّام بن نافع الحميريّ - مولاهم - الصَّنْعَانيِّ المتوفى سنة (٢١١هـ / ٨٢١م) ، وهو أصغر من مصنف ابن أبي شيبة ، الآنف الذكر، وكذلك هو أصغر من مصنف أبي عبدالرحمن بقيّ بن مَخْلَد بن زيد القرطبي الأندلسي الحافظ المولود سنة (٢٠١هـ/٨١٧م) والمتوفى سنة (٢٧٦هـ/ ٨٨٩م) في فتاوى الصحابة والتابعين ومن دونهم . قال ابن حزم : أربى فيه على مصنف ابن أبي شيبة، وعلى مصنف عبدالرزاق وعلى مصنف سعيد بن منصور .

وَنُذَكِّرُ أنّ «جامع عبدالرزاق» سوى «المصنَّف» وهو كتاب شهيرٌ وجامع كبير، خرَّجَ أكثر أحاديثه «الشَّيخان» و«الأربعة» .

والسلسلة في هذه المصنفات طويلة ، ونحيل طالب الاستزادة في التعرف عليها بالوقوف على كتاب «الرسالة المستطرفة» . فيجد فيها ضالته .

ورغمًا عن شهرة «المصنف» الواسعة عند جمهور المحدثين إلا أن هذا الكتاب مازال بعيدًا عن الأنظار محفوظًا في خزانات الكتب العامة والخاصة ولم يكتب له الظهور إلى عالم النور حتى عام ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م - بصدور الجزء الأول منه والسبب أن أصول هذا الكتاب ليست قريبة المنال من قاصديها من المحققين ودلتنا كتب التعريف بآثار التراث العربي ككتاب «تاريخ الأدب العربي» - لكارل بروكلمان الألماني - و«تاريخ التراث العربي» - لفؤاد سزكين التركي - في تعقيباته على بروكلمان وذكره الزيادات التي طرأت عما كان معروفًا في عهد بروكلمان ، بما استجد من بعده، فألحق وأضاف على كتاب بروكلمان الإضافات الطارئة ورمز لعمله وزياداته بهذا الرمز ⊕ ولختام الزيادة بهذا الرمز ⊙ وما لم يجر عليه سيزكين أي تعديل أو تغيير ولم ينظر فيه أثبته بين معقوفين[ ] على عهدة بروكلمان .

جاءت ترجمة أبي بكر ، عبدالرزاق بن همّام بن نافع الحميري - مولاهم - الصنعاني اليمني في «تاريخ التراث العربي : ٢٧٨/١» ثم أورد آثار عبدالرزاق مبتدئاً أولاً «بالمصنف» .

فثبت أولاً ما أتى على ذكره بروكلمان في كتابه «تاريخ الأدب العربي» ما صورته :

مراد ملا : الرقم الحالي ٦٠٢ - ٦٠٦ (١ - ٥ ، ٧٣٦هـ ، ٧٤٧هـ انظر فهرس المخطوطات : ١٠٥/١) ؛ فيض الله ٥٤١/١ (من ورقة ١ - ٩١ب ؛ ٦٠٦هـ) .

⊕ سراي ، مدينة ٥٩٦ : إدرنة ، سليمية ١٢٣٤ (من كتاب الغسل حتى النهاية ؛ في القرن العاشر الهجري)؛ الرباط، الكتاني ٢٥٩ (مجلد ١، ١١٥ ورقة في القرن الثالث عشر الهجري)، ٣٣٢ (مجلدات ٢، ٣، ١٩٣ ورقة، ٢٧٨ ورقة، نسخة حديثة)⊙ .

ونجد في مقدمة ناشر «المصنف» ، مدير المجلس العلمي : إبراهيم ميا المؤرخة : بيروت ٣ رمضان ١٣٩٠هـ/ تشرين الثاني ١٩٧٠م .

فبعد البسملة والحمدلة يقول :

أما بعد فهذا الذي نقدمه إليكم هو الجزء الأول من ذلك الديوان العظيم، والبحر الزاخر بالأحاديث والآثار، الذي استقى منه العلية من أئمة الحديث والجلة من فقهاء الأمة كأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، والبخاري، ومسلم، وسائر أصحاب الأصول، والذي سماه الذهبي «خزانة علم» وأيم الله لم يبالغ فيه . فإنَّ هذا الديوان نظراً إلى ثروة مضامينه، وغزارة مواده لَحَرِيٌّ بِحَقٍّ أنْ يُدْعى موسوعة الحديث والأثر .

ثم يقول : يقوم بنشره المجلس العلمي (الذي أسس في «سملك ، سورت» من الهند) .

ويضع المجلس هذا «المصنف» اليوم بين أيدي القراء بعد أن بذل جهداً وتجلّدَ لمتاعب شاقة في سبيل إحراز نُسخه، ثمَّ إعداده للطبع خدمةً للعلم والدين ، ليس إلا .

ويقول أيضاً : وكان الشيخ محمد أنور الكشميري يحث أصحابه على إحياء هذا التراث الإسلامي الضخم الذي ورثناه منذ أقدم عصور الإسلام فنهض بأعباء هذا الأمر والدي الشيخ محمد ميا السملكي فاستجلب نسخه من هنا وهناك، والتمس من الأستاذ المحدث الجليل الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي أن يحقق الكتاب، ولكن الشيخ محمد ميا اخترمته المنية قبل انتهاء التحقيق فانتقل إلى رحمة الله في سنة ١٣٨٢هـ، تغمده الله برحمته .

هذا؛ ويقوم الشيخ المحقق حبيب الرحمن الأعظمي بإعداد مقدمة لهذا الكتاب تتضمن دراسة مفصلة عن الكتاب ومخطوطاته الموجودة بين يديه، وعن عمله في

تحقيقه . وستنشر هذه المقدمة في جزء مستقل إن شاء الله تعالى ... والله ولي الفضل وله الحمد والمنة .

ويتبين من ختام الطبعة الأولى للأجزاء الأحد عشر من كتاب «المصنف» أنه كان الفراغ من طباعته على مطابع دار القلم في بيروت - لبنان - ابتداءً من الثلاثين من رمضان من سنة تسعين وثلاث مئة وألف - الموافق للأول من شهر تشرين الثاني من سنة سبعين وتسع مئة وألف من منشـــورات المجلس العلمي (المؤسس في سملك، سورت من الهند) وانتهاءً في اليوم السابع عشر من شهر رمضان المبارك من سنة اثنتين وتسعين وثلاث مئة وألف من هجرة سيد المرسلين ﷺ وآخر دعوانا أن الحمدلله رب العالمين .

لدى القيام بمراجعة كتاب «تاريخ التراث العربي - ف سيزكين - ١/٢٧٨» للوقوف على الأصول المعروفة «المصنف عبدالرزاق الصنعاني» كانت نسخة «مـراد مُـلاً» : الرقم الحالي : ٦٠٢ - ٦٠٦ - ٥ ، ٧٣٦هـ، ٧٤٧هـ وتقع في خمسة مجلدات . فهي أفضل النسخ إطلاقًا على نقص يسير فيها .

أما باقي الأصول فلا ترقى في أهميتها إلى منزلة نسخة «مراد ملا» بالآستانة وهذا هو الواقع العام بالنسبة إلى كتاب عبدالرزاق «المصنف» ولذلك عمد محقق كتاب «المصنف» الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي إلى التنبيه في وجه الصفحة الأولى من «مصنف عبدالرزاق» فقال في هذا التنبيه :

إن النسخ التي عثرنا عليها أو التي أحرزناها مصورةً أو مخطوطةً واعتمدناها في إعداد هذا الديوان الجليل للطبع . وستجد وصفها إن شاء الله في المقدمة كلَّهَا ناقصة ، إلا نسخة مُرَاد مُلاً (بالآستانة) فإنها كاملة إلا نقصًا بسيطًا في أولها، وفي فاتحة المجلدة الخامسة من مجلدات الأصل، فيما نرى .

فللتنبيه على نقص النسخة من أولها نترك هذه الورقة فارغةً آملين من السادة العلماء الباحثين وذوي الخبرة بالمخطوطات أن يساعدونا على سدِّ هذا الفراغ والله الموفق.

حبيب الرحمن الأعظمي

لكن مع الأسف الشديد ورغم انقضاء ما ينوف على عشرين سنة على صدور هذا «المصنف» لم تكتب مقدمة هذا الكتاب، ولم توصف أصول النسخ التي اعتمد عليها في التحقيق .

أما المحقق فقد أومأ إلى النقص في مواقعه

مبتدئاً . بـ : [كتاب الطهارة]

مستهلاً العمل بمضمون الورقة الثانية

باب غسل الذراعين

وجاء في ختام المجلدة الأولى من «نسخة مراد ملا بالآستانة» في راموزها المنشور في مطلع الجزء الأول من «المصنف» : بعد قول «النبي» ﷺ «إن شئتَ فَصُمْ وإن شئت فأفطر»

«المصنف : ٢/٥٧١ - الحديث ٤٥٠٣»

ثم يليه : تم الجزء الأول من مصنف عبدالرزاق يتلوه إن شاء الله تعالى في الباب الثاني :

باب متى يفطر حين يخرج مسافرًا، إن شاء الله تعالى، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

وأما المجلدة الثانية من نسخة مراد ملا - الآستانة - فتبتدئ بالحديث رقم : (٤٥٠٤) : أخبرنا عبدالرزاق قال أخبرنا معمر بن جابر عن الشعبي قال: إذا خرج الرجل مسافرًا في شهر رمضان وقد أصبح صائمًا أفطر إن شاء حين يخرج .

- وموقع الحديث هذا في «المصنف : ٢/٥٧٢» .

وتنتهي المجلدة الثانية من نسخة مراد ملا - الآستانة - بما يقابلها في «المصنف : ٤/٤٠٨ - الحديث (٨٢٤١)» : عبدالرزاق عن هشيم عن منصور أو غيره عن ابن سيرين أن مُحرِمين استبقا إلى عقبة البطن فأصاب أحدهما ظبيًا فقتله، فأتى عمر بن الخطاب . فقال : اذبح شاةً عَفْرَاءَ .

ثم ذكر في ختامها :

تم الجزء الثاني من مصنف عبدالرزاق بن همام الصنعاني والحمدلله على حسن عونه والصلاة على سيد المرسلين وإمام المتقين محمد خاتم النبيين صلاة دائمةً إلى يوم الدين ورضي الله على صحابته أجمعين وغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين .

والحمدلله رب العالمين .

يتلوه في الثالث إن شاء الله تعالى : باب الهر والجراد والمقابل في «المصنف : ٤/٤٠٩ - الحديث : (٨٢٤٢)» .

أما مخطوطة المكتب الإسلامي فقد جاءت رديفًا لنسخة مراد ملا اعتمد عليها المحقق حبيب الرحمن الأعظمي في عمله الشاق المرهق عند مقتضى الحال لذلك. فقد وقفنا على راموز هذه النسخة في مطلع المجلد الثالث من طبعة المصنف . وهذه النسخة تبتدئ :

بسم الله الرحمن الرحيم . وصلى على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

باب كم في القرآن من سجدة ؟

ومقابل هذا الباب في المطبوعة : «المصنف : ٣٣٥/٣ – الحديث (٥٨٥٩)» أخبرنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد بن بشر الأعرابي . قال حدثنا أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم الدبري . قال أخبرنا عبدالرزاق قال أخبرنا ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس : قال سجود القرآن عشر: الأعراف ، والرعد ، والنحل، وبني إسرائيل ، ومريم، والحج، والفرقان، وطس الوسطى، والم تنزيل، وحم السجدة، فقلت : ولم يكن ابن عباس يقول في ص سجدة ؟ قال : لا.

جاء في ختام الجزء الحادي عشر من «مصنف عبدالرزاق» تم كتاب الجامع بحمدالله وعونه وقوته وبتمامه تم جميع «المصنف» لأبي بكر عبدالرزاق بن همام بن نافع الصنعاني اليماني، والحمدلله رب العالمين بما هو أهله، وصلى الله على محمد نبيه وآله وسلم تسليمًا في الثالث والعشرين من جمادى الأولى سنة ست وستمائة .

وزع عبدالرزاق كتابه «المصنف» على اثنين وثلاثين كتابًا فقهيًا، وقد ابتدأه بكتاب الطهارة : ٥/١ .

احتوى كتاب الطهارة على أبواب «الوضوء» و«أبواب المياه» و «نواقض الوضوء» و «المسح على الخفين» و«التيمم» و«الغُسل» .

٢ – كتاب الحيض : ٢٩٩/١ .

٣ – كتاب الصلاة : ٣٤٩/١ .

ويحتوي على أبواب المساجد، أبواب الأذان، والمواقيت، ما يتعلق بالصفوف، وأبواب استفتاح الصلاة، أبواب القراءة الركوع والسجود، بعض المكروهات، أبواب التشهد، أبواب التسليم، بعض المكروهات، إدراك الصلاة، إدراك السهو، من المكروهات، أبواب الإمامة، الصلاة جالسًا وما إليها، أبواب القراءة في الصلاة، صلاة الخوف، صلاة المسافر .

٤ – كتاب الجمعة : ١٥٩/٣ .

٥ – كتاب صلاة العيدين : ٢٧١/٣ .

٦ – كتاب فضائل القرآن : ٣٣٥/٣ .

٧ – كتاب الجنائز : ٣٨٥/٣ .

٨ – كتاب الزكاة : ٣/٤ .

٩ – كتاب الصيام : ١٥٣/٤ .

١٠ – كتاب العقيقة : ٣٢٧/٤ .

١١ – كتاب الاعتكاف ٣٤٥/٤ .

١٢ – كتاب المناسك : ٣٧٥/٤ .

١٣ – كتاب الجهاد : ١٧١/٥ .

١٤ – كتاب المغازي : ٣١٣/٥ .

١٥ – كتاب أهل الكتاب : ٣/٦ .

١٦ – كتاب النكاح : ١٣٣/٦ .

١٧ – كتاب الطلاق : ٢٩٩/٦ .

ويحتوي على التمليك والتخيير، العدة النفقة، القذف والنفي، أبواب اللعان، ما يتعلق بالعبيد والإماء، القذف والرجم والإحصان أبواب القذف والفرية، أبواب الرضاع .

١٨ – كتاب البيوع : ٤/٨ .

ويحتوي على : أبواب المساقاة ، أبواب الرهن، المضاربة والقراض .

١٩ – كتاب الشهادات : ٣١٩/٨ .

٢٠ – كتاب المكاتب : ٣٦٩/٨ .

٢١– كتاب الأيمان والنذور : ٤٣٣/٨ .

٢٢ – كتاب الولاء : ٣/٩ .

٢٣ – كتاب الوصايا : ٥٣/٩ .

٢٤ – كتاب المواهب : ١٠٥/٩ .

٢٥ – كتاب الصدقة : ١١٧/٩ .

٢٦ – كتاب المدبّر : ١٣٩/٩ .

٢٧ – كتاب الأشربة : ١٩٩/٩ .

٢٨ – كتاب العقول ٢٧١/٩ .

٢٩ – كتاب اللقطة : ١٤٠/١٠ .

٣٠ – كتاب الفرائض : ٢٦١/١٠ .

٣١ – كتاب أهل الكتابين : ٣١١/١٠ .

٣٢ – كتاب الجامع : ٣٧٩/١٠ – ٤٧١/١١ .

نتائج الفكر للسهيلي

بنيونس الزاكي

وجدة - المغرب

السهيلي، عبدالرحمن بن عبدالله/ نتائج الفكر تحقيق عادل أحمد عبدالموجود وعلي محمد عوض ٠- بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

لقد حاز التراث الفكري الأندلسي - في العقود الأخيرة من هذا القرن - عناية خاصة من لدن الباحثين والمحققين الذين ولّى طائفة منهم وجوههم شطر الغرب الإسلامي ينفضون الغبار عن كنوزه، ويبرزون إسهام علمائه في إذكاء الثقافة الأدبية والإسلامية.

وقد كان القرن السادس الهجري من أخصب القرون علمًا وثقافة في الأندلس، إذ برز فيه طائفة من حذاق العلم، وجهابذة الفكر، ممن طبقت شهرة بعضهم الآفاق، حتى صار الواحد منهم تضرب إليه أكباد الإبل، وتحط بفنائه رحال الرجال، وتحدى باسمه مطايا الآمال.

وكان الإمام السهيلي (٥٠٨ - ٥٨١) أحد أعلام هذه المدة الزاهرة، وصاحب سهم وافر في نهضتها العلمية، وإسهامه الفكري مما لا يسع أحدًا من الدارسين جهله أو تجاهله.

ولم يكن السهيلي - قبل العقدين الأخيرين من هذا القرن - يُعْرَفُ بين جمهور العلماء والباحثين إلا بكتابه الفريد «الروض الأُنُف» الذي شرح فيه سيرة ابن هشام، «فطلع على أهل العلم بمصنَّف لم يُعرف شرح أوعب ولا أكثر جَمعًا منه» (١).

ثم قُدِّر لطائفة من التآليف التراثية المتأخرة أن ترى النور، فتكشَّفَ لأهل العلم أن كثيرًا منها يزخر بآراء للسهيلي متميزة، ونكت ولطائف في شتى فنون العلم على حظ من الجدة والطرافة كبير.

ثم شاء الله - تعالى - أن يولي فئة من الباحثين وجوههم شطر إنتاج السهيلي الفكري، ويعمدوا إلى تحقيق ودراسة ما اهتدوا إليه مخطوطًا، وينشط آخرون في إعداد أبحاث انصبت على اهتمامات السهيلي وإنجازاته المتنوعة في أهم مجالات الثقافة الإسلامية المعروفة في عصره ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً.

وإنصافًا للعلم وأهله، ينبغي الإشارة ابتداءً إلى أن دارسي السهيلي مدينون إلى من كان له فضل سبق الوقوف على تراثه مخطوطًا، ومكابدة دراسته وتحقيقه تحقيقًا علميًا، وأعني به محمد إبراهيم البنا.

فقد نَشَرَ له تباعًا: الأمالي، ونتائج الفكر، وكتاب الفرائض وشرح آيات الوصية، وأفاد أنه يعد كتاب «التعريف والإعلام» للنشر (٢)، كما أنجز دراسة علمية رصينة عن السهيلي ومذهبه النحوي (٣).

وكتاب «نتائج الفكر» هو أقدم تآليف السهيلي زمنًا فيما أفاد البنا (٤) وقد عُنِيَ فيه بجوانب خمسة: الدلالة، والعلة، والعامل، ونظم القرآن، ونقد المصطلحات والتعريفات (٥).

وقد صدر لكتاب «نتائج الفكر» نشرتان: الأولى عن جامعة قاريونس بليبيا عام ١٩٧٨، والثانية عن دار الاعتصام بمصر سنة ١٩٨٥، وميزة النشرة الثانية أنها مزيدة ومنقحة، ومذيلة بفهارس علمية متنوعة.

وفي عام ١٤١٢ / ١٩٩٢ ظهر إصدار ثالث لكتاب «نتائج الفكر» عن دار الكتب العلمية ببيروت، وبحسب ما كُتِبَ على الغلاف، فَإنَّ الذي اضطلع بمهمة (التحقيق والتعليق) اثنان من مشايخ العلم: الشيخ عادل أحمد عبدالموجود، والشيخ علي محمد عوض.

ولما كنت مهتماً بإنتاج السهيلي العلمي، فقد سارعت إلى الاطلاع على هذا (التحقيق) يحدوني الأمل في أن أقف على جديد فَاتَ نشرةَ البنا، ولكن بعد إمعان النظر في هذا الإصدار الجديد تأكد لي أن الشيخين الفاضلين سرقا ما صنع البنا في تحقيق «النتائج»، وأخذا الحواشي والتعليقات كما هي، إما باختصار مخلٍّ وإما بتطويل مُملٍّ.

وأعجب ما في سرقة هذين الشيخينِ أنهما لم يشيرا إلى تحقيق البنا من بعيد أو قريب علمًا بأنهما وضَعَاهُ أمامهما، ونَقَلاَ كل ما فيه تقريبًا، ثم زادا كلمة هنا، أو تعليقًا هنا تمويهًا وتضليلاً (٦).

وحتى لا أُتَّهَمَ بأني أُلْقي الأحكام جزافًا، سأسوق من الأدلة ما يكفي للتأكيد على أن هذا الإصدار قد أساء إلى الكتاب ومؤلفه ومحققه.

فأما التمويه والتضليل، فقد أخرج عنقه في مقدمة هذا (التحقيق) حيث عرض الشيخان (المحققان) بالحديث عن ظهور اللحن الذي كان سببًا في ظهور علم النحو، وتحدثا عن نشأة هذا العلم، والاختلاف في واضعه، وأوائل النحاة، وأعقبا ذلك بكلام عن مدرستي الكوفة والبصرة والفروق الأساسية بين المدرستين، وقد استغرق ذلك من المقدمة، الصفحات (٣ - ١٤)، وقد كان الشيخان في غنًى عن تسويد هذه الصفحات، وأولى بتنزيه القُرّاء عن هذا الكلام المكرور المعاد الذي لا يكاد يخلو منه مصدر من مصادر النحو المتقدمة، وكذلك بعض المراجع التي أفردته بالدرس والتحليل بما لا مزيد عليه، فضلاً عن أنه يبدو مقحمًا في تقديم الكتاب إذا لا تدعو إلى إيراده داعية مُلِحَّة.

كما أن من التمويه والتضليل إثقال بعض الحواشي بنقول لا يستدعيها المتن بالضرورة، وقد حصل ذلك في أكثر من موضع.

ويَدّعي الشيخان (المحققان !!) أنهما اعتمدا نسختين خطيتين لتحقيق الكتاب، وهما النسختان اللتان اعتمدهما البنا، وها هنا أمور لابد من التنبيه عليها.

١ - أن محمد إبراهيم البنا يذكر أن مسطرة نسخة فيض الله خمسون سطرًا، بينما يفيد الشيخان أن مسطرتها خمسة وعشرون سطرًا، علمًا بأن النشرتين تتفقان على أن عدد لوحات المخطوط ١١٠ لوحة، ومثل ذلك في بيان مسطرة النسخة الثانية، إذ نبه البنا على أن مسطرتها اثنان وأربعون سطرًا، بينما أفاد الشيخان أن مسطرتها واحد وعشرون سطرًا.

٢ - أن البنا جعل النسخة الأولى مُعْتَمَدَه الأول، لتمامها، ولترجيحه أنها أقدم من الثانية، ولم يشر الشيخان (المحققان ! !) إلى ما اعتماده نسخة أصلية، واكتفيا بالقول إنهما عَوّلا على النسخة الثانية في ترتيب أبواب الكتاب.

٣ - أن الشيخين ادعيا التزام المقابلة بين النسختين وإثبات الفروق في الهامش، وعند المقارنة بين الطبعتين يتضح أن فروقًا كثيرة أغفلا الإشارة إليها، وعلى سبيل المثال لا الحصر، يقارن بين التحقيقين في الصفحات الآتية:

نشرة البنا	نشرة الشيخين
ص : ٣٠ هامش ٣	ص : ٣٠ -
ص : ٣٢ هامش ٣	ص : ٣٣ -
ص : ٥٧ هامش ٥	ص : ٤٦ -
ص : ١٢٦ هامش ٣	ص : ٩٧ -
ص : ١٥٩ هامش ٥	ص : ١٣٣ -

وأما سرقة الشيخين وسطوهما على تخريجات البنا، فكثيرة، وها هي ذي نماذج منها تمتع القارئ:

١ - في نشرة البنا ص : ٤٦ ، هـ٣ ورد ما نصه : «ما بين قوسين زدته ليستقيم النص» .
وفي نشرة الشيخين : ٣٦ ، هـ٢ : زيادة ليستقيم بها الكلام.

٢ - في نشرة البنا ورد في متن صفحة ٩٦ ما نصه : «ووجه ثالث، وهو أن قولك : (قام زيد يوم قام عمرو)»، وعلق عليه في الهامش بقوله : في «أ» مكان ما بين القوسين : «يوم قام زيد». وفي «ب» : «قام زيد يوم قام زيد» وفي البدائع ١ / ٣٩ : «قام زيد يوم قام عمرو»، ولعل الصواب - يقول البنا - ما أثبتناه.
وأما نشرة الشيخين، فاعتمدت ما صوبه البنا دون تعليق.
ولو لم يرد في هذا (التحقيق ! !) إلا هذه السرقة المكشوفة لكان ذلك كافيًا على صنيع الرجلين في الكتاب، فكيف إذا علمت أن هذا قد تكرر في أكثر من موضع ؟

٣ - في نشرة البنا ص ٦٠٩ ورد تخريج جزء من بيت بالإحالة على شرح المفضليات لابن الأنباري، والبحر المحيط لأبي حيان، ونقل الشيخان هذا التخريج برمته.

٤ - اعتمد الشيخان مصادر ومراجع لم ترد في طبعة البنا، وقد قصدا بذلك إلى التمويه والتعالم ، لكن صنيعهما هذا زاد عملهما افتضاحًا، وأكَّد أن الرجلين لا يلتزمان المنهج الذي يسير عليه المحققون في التعامل مع المصادر، وإليك أمثلة على ذلك :

(١) يورد السهيلي أقوالاً للزجاجي غالبًا، ثم يشرحها أو يعلق عليها، وتخريج هذه النقول وعزوها إلى مواضعها من كتاب «الجُمَل» أمر متعين، والذي يثير الانتباه أن الشيخين قد أحالا نقولاً أربعة فقط على «الجمل» (الصفحات : ٤٩، ٧٦، ١٦٨، ٣٢٧)، وباقي أقوال الزجاجي - تَمَّ عَزْوُها إلى «البسيط في شرح الجمل» لابن أبي الربيع السبتي، فأية مدرسة في التحقيق هذه ؟؟ !.

(٢) إن المحقق العارف بصناعة التحقيق يفزع إلى استشارة معاجم اللغة القديمة كلما استوقفه لفظ غامض، والشيخان (المحققان ! !) عَوَّلاَ في أكثر من موضع على مرجع متأخر وهو «المعجم الوسيط» (انظر الصفحات : ٢٥، ٤٢، ٧٨، ٩٦، ١١٧، ١٧٩، ٢١٢).

(٣) المعتمد عند الباحثين عامة، والمحققين خاصة، التنصيص على طبعات المصادر والمراجع ، فإن الإحالة قد تصح في طبعة ولا تصح في أخرى، وليس في النقول التي أثقل بها الشيخان هوامش «نتائج الفكر» إشارة واحدة إلى طبعة من طبعات مصدر أو مرجع، كما أنهما لم يذيلا الكتاب بقائمة للمصادر والمراجع .

(٤) أغفل الشيخان (المحققان ! !) تذييل ما أسمياه تحقيقًا بفهارس وَفْقًا لما جرت عليه أعمال المحققين، فليس في هذه الطبعة إلا فهرس واحد يتيم هو فهرس المحتويات، وصناعة الفهارس العامة للأبحاث العلمية دراسات كانت أو تحقيقات مما يحتِّمُه البحث العلمي المعاصر .

وبعد ؛ فهذا غيض من فيض تجنيات الشيخين على «نتائج الفكر» للسهيلي ، رحمه الله ، وأحسب أن فيما سقته من أمثلة شواهد كافية على إساءتهما للسهيلي وكتابه ومحققه، وإن كثيرًا مما ادعيا أنه تحقيق وتعليق ليس إلا سطوًا على عمل محمد إبراهيم البنا، وإن داء السرقة قد تَفَشَّى، وصار كالمباح، فوجب التنبيه عليه .

وإذا كنت أُنوِّه - كما نوَّه كثير غيري - بالجهد الذي بذله محمد إبراهيم البنا في تحقيق «نتائج الفكر» فإن لي استدراكات على تخريجاته لبعض الشواهد الشعرية، وهي كالتالي :

١ . جاء في الصفحة ٤ ، قول الشاعر :

وفي الجهل قبل الموت موت لأهله
فأجسامهم قبل القبور قبور
وإن امرأً لم يَحْيَ بالعلم ميت
فليس له حتى النشور نشور

وقد عزا البنا البيتين إلى «الفلاكة والمفلوكون» وقال : «ولم ينسبا لأحد».

قلت : البيتان كذلك في تفسير القرطبي ٧ / ٧٨، وقد عزاهما لبعض شعراء البصرة .

٢ . وفي صفحة : ١٤٩ ، ورد الشاهد :

حَوْرَاءُ عيناءُ من العين الحيرْ

وقد نبه البنا في الهامش على أنه في شرح المفصل ، وهو لمنظور بن مرثد الأسدي ، وروايته :

عيناء حوراء من العين الحير

قلت : وبالرواية الثانية ورد إصلاح المنطق لابن السكيت : ١٢٨ (نشرة شاكر وهارون مصر ط٢) .

٣ . وفي الصفحة : ٢٢٥ ، ورد البيت :

بالخير خيرات وإن شرًّا فَا ... ولا أريد الشر إلا أنْ تَا

وقد عزاه البنا إلى القيم بن أوس ، وخرجه من مصادر .

قلت : البيت أيضًا من شواهد القرطبي في تفسيره ١/ ١٥٥ ، وقد عزاه لزهير ولم أجده في ديوانه .

٤ . وفي ص : ٢٧٠ أورد السهيلي البيت الآتي منسوبًا للأعشى :

وَسَخَّرَ من جنِّ المَلائك سبعة ... قيامًا لديه يعملون بلا أجـر

واكتفى البنا بأن أحال على الشاهد في لسان العرب (جن) .

قلت : هو بهذه النسبة كذلك في المحرر الوجيز لابن عطية ١/ ١٧٨ (ط/ المغرب) وبلا عزو في تفسير القرطبي ١/ ٢٩٥ ، والبحر المحيط ١/ ١٥٣ ، والبيت أيضًا من شواهد الوزير اليمني في الطراز ٢/ ٦٢ (ط/ دار الكتب العلمية) ، وقد عزاه للأرحبي .

٥ . وفي صفحة ٢٩٣ ، ورد الشاهد :

يَدَيْتُ على ابن حسحاس بن عمرو

بأسفل ذي الجذاة يد الكريم

واقتصر البنا على تخريجه من اللسان (يدي) .

قلت : البيت أيضًا من شواهد التنبيهات على أغاليط الرواة لعلي بن حمزة : ١٨٠ (نشرة الميمني) ، وفي هامش الصفحة إحالة على مظان أخرى .

٦ . وفي الصفحة : ٣٦٤ ورد الشاهد :

ثلاثة أحباب فحب علاقة

وحب تملاق ، وحُبٌّ هو القتل

وخرجه البنا من مجالس ثعلب منسوبًا إلى أعرابي .

قلت : الشاهد أيضًا بلا عزو في «ليس في كلام العرب» لابن خالويه : ١٣٩ (نشرة أحمد عبدالغفور عطار ، ط١ . بيروت) ، وقد عزاه المحقق إلى حنبل الطائي .

٧ . وفي الصحفة : ٣٨٥ ، ورد الشاهد :

* والشهر مثل قلامة الظفر *

وقد خرجه البنا من تاج العروس .

قلت : الشطر أيضًا من شواهد الخطابي في غريب الحديث ١/ ١٣٠ ، أورده ضمن بيت ، فقال : قال الشاعر ، أنشده الفقعسي :

ابدأن من نجد على ثقة ... والشهر مثل قلامة الظفر

وهو كذلك من شواهد القرطبي في تفسيره ٢/ ٢٩٣ ، أورده ضمن بيتين هما :

أخوان من نجد على ثقة ... والشهر مثل قلامة الظفر

حتى تكامل في استدارته ... في أربع زادت على عشر

الهوامش

١ – من كلمة قالها محمود محمد الطناحي في تصديره لكتاب «البسيط في شرح الجمل لابن أبي الربيع السبتي» ١/ ٨ ، ط : دار الغرب الإسلامي .

٢ – ينظر مقدمة «نتائج الفكر» : ٥ ، دار الاعتصام ، ط٢ .

٣ – صدرت هذه الدراسة عن دار البيان العربي بجدة ، ط١ ، ١٤٠٥ / ١٩٨٥ .

٤ – مقدمة النتائج : ٥ ، والسهيلي ومذهبه النحوي : ١٥٨ .

٥ – مقدمة النتائج : ٢٢ .

٦ – صادف كتابة هذا المقال اطلاعي على كتاب «الإنصاف» : لابن البطليوسي بتحقيق : محمد رضوان الداية ، ط٢ / ١٩٨٣ ، وقد نبه المحقق في مقدمة هذه الطبعة على أن اثنين من الدكاترة قد سرقا تحقيقه هذا ، ولما كان المقام مناسبًا ، فقد اقتبست من الداية ما قاله في حق الرجلين .

الرسائل الجامعية

دور المؤسسة العسكرية في تنمية المجتمعات الصحراوية: دراسة تحليلية لدور الحرس الوطني السعودي الحضاري والثقافي والاقتصادي

لجبير بن محمد بن جبير

ابن جبير، جبير بن محمد/ دور المؤسسة العسكرية في تنمية المجتمعات الصحراوية: دراسة تحليلية لدور الحرس الوطني السعودي الحضاري والثقافي والاقتصادي. - رسالة (ماجستير). - إشراف زكي محمد إسماعيل، أنور شيخ الدين. - المنامة: جامعة الخليج العربي، كلية العلوم التطبيقية، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م. - ٢٢٩ ورقة.

تأتي أهمية هذا البحث في تناوله دراسة مؤسسة الحرس الوطني لا بوصفها مؤسسة عسكرية أمنية فحسب، وإنما تتجاوز ذلك إلى دراسته كمؤسسة تنموية تسهم في تنمية المجتمع السعودي بمختلف أبعاد التنمية، وفي هذا الإطار فإن الباحث - على حد علمه - يعدّ دراسته تلك غير مسبوقة من هذا المنظور رغم مرور عقود على إنشاء مؤسسة الحرس الوطني السعودي.

وتهدف هذه الدراسة بشقيها النظري والميداني - بالدرجة الأولى - الوصول إلى نتائج موضوعية تحلل دور الحرس الحضاري وتقوِّمه في أبعاده المختلفة من خلال دراسة ميدانية موضوعية استخدمت المنهج الوصفي التحليلي بوصفه أكثر ملاءمة من مصادر متعددة سواء من دراسات سابقة ذات صلة بموضوع البحث أو من وقائع الدراسة الميدانية.

ومن خلال الدراسة الميدانية التي استخدمت طريقة الاستبيان الذي وزع على ثلاث مئة وخمسين مواطنًا (٣٥٠) من منسوبي الحرس الوطني من ضباط وضباط صف في مناطق المملكة المختلفة. وقد بلغ عدد أفراد العينة الذين استجابوا لكل أسئلة الاستبيان ٢٥٢ فردًا (٧٢ ضابطًا و ١٨٠ ضابط صف) وبتحليل المعلومات التي توافرت من المصادر المختلفة توصلت الدراسة إلى العديد من النتائج نذكر أهمها:

١- تتصدر الرغبة الشخصية والحصول على وظيفة مناسبة مركز الأهمية والترتيب على بقية الأسباب التي دفعت أفراد العينة للالتحاق بالحرس الوطني.

٢- أن معظم أفراد العينة لا يمارسون عملاً آخر بعد الانتهاء من عملهم في الحرس الوطني مما يؤكد استقرارهم المادي، وإن اتضح أن فئة الضباط لديها معظم الكماليات المنزلية بينما لا يتوافر هذا بالنسبة نفسها لدى مجموعة ضباط الصف، كما أن معظم أفراد العينة أجابوا بامتلاكهم سيارات خاصة.

٣- كما اتضح من نتائج الاستبيان أن التعليم العام فالعسكري يحتلان مركز الصدارة في التفضيل بالنسبة لأنواع التعليم المتنوعة لدى أفراد العينة.

٤- وفيما يتعلق بالدورات التدريبية المتنوعة اتضح أن معظم الضباط أتيح لهم الحصول على دورات تدريبية داخل المملكة وخارجها، بينما حصل معظم ضباط الصف على دورات داخل المملكة، ولعل ذلك يرجع لنوعية التخصص المهني في هذه الدورات، التي أقر جميع الحاصلين عليها باستفادتهم منها في مجال العمل أو العلاقات الإنسانية أو تعلم إحدى اللغات الأجنبية.

٥- كما أوضحت الدراسة أن للحرس الوطني خدمات عديدة لمنسوبيه في المجال الصحي مما جعل معظم أفراد العينة يفضلون مستشفيات ومؤسسات الحرس الصحية على غيرها من المؤسسات الصحية الأخرى.

٦- وفي مجال التعليم أوضحت الاستبانة أن معظم أفراد العينة يفضلون تعليم أبنائهم وبناتهم على السواء لا فرق بين ذكر وأنثى، وذلك اهتداء بديننا الحنيف الذي لا يفرق بين الجنسين في حثه على التعلم.

٧- أما في مجال العمل المهني فقد أسفرت النتائج عن أن معظم أفراد العينة لا يفضلون العمل المهني لبعض أفراد أسرهم لا سيما مهنتا الجزارة والحلاقة فهما غير مناسبتين لهم.

٨- وفي مجال نشاطات أوقات الفراغ لوحظ تفضيل الضباط لممارسة النشاط الرياضي بينما مجموعة ضباط الصف تمارس نشاطها الديني بصورة أقوى من مجموعة الضباط بينما يهتم الجميع بممارسة رياضة الخيل والهجن، والمحافظة على التراث الوطني والاشتراك في المناسبات والاحتفالات الرسمية وإنشاء المكتبات، وعقد دورات لمحو الأمية والمحافظة على البيئة الصحراوية.

الآراء الاقتصادية للمقريزي: دراسة مقارنة

لأحمد صالح الغامدي

الغامدي، أحمد صالح/ الآراء الاقتصادية للمقريزي: دراسة مقارنة. - رسالة (ماجستير). - إشراف عبدالله مصلح الثمالي، شوقي أحمد دنيا. - مكة المكرمة: جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا الشرعية، شعبة الاقتصاد الإسلامي، ١٤١٣هـ. - ٥٠٨ ورقات.

إن من لوازم قيام دراسات اقتصادية إسلامية متكاملة إيجاد قاعدة صلبة لذلك، ولعل في دراسة الجهود الفكرية للعلماء المسلمين في المجال الاقتصادي أكبر رافد لتكوين تلك القاعدة.

ومن هذا المنطلق كان هذا البحث الذي يعالج الآراء الاقتصادية لعالم من علماء المسلمين الأجلاء ألا وهو المقريزي.

وقد عالج الباحث آراء المقريزي من خلال الفصول التالية:

١- الفصل الأول تمهيدي. وتضمن الحديث عن حياة المقريزي وعصره وعن حركة التطور في الفكر الاقتصادي الإسلامي.

٢- الفصل الثاني. وتضمن الحديث عن آرائه في النظرية الاقتصادية، وذلك من خلال القضايا التالية:

أ - الاستثمار والإنتاج.

ب- الاستهلاك والادخار.

جـ- التوزيع.

د - السوق.

٣- الفصل الثالث. وتضمن الحديث عن آرائه في النقود وذلك من خلال القضايا التالية:

أ- ماهية النقد ونشأته ووظائفه.

ب- التغير في قيمة النقود وأسبابه.

جـ- التضخم والكساد.

د- آثار التغير في قيمة النقود.

٤- الفصل الرابع. وناقش دور الدولة في النشاط الاقتصادي، وقد تضمن هذا الفصل قضيتين:

أ- الدولة والنشاط الاقتصادي.

ب- مالية الدولة.

٥- الفصل الخامس. وعرض مشكلة التنمية والتخلف وتحدث الباحث فيه عما يلي:
أ- مفهوم التنمية والتخلف.
ب- الفائض الاقتصادي وأهميته في التنمية.
جـ- البنيان الاجتماعي والثقافي وأثره على التنمية.
٦- الفصل السادس. وتضمن الحديث عن منهج المقريزي في الدراسات الفكرية الاقتصادية.
وأخيرًا: الخاتمة وقد تضمنت النتائج ومن أهمها:
١- إبراز المقريزي أهمية أن تتوافر الفرص لإحداث مستوى مقبول من الادخار وتوجيهه لإحداث الإنتاج أو زيادته.
٢- إبرازه للدور الكبير لعدالة التوزيع، وأثر ذلك في إحداث التنمية.
٣- إبرازه للدور السلبي للسياسات الداخلية التي تنتهجها الدولة.
٤- بيانه لخطورة الإسراف في الإصدار النقدي وأثر ذلك في إحداث التضخم.
٥- بيانه لأثر المستوى الإيماني داخل المجتمع ودوره في إحداث التنمية.
٦- إبرازه لأثر الفساد الإداري والمالي على حركة التنمية في المجتمع، وغير ذلك من النتائج.

صناعة القرار: دراسة تطبيقية على أساليب صناعة القرار في منشآت قطاع الأعمال السعودي وسلوكيات استخدامها للوسائل الحديثة

لسامية سليمان مقبول

مقبول، سامية سليمان/ صناعة القرار: دراسة تطبيقية على أساليب صناعة القرار في منشآت قطاع الأعمال السعودي وسلوكيات استخدامها للوسائل الحديثة. - رسالة (ماجستير). - إشراف عبدالله عبدالقادر نصير، نادية محمد صالح باعشن. - جدة: جامعة الملك عبدالعزيز، كلية الاقتصاد والإدارة، قسم إدارة الأعمال، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م. - ٢٢٥ ورقة.

اشتمل البحث على جانبين: جانب نظري، وآخر ميداني، ركز الجانب النظري فيه على عرض لبعض الأساليب والتقنيات الحديثة، وتطبيقاتها العامة، وإمكان الاستفادة منها في كل مرحلة من مراحل صنع القرار، وأيضًا دراسة مدى الاحتياج لهذه التقنيات والأساليب بالنسبة للمشكلات التي تواجه قطاع الأعمال السعودي، التي تحد من دوره وتؤثر في موضوعية قراراته. أما الجانب الميداني فاستهدف منه التعرف على المشكلات التي تواجه قطاع الأعمال السعودي، ومدى توافر التقنيات الحديثة في ذلك القطاع، بالإضافة إلى سلوكيات استخدام تلك التقنيات من قبل صانعي القرارات في قطاع الأعمال السعودي في المستويات الإدارية الثلاثة (عليا، متوسطة، تنفيذية). وقد تم تصميم استقصاء لجمع المعلومات المطلوبة.

ودلت نتائج البحث على معاناة قطاع الأعمال السعودي للعديد من المشكلات، واعتماد صانعي القرار في قطاع الأعمال السعودي على المنهج التقليدي، وقصور في استخدام الأساليب والتقنيات الحديثة على الرغم من توافر معظم تلك التقنيات في قطاع الأعمال السعودي.

كما انتهى هذا البحث بمجموعة من التوصيات لدعم وتحقيق المميزات التنافسية لقطاع الأعمال السعودي؛ ومساعدة منشآته في تخطي العقبات التي تعوق قدراته في تحقيق أهدافه، من أجل القيام بدوره في تحقيق الآمال المعقودة عليه مستقبلاً والإسهام في عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية والإدارية.

صناعات الوسائل التعليمية في المنطقة الوسطى من المملكة العربية السعودية: الخصائص الجغرافية والإمكانات المستقبلية

لسلوى بنت صالح الزامل

الزامل، سلوى بنت صالح/ صناعات الوسائل التعليمية في المنطقة الوسطى من المملكة العربية السعودية: الخصائص الجغرافية والإمكانات المستقبلية. - رسالة (دكتوراه). - إشراف فاروق بن محمد الجمال، عبدالله بن حمد الصليع. - الرياض: جامعة الملك سعود، كلية الآداب، قسم الجغرافيا، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

تنقسم هذه الدراسة في مجموعها إلى شطرين:

الأول: يعنى بالوضع الراهن لصناعات الوسائل التعليمية.

الثاني: يتضمن محاولة جادة للتعرف على إمكان التوسع في إنشاء هذه الصناعات في المنطقة الوسطى من المملكة، وتتكون هذه الدراسة من مقدمة وأربعة فصول وخاتمة وعدة ملاحق.

في المقدمة التي هي عبارة عن مدخل للبحث أشارت الباحثة باختصار إلى طبيعة اقتصاد المملكة والقطاعات المختلفة التي يتكون منها وعوامل تطوره.

وأوضحت الدور الذي تقوم به الحكومة للنهوض بالقطاعات الاقتصادية المختلفة تحقيقًا للآمال العريضة في تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية، وذلك باعتمادها أسلوب التخطيط المدروس لقطاعات التنمية المختلفة.

كما ذكرت الباحثة بعض منجزات التنمية الصناعية التي تحققت خلال العشرين عامًا الماضية وآثارها الإيجابية في تحقيق الرفاهية ورفع المستوى المعيشي للدولة والأفراد.

أشارت الباحثة بعد ذلك إلى الأساليب الحديثة في التعليم وأهمية الوسائل التعليمية المختلفة ودورها في تحقيق الهدف واختصار الوقت والجهد، وكذلك إلى بعض الصعوبات التي واجهتها أثناء الدراسة وكيفية التغلب عليها.

وفي الفصل الأول تحدثت عن خطة الدراسة وإجراءاتها المنهجية فأوضحت طبيعة موضوع البحث وأهميته والعوامل التي شجعتها على البحث فيه نظرًا لارتباطه باثنين من أهم قطاعات التنمية الاجتماعية والاقتصادية وهما التعليم والصناعة.

كما حددت الباحثة الإطار المكاني للدراسة والمميزات التي تتمتع بها المنطقة الوسطى، التي شجعتها على اختيارها موقعًا لدراستها.

أوضحت الباحثة بعد ذلك طبيعة المشكلة التي لاحظتها وهي ارتفاع حجم الاستهلاك للعديد من أنواع الوسائل التعليمية وانخفاض الإنتاج المحلي لهذه الوسائل، وبالتالي الاعتماد على الاستيراد لتوفير الاحتياجات من هذه المنتجات، وأوضحت كذلك الأهداف والغايات التي سعت لتحقيقها وشجعتها على دراسة بعض جوانب هذه المشكلة.

كما أوضحت الباحثة المشكلات الإجرائية التي اعترت دراسة هذا الموضوع، وهي اتساع نطاق الوسائل التعليمية وتصنيفها و الأساليب التي اتبعتها للتغلب على تلك المشكلات.

تناولت الباحثة بعد ذلك الإطار النظري لهذا الموضوع والدراسات السابقة المتعلقة به، التي أتيحت لها الفرصة للاطلاع عليها وكذلك الفرضيات والتساؤلات التي استنارت بها في توجيه مسار البحث.

وفي نهاية الفصل أوضحت الباحثة بالتفصيل المناهج التي اتبعتها وأساليب التحليل الإحصائي التي طبقتها للوصول إلى نتائج محددة وواضحة لهذه الدراسة.

وفي الفصل الثاني تحدثت الباحثة عن البنية الصناعية في المملكة العربية السعودية والمبادئ الأساسية لسياسة الدولة تجاه التنمية الصناعية والإنجازات التي تحققت نتيجة لهذه السياسات، ثم المكانة التي تشغلها صناعات الوسائل التعليمية ضمن الهيكل الصناعي في المملكة، كما أوضحت بعض المشكلات التي حالت دون تطوير صناعات الوسائل التعليمية ووصولها إلى مكانة تتمشى مع الإنجازات التي حققتها القطاعات الصناعية المختلفة، وكذلك الفرص والإمكانات المتاحة لتنمية صناعات الوسائل التعليمية في المملكة العربية السعودية.

وفي الفصل الثالث قامت الباحثة بالتحليل الجغرافي للوضع الراهن لصناعات الوسائل التعليمية، ونظرًا لقلة بل لندرة المعلومات المتخصصة والدقيقة حول تلك الصناعات فقد اعتمدت الباحثة بشكل رئيس على نتائج العمل الميداني الذي استغرق وقتًا ليس باليسير بسبب اتساع نطاقه مكانيًا وكيفيًا ليشمل الجهات الرئيسة ذات العلاقة بالموضوع وهي المدارس، المصانع، والمسئولين عن الوسائل التعليمية في القطاع التعليمي إضافة إلي صعوبة قيام الطالبة نفسها بالعمل الميداني.

وفي هذا الفصل أوضحت الطالبة الخصائص والسمات التي تميز صناعات الوسائل التعليمية عن غيرها، ونمط توزيعها في المنطقة الوسطى من المملكة والعوامل المحددة له ودرجة الارتباط بين صناعات الوسائل التعليمية والمتغيرات المؤثرة فيها. ثم تحدثت عن إنتاج الوسائل والسوق المتاحة لها في المملكة عامة وفي المنطقة الوسطى على وجه الخصوص.

أما الفصل الرابع فقد عبر عن التطلعات والآمال المعقودة على تطوير صناعات الوسائل التعليمية في المملكة العربية السعودية والدور المنتظر من القطاعين العام والخاص لتطوير تلك الصناعات في ظل التسهيلات والمزايا والمقومات المتوافرة لذلك ثم محاولة الباحثة التعرف على الإمكانات والبدائل المتاحة لتطوير صناعات الوسائل التعليمية في المنطقة الوسطى. والفوائد الاقتصادية والاجتماعية التي يمكن أن تتحقق جراء ذلك.

وفي نهاية الدراسة أوضحت الباحثة النتائج التي توصلت إليها من خلال هذه الدراسة والتوصيات التي اقترحتها في ضوء تلك النتائج.